

المملكة العربية السّعودية

وزارة التعليم العالي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(٠٣٢)

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

(البرنـامج المسائي)

كتابُ الزَّهرةِ في رَدِّ غُلُوِّ البُرْدَةِ

للعلامة أبي زيد عبدِ الرّحمنِ بنِ محمَّد النتيفي الجعفري (ت: ١٣٨٥هـ)

دراسةً وتحقيقاً

رسالة علمية مقدَّمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب

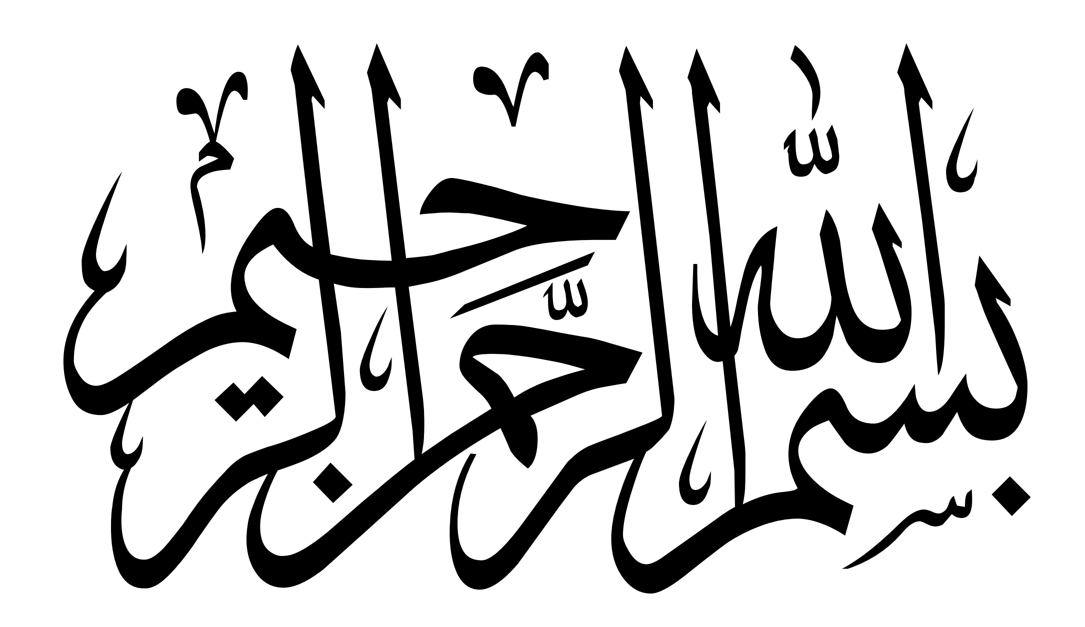
تركي بن سعود بن عواد العويمري

إشراف الدكتور

ذياب بن مدحل العلوي

العام الجامعي

١٤٣٥ ــ ١٤٣٦هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبّهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين[1]. وبعد:

فإن العلماء ورثة الأنبياء، قال ﷺ: (إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنّما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ)[2]. ولا شك أن تحقيق تراثهم هو إرثٌ من إرثِ النبوة، فما أعظمه من إرث!

فلمّا وقع اختياري في مرحلة الماجستير على هذا السفر، وهو كتاب (الزهرة في ردّ غلوّ البردة)؛ قوي العزم ونشطت الهمّة في تحقيقه، لعل الله أن ينفع به الناس بحوله وقوّته، فنسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد على ذلك.

أهمية الكتاب:

ترجع أهمية الكتاب لأمور منها:

١. مؤلف الكتاب من أهل العلم، وله جهود عظيمة في نشر عقيدة السلف في زمانه، وخصوصًا في بلاد المغرب العربي.
٢. الكتاب مدعم بالأدلة من القرآن والسنة.

---

(١) انظر: مقدمة كتاب الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد بن حنبل ٦/١.

(٢) رواه ابن ماجة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨١/١/٢٢٣)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح ٧٤/١.

٣. قوة أسلوب الكتاب العلمية في رده على البردة.
٤. غزارة المادة العلمية في الكتاب وخاصة في باب الاعتقاد.
٥. وجود نقولات كثيرة لأئمة السلف في الكتاب.
٦. عالج الكتاب أمرًا مهمًّا منتشرًا بين جهلة المسلمين وهو الغلو ببردة البوصيري التي تضمنت الغلو في محبة النبي ﷺ حتى وصل بهم الحال إلى الشرك الأكبر.
٧. ذكر الكتاب مسائل عقدية تخص الالتزام بهدي النبي ﷺ وترك الغلو والبدع.
٨. في هذا الكتاب أصول مهمة في الرد على أهل الشرك والبدع.
٩. أتى الكتاب على الأخطاء الشركية التي وقعت في البردة وفصل في الرد عليها.
١٠. وقفت على نسخة خطية للكتاب تعد من النوادر حيث إن النسخة قريبة من عصر ومكان المؤلف، مما دفعني إلى تحقيق الكتاب.

الدراسات السابقة:

ليس هناك دراسة سابقة للكتاب.

أسباب اختيار الكتاب:

ترجع أسباب اختيار الكتاب لأمور منها:

١. قيمة الكتاب العلمية، حيث تناول الكتاب كثيرًا من المسائل والمباحث المتعلقة بالعقيدة.
٢. الكتاب من الكتب التي تناولت الرد على البردة كاملة، مما يدل على أهميته والحاجة إلى إبرازه.
٣. انتشار البردة في العالم الإسلامي، وفيها كثير من المخالفات العقدية، وفي إبراز الكتاب وتحقيقه مساهمة للقضاء على هذه المخالفات.
٤. الإسهام في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالف.
٥. الكتاب لم يحقق وغير مطبوع.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وقسمين، على النحو التالي:

المقدمة، وفيها:

١. أهمية الموضوع.
٢. أسباب اختياره.
٣. خطة البحث.
٤. منهج التحقيق.

القسم الأول: قسم الدراسة.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: دراسة المؤلف.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: عصر المؤلف. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية.
المطلب الثاني: الحالة الدينية.
المطلب الثالث: الحالة العلمية.

المبحث الثاني: سيرته الذاتية، اسمه، نسبه، ومولده، ووفاته.

المبحث الثالث: نشأته العلمية.

المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه الفقهي.

المبحث السادس: مكانته العلمية.

المبحث السابع: مؤلفاته.

الفصل الثاني: د راسة الكتاب.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسم الكتاب وإثبات نسبته إلى مؤلفه.

المبحث الثاني: موضوع الكتاب وسبب تأليفه.

المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب.

المبحث الرابع: موارد المؤلف في الكتاب.

المبحث الخامس: قيمة الكتاب العلمية.

المبحث السادس: المآخذ على الكتاب.

المبحث السابع: وصف النسخ الخطية للكتاب.

القسم الثاني: قسم التحقيق (من بداية الكتاب إلى آخره).

منهج تحقيق النص:

منهجي في التحقيق وفق النقاط التالية:

- منهجي في ضبط النص:

١. نسخت المخطوط مراعيًا قواعد الإملاء الحديث؛ مع تصحيح ما في النص من أخطاء نحوية وإملائية.

٢. قابلت النص المنقول بالأصول المنقولة عنها، وما كان فيها من سقط وضعته بين معكوفتين [ ]، وبينت ذلك في الحاشية.

- منهجي في تحقيق النص:

١. التعليق على المسائل العقدية.

٢. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني.

٣. تخريج الأحاديث، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإلا خرّجتها من مصادرها، مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجتها.

٤. عزو الآثار إلى مصادرها.

٥. توثيق النقول بنسبتها إلى قائلها، وذكر مصادرها.

٦. الترجمة للأعلام غير المشهورين الواردة أسماؤهم في البحث ترجمة موجزة.

٧. شرح الكلمات الغريبة التي ترد في البحث والمصطلحات العلمية.

٨. التعريف بالفرق الوارد ذكرها في الكتاب.

٩. الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

١٠. الفهارس العلمية، وهي كالتالي:

١) فهرس الآيات القرآنية.

٢) فهرس الأحاديث النبوية.

٣) فهرس الآثار.

٤) فهرس الفرق.
٥) فهرس الأعلام.
٦) فهرس الأبيات الشعرية.
٧) فهرس المصادر والمراجع.
٨) فهرس الموضوعات.

وبعد، فهذا عمل بشر، وجهد مقل، ولم يكن لي أن أبلغ الكمال مهما اجتهدت، فالكمال لله وحده، فما كان من صواب فهو من الله وحده، فله الحمد والشكر على ذلك، وما كان خلافه فهو مني، ومن الشيطان. واسأل الله التوفيق والسداد.

شكر وتقدير:
وختاماً: فإني أحمد الله أولا وآخرا، وأشكره شكرا ينبغي لجلاله وكماله، حيث وفقني لإكمال هذا العمل، وإنجاز هذه الأطروحة العلمية.
ثم أتوجه بالشكر الجزيل لوالدي الكريمين على رعايتهما لي منذ نعومة أظفاري، فحفظهما الله وبارك فيهما، وجعلني بارا بهما.
كما أنني أتوجه بالشكر والتقدير لمعالي مدير الجامعة الإسلامية فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن بن عبد الله السند؛ الذي ما فتئ يُعلي راية الجامعة في المحافل العلمية.
وأتوجه بالشكر إلى فضيلة الشيخ الدكتور: ذياب بن مدحل العلوي؛ الذي أشرف على هذه الرسالة، وتعاهدها بعناية منذ أن كانت غرساً حتى استوت على سوقها، فلفضيلته جزيل الشكر، والدعاء الخالص بالتوفيق في حياته العلمية والعملية، وأسأل الله أن يبارك له في عمره وماله وولده، ويرزقه الأجر والثواب جزاء جهده القيم، ووقته الغالي الذي غمرني بهما.
وأشكر فضيلة رئيس قسم العقيدة الدكتور سليمان بن سالم السحيمي على جهوده القيمة ورعايته لأبنائه الطلاب في القسم.
كما أشكر فضيلةالمناقشين الكريمين –حفظهما الله تعالى- على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة وتصويبها وتقويمها.
كما أشكر القائمين على كلية الدعوة وأصول الدين عميداً ووكلاء على جهودهم المباركة الطيبة تجاه العلم وأهله. وأتوجه بالشكر إلى كل من أعانني وساندني بنصح وتوجيه من أساتذتي وزملائي.

أدعو الله أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القسم الأوّل
قسم الدِّراسة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: دراسة المؤلف

الفصل الثاني: دراسة الكتاب

الفصل الأول
دراسة المؤلف

وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول: عصر المؤلف. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الدينية.

المطلب الثالث: الحالة العلمية.

المبحث الثاني: سيرته الذاتية، اسمه، نسبه، ومولده، ووفاته.

المبحث الثالث: نشأته العلمية.

المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه الفقهي.

المبحث السادس: مكانته العلمية.

المبحث السابع: مؤلفاته.

المبحث الأول: عصر المؤلف

المطلب الأول: الحالة السياسية:

كانت المغرب كغيرها من البلدان الإسلامية في حالة فوضى وعدم استقرار بسبب الإستعمار الفرنسي الذي كان امتداده في ٣٠ مارس ١٩١٢م إلى أن استقلت المغرب سنة ١٩٥٦م[١].

قال محمد زحل-حفظه الله-: "...احتقروا عدوهم، وغرتهم جموعهم التي اجتمعت على القينات والمعازف واللهو، فصرت لا تسمع منهم إلا ما يبعث على السخرية من الشقشقة والهذر الذي لا يفيد، والجيش الفرنسي قد احتل المدينة، وبواخره الحربية في ميناء الدار البيضاء، وآلات رصده ترسل عليهم الأنوار الكاشفة التي يقابلونها بالسخرية والضحك والاستهزاء، ظانين أن كثرتهم تغني عنهم من الأمر شيئا، فلم يكن إلا عشية أو ضحاها حتى غشيهم من اليم ما غشيهم، فصارت المدافع تصليهم نارا حامية، والقنابل ترهبهم وتفتك بهم فتكا ذريعا، وما هي إلا سويعات حتى انهزموا شر هزيمة، وتفرقوا شذر مدر، ونسوا النعمة التي كانوا بها فاكهين.
قال الشيخ أبو زيد عبدالرحمن النتيفي -رحمه الله-: "وكنت وقت الإغارة الفرنسية أصلي الضحى، فسلمت منها وعمدت إلى فرس كان موثقا بوتد خيمة فامتطيته وفررت به قاصدا سطات، والناس أدبروا هاربين لا يلوون على شيء، كل يطلب النجاة لنفسه..."[٢].

المطلب الثاني: الحالة الدينية:

كان الوضع الديني في بلاد المغرب بعيدًا كل البعد عن الينابيع الصافية؛ الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وكانت الصوفية ضاربة بأطنابها في بلاد المغرب.

---

(١) انظر: الموسوعة الحرة، الحماية الفرنسية على المغرب.

(٢) مجلة الفرقان، بقلم الشيخ/ محمد زحل ص٢٤-٢٥، العدد الخامس عشر/١٤٠٨هـ.

قال محمد زحل-حفظه الله-: "... في أواخر سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف، جعل الشيخ غايته في هذه المرحلة أمرين اثنين:

١- بث العلم في صدور طلابه.

٢- محاربة أهل البدع والدجل والخرافة، والمتعصبين من المقلدة الذين كان يعتبرهم المطية الذلول للاستعمار الكافر النجس، بشقيه الفرنسي والاسباني، وكان يؤكد للناس على أن المسلمين لن يتخلصوا من أسباب التخلف والانحطاط وآثارهما مالم يتحرورا كليا من سطوة الطرقية وهيمنتها على عقولهم وقلوبهم، ويعودوا إلى الينابيع الصافية التي تتفجر من الكتاب والسنة، ولما أحست معاقل الشعوذة والشرك بالخطر يدهمها من دروس الشيخ وآرائه، شنت عليه حربا شعواء لا هوادة فيها، وهيجت عليه السفلة والرعاع وأذناب الاستعمار من كهنة الطرقية وسدنة الزوايا، ممن يأكلون أموال الناس بالباطل سحتا باسم الدين، ويمهدون للاحتلال ويدعمون سلطانه، حتى كان الشيخ وطلابه لا يستطعون الخروج إلا مسلحين خوفًا على أنفسهم من الدهماء ومن يستفزونهم، كانت المنافسات بين زعماء القبائل والقواد تدفعهم إلى الاختلاف في كل شيء حتى الدين والاعتقاد، فإذا كان هذا الزعيم تيجانيًّا فعلى الآخر أن يكون بوعزاويا أو كتانيا..."[١].

المطلب الثالث: الحالة العلمية:

كانت الحالة العلمية في بلاد الغرب واقعة في شراك التصوفي وشباكه، بعيدة كل البعد عن الينابيع الصافية؛ الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، فلا تجد أحدًا سواءٌ من العلماء أو عامة الناس إلا هو متمسك بأحد الطرق الصوفية، متعصبٌ لها، مدافع عنها، داعي الناسَ إليها.

قال الشيخ/محمد تقي الدين الهلالي المغربي-رحمه الله-: "...أما بعد: فيقول أفقر العباد إلى الغني الكبير المتعالي، محمد تقي الدين بن عبدالقادر الحسيني الهلالي غفر الله ذنبه وستر عيبه:

---

(١) مجلة الفرقان، بقلم الشيخ/محمد زحل ص٢٥-٢٦، العدد الخامس عشر/١٤٠٨هـ.

نشأت في بلاد سجلماسة، وحفظت القرآن وأنا ابن اثنتي عشرة سنة، ورأيت أهل بلادنا مولعين بطرائق المتصوفية، لا تكاد تجد واحدًا منهم لا عالما ولا جاهلا إلا وقد انخرط في سلك أحدى الطرق، وتعلق بشيخها تعلق الهائم الوامق، يستغيث به في الشدائد، ويستنجد به في المصائب، ويلهج دائما بشكره والثناء عليه، فإن وجد نعمة شكره عليها، وإن أصابته مصيبة اتهم نفسه بالتقصير في محبة شيخه والتمسك بطريقته، ولا يخطر بباله أن شيخه يعجز عن شيء في السماوات ولا في الأرض فهو على كل شيء قدير، وسمعت الناس يقولون: من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه، وينشدون قول ابن عاشور في أرجوزته التي نظمها في عقيدة الأشعرية، وفي فروع المالكية، وفي مبادئ التصوف:

يصحب شيخا عارف المسالك ... يقيه في طريق المهالك
يذكره الله إذا رآه ... ويوصل العبد إلى مولاه

ورأيت الطرائق المنتشرة في بلادنا قسمين:

١- قسم ينتمي إليه العلماء وعلية القوم.
٢- وقسم ينتمي إليه السوقة وعامة الناس..."[1].

(١) الهدية الهادية ص٧.

المبحث الثاني:

سيرته الذاتية، اسمه، نسبه، ومولده ووفاته

اسمه ونسبه:

عبدالرحمن بن محمد بن إبراهيم النتيفي الجعفري ينتهي نسبه الشريف إلى محمد الجواد بن علي الزينبي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وعلي الزينبي وهو ابن زينب بنت فاطمة بنت نبينا محمد عليه الصلاة والسلام[1].

مولـده:

ولد الشيخ عام ١٣٠٣هـ بقرية المقاديد بقبيلة هنتيفة[2].

وفاتـه:

توفي الشيخ رحمه الله ليلة الثلاثاء ٢٣ذي القعدة عام ١٣٨٥هجرية، وقبل وفاته أوصى بعدم البناء على قبره، وأوصى بعدم تأبينه[3].

---

(١) ترجمة ابنه الحسن ص٦.

(٢) المصدر نفسه ص٦.

(٣) المصدر نفسه ص٣٦.

المبحث الثالث: نشأته العلمية

نشأ الشيخ نشأة علمية، فلما أكمل أربع سنين أدخله والده الكتاب، فحفظ القرآن في صغره، ثم سافر إلى مدينة سطات وبها أكمل قراءة الكسائي وحمزة، وفي عام ١٣١٩هـ بدأ العلم على الفقيه بوشعيب البهلولي، وفي عام ١٣٢٣هـ سافر إلى فاس فأخذ عن عدة مشايخ؛ العلامة الفاطمي، والعلامة محمد التهامي كنون، والعلامة محمد بن جعفر الكتاني[1]، وأبي عبدالله محمد بن أحمد بن الحاج السلامي، وغيرهم، وفي عام ١٣٢٥هـ فارق فاساً قاصدا مدينة مراكش، فعرج على مدينة الدار البيضاء، فحضر موقعة (تدارت) التي تم على أثرها احتلال فرنسا للمدينة، وبعد موقعة (تدارت) قصد الشيخ مدينة خنيفرة عاصمة قبائل زايان بالأطلس المتوسط، فأقام بها وأنشأ مدرسة العلم بتلك الربوع الزيانية مدة اثني عشرة سنة، تخرج على يده جماعات كثيرة من أهل العلم، وفي عام ١٣٢٩هـ حج بيت الله الحرام بعد أن أناب في التدريس، ورجع الشيخ من رحلته الحجازية عام ١٣٣٠هـ، فرجع لخنيفرة فمكث فيها لنشر العلم والفضيلة وإحياء السنة، زيادة على نشره للعلم في تلك الأصقاع أعلن الجهاد مع تلامذته وإخوانه المسلمين على الفرنسيين لما وصلت الخنيفرة، فحضر وقائع عدة كوقعة (أرغوس) وموقعة (أفود أحمرى) التي كان الرصاص يتساقط عليه واخترقت ثيابه ونجاه الله فيها.

وبعد احتلال خنيفرة من طرف الفرنسيين خرج إلى قبائل (آيت عمو) يتابع دراسته العلمية تارة بين الشعاب وتارة في الخيام وتارة فوق ظهور الجياد يقرأ الأصول والفقه والنحو والمعقول والمنقول، وفي عام ١٣٣٦هـ غادر خنيفرة إلى مدينة فاس، فمكث فيها سنتين يتعاطى أثنائها التدريس بالقرويين إلى عام ١٣٣٧هـ، وفي آخر سنة ١٣٣٩هـ فارق فاس.

وفي عام ١٣٤٠هـ وصل إلى أبي الجعد، فدرس بالجامع السليماني ومكث بها مدة سنة، تخرج على يده جماعات من أهل العلم، وفي عام

---

(١) وكان صوفيا.

١٣٤١هـ قصد الدار البيضاء فاستوطنها واتخذ مدرسة بالمدينة القديمة ازاء داره، وقصدته الطلبة من أنحاء المغرب للقراءة عليه، ثم انتقل إلى المدينة الجديدة بالبيضاء وأنشأ مدرسة أطلق عليها اسم "السنة" لتمييز منهاج دروسها وتعليمها، وتخرج على يده مئات من أهل العلم[١].

(١) ترجمة ابنه الحسن بتصرف ص٦_٧_٨.

المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه

شيوخه:

١- العالم الفقيه بوشعيب البهلولي.

٢- العلامة الفاطمي.

٣- العلامة محمد التهامي كنون.

٤- العلامة محمد بن جعفر الكتاني[١].

٥- العلامة أبي عبدالله محمد بن أحمد بن الحاج السلامي.

٦- العلامة البناني.

٧- العلامة أحمد الخياط.

٨- العلامة أبو محمد الفاسي.

٩- العلامة أبو شعيب الدكالي.

١٠- العلامة علي الدمنائي[٢].

تلامذته:

١- الفقيه عباس التادلي.

٢- المؤرخ محمد العبدي الكانوني.

٣- العلامة القاضي أبو العباس أحمد بن قاسم المنصوري.

٤- الفقيه علال التادلي.

٥- الشيخ عبدالرحمن بن الحاج الخنيفري.

٦- الشيخ محمد ناصر الزياني.

٧- الشيخ الجيلاني بن محمد النتيفي(أخو الشيخ).

٨- الفقيه الأديب القاضي محمد بن محمد النتيفي(أخو الشيخ).

٩- الفقيه محمد السمعلي.

١٠- الفقيه الجنيد.

١١- الشيخ بويعزى الرواضي.

---

(١) وكان صوفيا.

(٢) ترجمة ابنه الحسن ص٦_٩.

١٢- الفقيه صالح التادلي.
١٣- الشيخ أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن النتيفي(ابن الشيخ).
١٤- العلامة القاضي هاشم المعروفي.
١٥- القاضي محمد سعيد الزياني.
١٦- الزعيم محمد بن عبود التطواني.
١٧- الأديب الشاعر محمد بن عبدالقادر الدكالي.
١٨- الفقيه محمد الضرباني.
١٩- الأديب المدني الحمراوي.
٢٠- الشيخ المكي السرغيني.
٢١- الفقيه عيسى الزياني.
٢٢- الفقيه أحمد السعيدي.
٢٣- الفقيه محمد بن قانية.
٢٤- الفقيه محمد الشاتي.
٢٥- الفقيه بوبكر الحريزي.
٢٦- الأديب عبدالرحمن العياشي.
٢٧- الفقيه عبدالله بن عبو.
٢٨- القاضي عبدالرحمن بن منصور.
٢٩- الفقيه بلقزيز عبدالجليل المراكشي.
٣٠- الفقيه حسن.
٣١- الفقيه عبد الرحمن الدريوش.
٣٢- الفقيه محمد الزيراوي.
٣٣- الفقيه محمد بن المعطي الدكالي.
٣٤- الفقيه محمد حجي.
٣٥- الشيخ عابد السوسي.
٣٦- الفقيه حمو الحاج.

٣٧- الفقيه محمد بن علي.

٣٨- الفقيه محمد العتابي.

٣٩- الفقيه عبدالمالك الشرقاوي.

٤٠- الفقيه محمد السموني.

٤١- العلامة حسن عبدالرحمن النتيفي الجعفري (ابن الشيخ والمترجم له)[١].

(١) ترجمة ابنه الحسن ص١٢_٢٠.

المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه الفقهي

عقيدته:

الذي ظهر لي من عقيدة الشيخ/النتيفي-رحمه الله- من خلال ما قرأته لبعض كتبه أنه مرّ بطورين:

الطور الأول: أنه كان على عقيدة التصوف.

الطور الثاني: تحوُّلُه إلى عقيدة أهل السنة والجماعة على ما بقي عنده من بعض الأمور المخالفة للعقيدة، وهي آثار الطور الأول[1]. والله أعلم.

نماذج من كلام الشيخ في العقيدة:

١- (...ظهرت شراذم الباطنية الصوفية فأحدثوا مذاهب وأقوالا وفروعا وأصولا أكثرها لا يجري على ما كان عليه السلف ولا محققو الخلف...)[2].

٢- (قوله عن أهل السنة: إن الكبائر كلها كالصغائر في الغفران، أن يقال عليه: ليست كهي في غفران ولا غيره، بل الكبائر عندهم سبب في دخول النار تجردت من الصغائر أو كانت معها والصغائر لو تجردت وحدها لما كانت سببا في النار مكفرة باجتناب الكبائر، كما قال الله سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾...)[3].

مذهبه الفقهي:

---

(١) قال الشيخ/النتيفي –رحمه الله-: "ولهذا لا يشك عاقل منصف في النظر ما للاحترام والقبول إلى دولة السعوديين وإن تتابعت الأقارب، وبضده في دولة الهند وإن انتخبت؛ لما انتشر عن الأولى من العدل والأمان وإظهار الدين وإصلاح الدنيا، وعن الأخرى من إظهار الكفر والفجور".
انظر: أوثق العرى في تحقيق الأحكام المتعلقة بالشورى، ص: ٩٦.

(٢) ص: ١٤٨ من النص المحقق.

(٣) ص: ٣٥٠ من النص المحقق.

في بداية الطلب كان الشيخ على مذهب مالك وذلك شأن كل طالب علم في بداية طلبه، ثم لما اتسع علمه "لم يتقيد بمذهب بل كان يبحث مع الفقهاء الأكابر و يدور مع الدليل أين ما دار لا يفتي إلا بالراجح"[١].

(١) ترجمة ابنه الحسن، ص٩.

المبحث السادس: مكانته العلمية:

قال عنه ابنه الحسن -رحمه الله-: "هو الإمام العالم الهمام، الشيخ النظار المشارك، الدراكة الفهامة، المحقق النقاد، الحافظ العارف بالفقه والحديث والتفسير والبيان والبديع والمنطق والتصريف والعروض والهيئة والطبيعة وغير ذلك.

إذا تكلم في فن لا تحسبه يعرف سواه، بلغ درجة الاجتهاد والاختيار بحيث يرجح ويصحح ويضعف، ويفري بثاقب فهمه أديم المنقول، ويبهر بحفظه العقول، يأتي في دروسه بالترجيحات الشافية والأبحاث الوافية والفوائد الجمة والمستنبطات المهمة، جار ذلك مضمار كبار الأئمة ونصراء السنة، يأتي في تقريره للمسائل بجميع الاحتمالات والوجوه والتفاريع، حتى لا يترك شيئا في نفس السائل إلا أتى عليه وأناط به حكما، لا يفتر عن التدريس سفرًا ولا حضرًا، ولا يفارقه طلاب العلم في الظعن والإقامة، ولا يقوم جليسه إلا عن فائدة يفيده بها أو نصيحة يرشد لها، ناصرًا للسنة، قامعًا للبدعة، قد جعل الله الحق غالبًا على لسانه، وله في الذب عن حوزة السنة المواقف المشهورة، والآثار المحمودة التي لا ينكر فضله فيها إلا جاحد أو معاند، ومن لم يعرفه إلا من طريق الباغي والحاسد؛ لأن ذلك شأن الناس فيمن نصر السنة وقال الحق ولو كان مرًا.

وللشيخ مكانة سامية في الأخلاق الفاضلة، فهو حسن الأخلاق طيب الأعراف، لطيف المحاضرة، جميل المعاشرة، عذب الفكاهة، مليح النادرة، غاية في الجود والكرم، نهاية في الإثار وخصوصا طلبة العلم، فقد قاسمهم داره وخصهم منها بقسط يأوي إليه غرباؤهم، والشيخ مربّيًا ناصحًا، شفيقًا رحميًا، متين الصبر، كثير الاحتمال، يكتفي من أكله باليسير، قامعًا لنفسه من الشهوات"(١).

---

(١) ترجمة ابنه الحسن، ١/١١_١٢.

المبحث السابع: مؤلفاته

١- الحكم المشهور في طهارة العطور، وطهورية الماء المخلوط بالملح المسمى بالكافور.
٢- الاقتصار في جواز الشكوى والانتصار. ((موضوعه)): الرد على قوم زعموا أن شكوى العبد لله وللناس حين تمسه الضراء ليست من سمات الصالحين.
٣- حل إبرام النقض، في الرد على من طعن في سنة القبض. ((موضوعه)): الرد على الفقيه محمد الخضر الشنقيطي الذي ألف كتابا في نصر السدل، فأعلن الشيخ بنصرة وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة.
٤- الاستفاضة في أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرى بعد وفاته يقظة.
٥- ((موضوعه)):الرد على الامام السيوطي الذي زعم أن الرسول يرى بعد وفاته يقظة.
٦- تنبيه الرجال في نفي القطب والغوث والابدال. ((موضوعه)):كتاب نفيس ألفه الشيخ للرد على الصوفية الذين انتحلوا أسماء لشيوخهم كالقطب والغوث والكبريت الأحمر.
٧- لطف الله وهبته في الرد على قاضي أمزاب وشنيعته. ((موضوعه)):حول اتهام الشيخ بإنكار الاولياء الصالحين من طرف قاضي أمزاب آنذاك، ودره بإثبات أن إنكاره يتعلق بأولياء الشيطان.
٨- اللمعة في أن كل مكان تصح فيه الجمعة. ((موضوعه)): أفتى الشيخ بجواز الصلاة بجنبات المسجد والحوانت المحيطة به إذا إمتلأت رحابه، فقام بعض فقهاء الرباط وفاس وأفتوا بالبطلان فرد عليهم الشيخ بالمؤلف.
٩- الإلمام في رد ما الحقه مبتدعة زابان من العار بالإمام.((موضوعه)):الرد على التجانيين الذين أفتوا بعدم صحة الصلاة وراء القاضي العلامة الطيب العلوي، مما دفع بهذا إلى مكاتبة الشيخ فألف الكتاب في رد عليهم وأعلن أن عدم الانتساب إليهم هو السنة المثلى.

١٠- الذكر الملحوظ في نفي رؤية اللوح المحفوظ.((موضوعه)): الرد على ادعاء أحد فقهاء مكناس بأن الشيخ المجذوب دفين المدينة كان يرى اللوح المحفوظ.
١١- الإرشاد والسداد في فضل ليلة القدر على ليلة الميلاد.((موضوعه)): تفضيل ليلة القدر على ليلة الميلاد.
١٢- توشيح تزيين الأرائك في إرسال النبي للملائك.((موضوعه)): الرد على السيوطي في ادعائه أن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل إلى الملائكة وإلى الرسل قبله وإلى أممهم وإلى الحيوان والجماد.
١٣- القول الفائز في عدم التهليل وراء الجنائز.((موضوعه)): صواب تشييع الجنائز بالسكوت وعدم التهليل ورائها.
١٤- القول المعلوم في إباحة النظر إلى النجوم.((موضوعه)): تفسير قوله تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾.
١٥- كشف الخدر فيما وقع من الهرج في زكاة الفطر.((موضوعه)): فتوى الشيخ بجواز القيمة مع الكراهة ، لزكاة الفطر في حالة قلة القمح أو حتى بدون ضرورة.
١٦- التهاني في أجوبة الفقيه العثماني.((موضوعه)): الرد على رسالة الفقيه العثماني من أجلة فقهاء سوس وتتعلق الأجابة بالزكاة والفتوحات الصوفية.
١٧- السيف المسلول في الرد على من حكم بتضليل من ترك السيادة في صلاة الرسول.((موضوعه)): الرد على الفقيهين الحاج حمزة وزين العابدين بن عبود السلاوي في قولهم بضرورة ذكر السيادة.
١٨- المستغفر في بقاء الجنة وفناء جهنم.((موضوعه)): الخلاف حول بقاء الجنة وفناء جهنم بين الجمهور وبعض جماعات أهل سلف الأمة ومحقق الخلف.
١٩- المستغنم في رفع الجناح على المستخدم.((موضوعه)): جمع العصر مع الظهر بالنسبة للمستخدم الذي لا يتمكن من إقامة صلاة العصر بسبب ظروف عمله، وذلك تبعا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جمع بين المشتركين لغير عذر وجمعه بعرفة ومزدلفة بغير سبب.
٢٠- الأعلام في الرد على من حقر بعض شعائر الإسلام.((موضوعه)): الرد على مقال نشر بجريدة العلم هاجم فيه كاتبه سنة الأضحية.

٢١- المختار عند الأعلام في الحكم على السيكرو بالحرام.((موضوعه)): الرد على مؤلف الوزير الحجوي -رحمه الله-، الذي أجاز فيه السيكرو المعلوم للسلع وغيرها مطلقا اختيارًا، وأثبت الشيخ حرمته بالدلائل القاطعة وأنه لا يجوز إلا للضرورة كتأمين السيارات.
٢٢- الأجوبة الشافية على الأسئلة العباسية.((موضوعه)): الجواب على أسئلة علمية متعددة.
٢٣- القول الصائب في جواز طلب الجماعة بعد الراتب.((موضوعه)): إجازة الصلاة جماعة بعد صلاة الراتب.
٢٤- القول الجلي في الرد على من قال بتطور الولي.((موضوعه)): الرد على بعض الفقهاء المتصوفية الذين قرروا بأن من كرامات الأولياء التطور في أشكال شتى.
٢٥- المسائل البديعة في البحث مع أهل الهيئة والطبيعة.((موضوعه)): معارضة الشيخ للشيخ طنطاوي جوهري في مؤلفه "تفسير الجواهر" من إثباته أن المواد كلها متحركة لا ساكن فيها.
٢٦- الأبحاث البيضاء مع الشيخين عبده ورشيد رضا.((موضوعه)): الرد على بعض آراء الشيخين عبده ورشيد رضا.
٢٧- حكم السنة والكتاب في وجوب هدم الزوايا والقباب.((موضوعه)): الرد على فتاوى بعض الفقهاء التي أجازت بناء الزوايا والقباب على القبور.
٢٨- نظر الأكياس في الرد على جهمية البيضاء وفاس.((موضوعه)): تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾، ونصر الشيخ لقول السلف الذين يثبتون الصفة لله بغير كيف، وبالاستواء معلوم والكيف مجهول.
٢٩- الدرة الوهاجة في نفي صحبة بني ادغوغ ورجراجة وصنهاجة.((موضوعه)): نفي ادعاء القبائل أعلاه بنسبتها للصحابة.
٣٠- الفائدة المسموعة في لزوم الواحدة في الثلاثة المجموعة.((موضوعه)): حول طلاق الثلاث في كلمة واحدة.
٣١- شفاء الصدور في أن الشمس سائرة والأرض ساكنة لا تدور.((موضوعه)): حكم القرآن والسنة في طبيعة الشمس والأرض وحركتهما وسكونهما.

٣٢- الإرشاد والسداد في رخصة الإفطار مع القضاء للدراس والحصاد والمساجين المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة والمستخدمين في الأعمال المرهقة، وأفتى الشيخ في نفس المؤلف بصحة الصوم رغم تلقيح الصائم بالدواء سواء في العرق أو تحت الجلد.

٣٣- العور والقذى في عين من رخص الإفطار ولو بقليل من الأذى. ((موضوعه)): الرد على من أجاز الإفطار في رمضان ولو بقليل من الأذى، وبالأخص كتاب الشيخ علي المدعو "بخيت" المصري الذي أصدر فتوى الحادية بعدم وجوب صوم رمضان وأنه جائز فقط.

٣٤- إظهار الحق والانتصار في البحث مع صاحب توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والمفطار.((موضوعه)): الرد على كتاب محمد بن الصديق "توجيه الأنظار" الذي أوجب فيه توحيد الصوم والافطار على كافة المسلمين.

٣٥- مدلول السنة في السلام عليكم ورحمة الله.((موضوعه)):الرد على من أنكر التسليم بزيادة الرحمة والبركة.

٣٦- الميزان العزيز في البحث مع أهل الديوان المذكور في كتاب الإبريز للشيخ الدباغ عبدالعزيز.((موضوعه)): الرد على الشيخ الدباغ عبدالعزيز في كتابه "الإبريز" الذي أثبت التصرف للأولياء وأن لهم ديوانا يجتمعون فيه.

٣٧- النصر والتمكين في وجوب الدفاع عن فلسطين.((موضوعه)): الرد على فقيه من فاس صرح أن اليهود مظلومون وأن الأرض الفلسطينية لهم.

٣٨- الفضل والمنة بالبحث في حديث "لن يدخل أحدكم عمله الجنة". ((موضوعه)): تفسير الحديث المذكور.

٣٩- التقاليد المحتملة في بيان الدلائل المجملة.((موضوعه)): تفسير الأحاديث المجملة.

٤٠- خير المتاع في بيان أخطاء الفقيه بني السباع.((موضوعه)): الرد على الفقيه عبدالله السباعي في مؤلفه حول كرامات خارجة عن الشرع وما أورده في حق تلميذ الشيخ المؤرخ محمد العبدي الكانوني.

٤١- كشف النقاب في الرد على من خصص أزواج النبي بآية الحجاب. ((موضوعه)): تحرير المرأة والرد على آراء الفقهاء المنادين به.

٤٢- سيف النكال والزجر في الرد على من قال: لكي لا تحرثوا في البحر. ((موضوعه)): الرد على كتاب خالد محمد خالد المسمى "لكي لا تحرثوا في البحر"، وهو من أهم مؤلفات الشيخ يقع في نحو اثني عشر دفتر، ويتناول آراء المؤلف المذكور الملحدة للأوضاع الجديدة ونفيه لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية.
٤٣- إرشاد الحيارى في تحريم زي النصارى.((موضوعه)): التزيي بزي النصارى وآراء المسلمين في موضوعه.
٤٤- الإرشاد والتبين في البحث مع شراح المرشد المعين.((موضوعه)): الرد على شراح المرشد المعين في التوحيد وما قرروه من أن كلام الله ليس بحرف ولا صوت تبعا لمذهب المعتزلة.
٤٥- الأبحاث البينات فيما قاله عبده ورشيد رضا في تعدد الزوجات. ((موضوعه)): الرد على آراء الشيخين المذكورين في تعدد الزوجات.
٤٦- رد الطاعنين في سحر اليهود لسيد المرسلين.((موضوعه)): الرد على بعض الفقهاء في نفيهم لسحر اليهود لسيد المرسلين وتأكيد الشيخ لصفة السحر ونصره قول عائشة رضي الله عنها في الموضوع.
٤٧- العارفون والأبرار يعبدون الله طمعا في الجنة وخوفا من النار. ((موضوعه)): الرد على الفقيه بن عبود الذي صرح بمجلسه بأن العارفين يعبدون الله لا طمعا في جنته ولا خوفا من ناره.
٤٨- بحث الحق وأهله مع صاحب الحكم وشيعته.((موضوعه)): معارضة الشيخ لصاحب الحكم في حكم ألقاها مخالفة للشريعة.
٤٩- مناهج الرجال في الرد على الشيخ رحال.((موضوعه)): الرد على ما فسر به الشيخ رحال قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾.
٥٠- التبشير بالجنة لا يختص بالعشرة.((موضوعه)): الرد على بعض أهل العلم والرأي في زعمهم بأن العشرة هم المبشرون بالجنة.
٥١- المثاني والمثالث في مناقشة صاحب الخطبة وما فيها من مباحث. ((موضوعه)): الرد على خطبة ألقاها خطيب خلال تدشين مرسة وأخطأ فيها.
٥٢- فهرسته التي تشتمل على أسانيده ومروياته وإجازة العلماء له. ((موضوعه)): أسانيد الشيخ ومروياته وإجازاته العلمية.

٥٣- تحفة الرسائل في أنواع المسائل.((موضوعه)): فتاوى متعددة في مواضيع متفرقة.
٥٤- أوثق العرى في الأحكام المتعلقة بالشورى.((موضوعه)): الرد على من عارض الصحابة في مبايعة الخلفاء ونيابتهم عن الأمة، وأحكام الشورى ومتعلقاتها.
٥٥- تحفة الأصحاب.
٥٦- كتاب التذكير في جواب النكرة.
٥٧- الرسالة الشاقة في قمع شنقيط آية واقة.
٥٨- تحفة الأماني في الرد على صاحب التجاني.
٥٩- القول المؤيد في أن التيمم يرفع الحدث الرفع المقيد.
٦٠- إيقاض الهمم في أن عهود المشايخ لا تلزم.
٦١- تكملة كشف الصدور.
٦٢- البراهين البينات في أن الأنساب ظنيات لا قطعيات.
٦٣- حكم الحق والكتاب في طعام أهل الكتاب.
٦٤- البراهين العلمية في ما في الصلاة المشيشية.
٦٥- القول الفائز في التحليل الجائز.
٦٦- أصفى الموارد في الرد على غلو المطريين لرسول الله وأهل الموالد.
٦٧- كتاب الزهرة في الرد على غلو البردة.
٦٨- الحجج العلمية في رد غلو الهمزية.
٦٩- أحسن ما تنظر إليه الأبصار وتصفي إليه الأسماع في نقد ما اشتمل عليه ممتع الاسماع في الجزولي وأصحابه والتباع.
٧٠- الدلائل البينات في البحث في دلائل الخيرات وشرحه مطالع المسرات.
٧١- الحياة والغوث فيما هو الحق في تمني الموت[١].

(١) ترجمة ابنه الحسن، ٢٤_٣٦.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسم الكتاب وإثبات نسبته إلى مؤلفه.

المبحث الثاني: موضوع الكتاب وسبب تأليفه.

المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب.

المبحث الرابع: موارد المؤلف في الكتاب.

المبحث الخامس: قيمة الكتاب العلمية.

المبحث السادس: المآخذ على الكتاب.

المبحث السابع: وصف النسخ الخطية للكتاب.

المبحث الأول:

اسم الكتاب وإثبات نسبته إلى مؤلفه

اسم الكتاب وإثبات نسبته إلى مؤلفه:

سماه مؤلفه (كتاب الزهرة في رد غلو البردة) كما بيّن ذلك ناسخ المخطوط أبو عبدالله على الروداني في بداية نسخة المخطوط، وعنون له بذلك، وكذلك ذكره من ترجم له كابنه الحسن وزحل وغيرهما، في ضمن مؤلفات الشيخ وآثاره العلمية، ونسبوه إليه.

المبحث الثاني:موضوع الكتاب وسبب تأليفه

موضوع الكتاب:

يبحث الشيخ مخالفات البوصيري في غلوه في بردته بالنبي صلى الله عليه وسلم ورفعه فوق منزلته التي اختارها الله له، وكذلك غلوه في الأولياء والصالحين أحياء وأمواتًا، ودعوته إلى عبادة القبور.

أسباب التأليف:

١- انتشار البردة في العالم الإسلامي على ما فيها من المخالفات العقدية، وجهل الناس بها.
٢- بيان الحق الذي أوجبه الله على أهل العلم وأخذ عليهم موثقًا لتبيينه للناس وعدم كتمانه.
٣- بيان عقيدة السلف في مثل هذه المخالفات.
٤- فضح وتبين عور عقيدة التصوف، وما تحمله من هدم الإسلام وتشتيت أهله.
٥- الإسهام في تصحيح عقائد الناس مما علق بها من شوائب الشرك والبدع.

المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب:

لم يبيِّن المؤلف منهجه في الكتاب، ولكن من خلال الاستقراء والاطلاع على الكتاب تبين أن منهجه لا يخرج عن ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يذكر النظم من البردة للبوصيري.

القسم الثاني: يورد شرح النظم للباجوري والأزهري.

القسم الثالث: يعقب على نظم البردة وشرحهما.

المبحث الرابع: موارد المؤلف في الكتاب إجمالاً:

موارد المؤلف في كتابه، وهي ما يلي:
١- القرآن الكريم.
٢- السنة النبوية.
٣- كتب السنة: كالبخاري ومسلم وغيرهما.
٤- كتب أهل العلم: كالفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمة وكتب الطحاوي وغيرهما.
٥- كتب أهل البدع: كالبردة وشرحهما للباجوري والأزهري.
٦- كتب التفسير: كالتفسير لابن جرير الطبري، وتفسير ابن كثير وغيرهما.
٧- كتب الفقه: كمؤلفات ابن حزم وابن رشد وغيرهما.
٨- كتب السيرة النبوية: كالسيرة النبوية للحلبي، وشرح السيرة للمناوي.
٩- كتب الأدب العربي: كديوان المعاني لأبي هلال العسكري.

المبحث الخامس: قيمة الكتاب العلمية:

ترجع قيمة الكتاب العلمية، لثلاثة أمور:

الأول: مؤلفه عالم من علماء السنة.

الثاني: غزارة مادته العليمة.

الثالث: تضمن الكتاب الكثير من مسائل العقيدة.

الرابع: الكتاب من الكتب القلائل التي تناولت (البردة) كاملة، وأوضحت ما فيها من الغلو والشرك وردت عليه.

المبحث السادس: المآخذ على الكتاب:

ليس لطالب علم مبتدئ مثلي أن يبين ما وقع من الخطأ لهذا العالم الجهبذ الشيخ/عبدالرحمن بن محمد النتيفي-رحمه الله- في كتابه الزهرة في رد غلو البردة، ولكن حسبي بقول الناظم:

إن تـجـد عيبًا فسد الخللا　　　جل من لا عيب فيه وعلا

ومن الأمور التي تؤخذ على الكتاب:
١- ذكر الأحاديث دون تخريجها من مصادرها.

٢- عدم عزوه للآثار إلى مصادرها.
٣- الاستدلال ببعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة.
٤- استدلاله ببعض الأحاديث بالمعنى دون النص.
٥- ذكر الأعلام باسمه دون أبيه، أو ذكرهم بالكنى والألقاب.

المبحث السابع: وصف النسخ الخطية للكتاب:

النسخة التي وقفت عليها نسخة نادرة وهي قريبة من عصر ومكان المؤلف، وهي نسخة مغربية كتبت بالخط المغربي وكان الفراغ منها يوم الأحد الرابع عشر محرم الحرام عام ١٣٨٤هـ الموافق سنة:١٩٦٥م،كما ذكر ناسخها: محمد علي الروداني، وعدد لوحاتها(٧٥)،وعدد الأسطر(٢٣)سطراً في كل صفحة، وفي كل سطر اثني عشر كلمة.

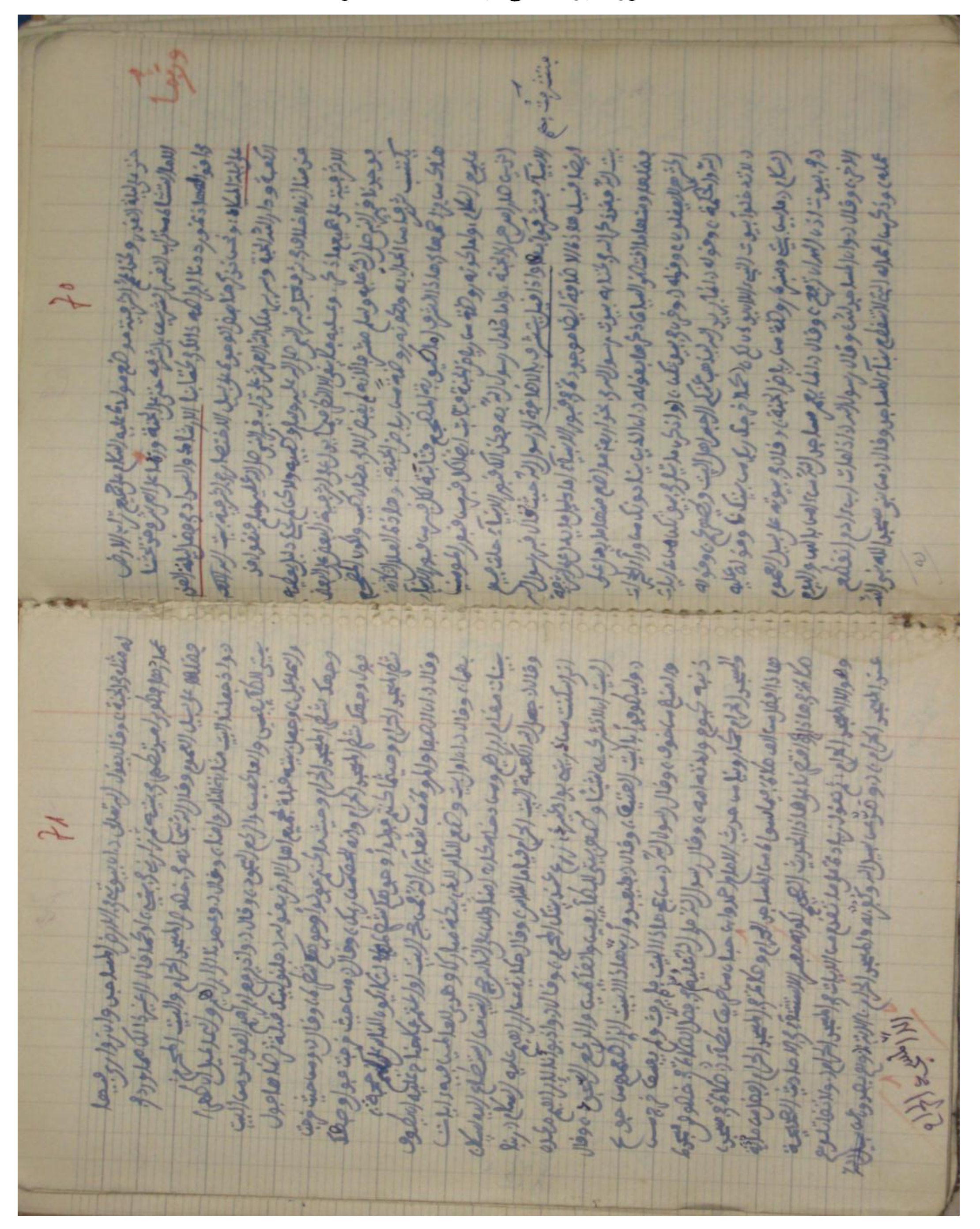
نماذج من المخطوط

صورة الورقة الأولى من المخطوط


بسم الله الرحمن الرحيم : وصلى الله على سيدنا محمد النبي وصحبه وسلم :

كتاب الزهرة في رد غلو البردة

صورة ورقة من وسط المخطوط



صورة الورقة الأخيرة من المخطوط



القسم الثانـي

قسم التـحقيق

(من بداية الكتاب إلى آخره)

فصل في البحث مع البوصيري[١]: ثم أردفناه بالبحث مع الشيخ الفاضل المادح لرسول الله ببردته وهمزيته[٢] أبي عبد الله سيد محمد بن سعيد المصري البوصيري تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي[٣] المتوفى عام ٦٩٥ هجرية، ومع بعض شراحه حين المقتضى لذلك:

فنقول مستمدين من الله العون والتوفيق:

قال الباجوري[٤] في مقدمة شرحه للبردة: "اعلم أنَّ مدحه صلى الله عليه وسلم لم يتعاطاه فحول الشعراء المتقدمين؛ لأن كمالاته صلى الله عليه وسلم لا تحصى، وشمائله لا تستقصى، ثم ذكر كلاما ينبئ أن كل

---

(١) أبو عبد الله، محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، نسبته إلى بوصير (من أعمال بني سويف، بمصر) وأصله من المغرب، مولده سنة(٦٠٨هـ) في بهشيم من أعمال البهنساوية، ووفاته بالإسكندرية سنة(٦٩٦ هـ)، له (ديوان شعر) وأشهر شعره البردة، شرحها وعارضها كثيرون، والهمزية.
انظر: الأعلام للزركلي ١٣٩/٦.

(٢) البردة: هي مؤلف من مؤلفات البوصيري، غلا فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقع في الشرك بالله تعالى؛ بل ادّعى في هذه البردة إلى طلب الإعانة من الموتى دون اللجوء إلى الله عز وجل، وغير ذلك مما اشتملت عليه هذه البردة من البدع والضلالات المخالفة لدين الله عز وجل.
الهمزية: اسمها: (الهمزية في مدح خير البرية)، وهي مؤلف من مؤلفات البوصيري، غلا فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلى الإشراك بالله عز وجل، ومن ذلك قوله فيها:
لك ذاتُ العُلُوم مِنْ عَالَمِ الغَيْب ومنـهـا لِآدَمَ الأسْمَـاءُ

(٣) أَبُو الْعَبَّاس، أَحْمد بن عمر بن مُحَمَّد الْأَنْصَارِيّ المرسي، وَارِث شَيْخه الشاذلي تصوفاً، الْأَشْعَرِيّ مُعْتَقَدًا، ولد سنة: ٦١٦هـ، توفّي بالإسكندرية سنة: ٦٨٦هـ.
انظر: الوافي بالوفيات للصفدي١٧٣/٧.

(٤) إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، شيخ الجامع الأزهر، نسبته إلى الباجور (من قرى المنوفية بمصر)، ولد سنة:١١٩٨هـ، توفي بالقاهرة سنة:١٢٧٧هـ.
انظر: الأعلام للزركلي ٧١/١.

مادح له عليه السلام مقصر في جنابه، إلى أن قال: فكل غلو في حقه تقصير، ولا يبلغ البليغ إلا قليلا من كثير"[1]. انتهى باختصار.

(بحث) ونحن نقول عليه أولا: ما ذكره من أن فحول الشعراء لم يتعاطوا مدحه لما قاله، تقدم ما فيه في الكلام على مولد الشيخ ابن جعفر[2].

ثانيا: لعل الصحابة[3] ومن بعدهم إلى البوصيري -رحمه الله- الذين تعاطوا مدحه لم يكونوا من فحول الشعراء.

ثالثا: قوله: لأن كمالاته صلى الله عليه وسلم لا تحصى الخ.

(بحث) يقال عليه: كل موجود يحصى حتى إذا لم يحص لمخلوق أحصي لخالقه ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الملك: الآية١٤]، ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ [سورة مريم: الآية ٩٣-٩٤]، بل أوصاف القديم[4] التي لا تحصى

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٢.

(٢) ابن جعفر: هو أبو عبدالله، محمد بن جعفر بن إدريس الكَتَّاني الحسني الفاسي، مولده (١٢٧٤هـ) بفاس، ووفاته (١٣٤٥ هـ) بفاس، له نحو ٦٠ كتابا، منها: (الرسالة المستطرفة)، و(المولد النبوي)، و(سلوة الأنفاس) في تراجم علماء فاس وصلحائها، (الأزهار العاطرة الأنفاس) في سيرة السيد إدريس، و(النبذة اليسيرة النافعة) في تراجم رجال الأسرة الكتانية.
انظر: الأعلام للزركلي ٧٢/٦.

(٣) الصحابة: لغة: (صحب) الصاد والحاء والباء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مقارَنة شيءٍ ومقاربته. من ذلك الصَّاحب والجمع الصَّحْب، كما يقال راكبٌ ورَكْب. ومن الباب: أصحب فلانٌ، إذا انقاد. وأَصْحَبَ الرَّجُل، إذا بلغَ ابنُهُ، وكلُّ شيءٍ لازم شيئاً فقد استصحبه.
اصطلاحاً: قال ابن حجر: «أصح ما وقفت عليه من ذلك أنَّ الصَّحابي: من لقي النَّبي - صلى اللهُ عليهِ وسلّم - مؤمنا به، ومات على الإسلام.
انظر:مقاييس اللغة -صحب-٣٣٥/٣، انظر: الإصابة٤/١.

(٤) القديم ليس من أسماء الله جل وعلا، لكنه من باب الإخبار.

=

للخلائق يعلمها الموصوف بها سبحانه، وعليه فالموجودات من الأوصاف والذوات يحصيها كلها خالقها كما يعلم ذاته وصفاته، والمخلوق قد يحصي بعضها ولا يحص بعضها.

رابعا: قوله: وكل غلو في حقه تقصير.

(بحث): يقال عليه ما قيل فيه حينما ذكره صاحب المولد قبله الذي من جملته ما يدل عليه عموم العبارة من أن من وصفه بصفة الله قد قصر في وصفه، وتعالى الله عن ذلك.

وكذا من غلا في حقه بوصفه بالأكاذيب فقد قصر كذلك، وكذا من جمع له بين كمالات الخلائق وصفاتهم التي لا يمكن أن يتصف بها جميعها، يقال في حقه: إنه مقصر وإن وصفه بالمحال.

ثم قال بعد كلام في حق البوصيري في بردته: "وإنما اشتهرت بذلك؛ لأنه لما نظمها بقصد البرء من داء الفالج[1] الذي أصابه، فأبطل نصفه/[١] حتى أعجز الأطباء، رأى النبي صلى الله عليه وسلم في

=

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ولا جاء اسم "القديم" في أسماء الله تعالى، وإن كان؛ فمن أسمائه الأول، والأقوال نوعان: فما كان منصوصا في الكتاب والسنة، وجب الإقرار به على كل مسلم، وما لم يكن له أصل في النص والإجماع لم يجب قبوله ولا رده حتى يعرف معناه. فقول القائل: القديم الأزلي واحد وإن الله مخصوص بالأزلية والقدم، لفظ مجمل. فإن أراد به: أن الله بما يستحقه من صفاته اللازمة له هو القديم الأزلي دون مخلوقاته فهذا حق، ولكن هذا مذهب أهل السنة والجماعة. وإن أراد به: أن القديم الأزلي هو الذات التي لا صفات لها لا حياة ولا علم ولا قدرة؛ لأنه لو كان لها صفات لكانت قد شاركتها في القدم ولكانت إلها مثلها. فهذا الاسم هو اسم للرب الحي العليم القدير ويمتنع حي لا حياة له، وعليم لا علم له، وقدير لا قدرة له، كما يمتنع مثل ذلك في نظائره. وإذا قال القائل: صفاته زائدة على ذاته فالمراد أنها زائدة على ما أثبته النفاة لا أن في نفس الأمر ذاتا مجردة عن الصفات وصفات زائدة عليها فإن هذا باطل، ومن حكى عن أهل السنة: أنهم يثبتون مع الله ذوات قديمة بقدمه، وأنه مفتقر إلى تلك الذوات فقد كذب عليهم".

انظر:منهاج السنة النبوية ١٢٣/٢.

(١) الفالج: هو ذهاب الحسّ والحركة عن بعضِ أعضائه.

انظر: فقه اللغة وسر العربية ١٠١/١.

منامه فمسح بيده عليه ولفه في بردته، فبرئ لوقته[1]، كما ذكره الناظم في تعليقه[2].

وقال بعضهم: الأولى أن يقال لهذه القصيدة: برأة؛ لأن المؤلف برأ بها، والتي حقها أن يقال لها: بردة؛ بانت سعاد التي هي قصيدة كعب بن زهير؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجازه عليها بردة حين أنشدها بين يديه[3]"[4]انتهى.

(بحث) ونحن نقول عليه: لا مانع أن يكشف الله الضر عن عباده بما شاء بغير واسطة، أو بواسطة تضرعٍ ودعاءٍ وابتهال؛ كون المضطر إليه بذلك كامل الإيمان أو ناقصه، طائعاً أو عاصيا، بل ولو كان كافراً؛ لأن رحمة الله وسعت كل شيء، والواقع يصدق ذلك وإن كانت رحمته إلى المحسنين أقرب، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأعراف: الآية ٥٦]،كما أن نزول العافية والنعمة بالعبد قد تكون بكلمة (كن) من الله فتكون، وقد يكون ذلك بواسطة ملك، أو إنسان يتشكلان بشكل مجهول أو معروف في المنام كهذه الرؤيا، ولا يلزم من ذلك أن يكون ذلك الشكل بروحه هو ما شاكله، بل الغالب أن تكون تلك الأشكال خلقها التي على أشكال تشبه الأشكال التي تشكلت بها من غير أن يعلم بذلك المشبه به، وقد يكون الروح والشكل هو الحاضر لذلك من المشبه به، بحيث يشكل الله روحه بشكلها المعروف أو بغيره، فيقع بلمسها أو رقيتها أو دعائها، فيحصل البرء مثلا، والغالب في مثل هذه الأمور التمثيل -كما تقدم- كما يكون البرء بالدواء، وبمضي أمد المرض مثلا، وعليه فما

---

(١) فإن ما حصل له إن ثبت فإنما هو من الفتنة له، إذ أن بردته مشتملة على الشرك، فكيف يجيزه النبي صلى الله عليه وسلم، ويكسوه بردة ويمسحه ويشفى.

(٢) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٢-٣.

(٣) قصيدة بانت سعاد قد قال عنها الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: "وهذا من الأمور المشهورة جدا، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه، فالله أعلم" اهـ. انظر: البداية والنهاية ٧٧٥/٤.

(٤) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٢.

وقع للبوصيري -رحمه الله- قد يكون من هذا الغالب، ولا يمنع ذلك إخباره بأنه النبي -عليه السلام-؛ إذ قد يكون ذلك ظنا منه، أو لتشابه صفاته بصفة الشكل المذكور، أو لقوله له: أنا النبي، وهو ملك، والملك نبي؛ لأنه بصدد الإخبار بما هو خير أو شر، أو بقبول ذلك المثل أنا نبي بمعنى مخبر لك بالشفاء، وقد يكون هو النبي -عليه السلام- لقوله: (من رآني فقد رآني حقا)[١]، ولاشك أنه رأى مثاله مثّله الله له، لا أن روحه خرجت من الجنة وخلا عنها موضعها وزوجت بجسدها فخرج من قبره وجاء إلى رائيه مناماً أو يقظة، وقد يكون ذلك بعرض الروح نفسها على الرائي متشكلة بشكلها المعروف أو غيره، وكل هذا لا يلزم منه أن تكون قصيدة البوصيري هذه بها، وقد يكون بتضرعه ولجوئه إلى الله تعالى، كما يكون ببعض ما تقدم ووافق ذلك هذا المنام المبارك/[٢]، كما لا يلزم من كون الرسول -عليه السلام- كان الواسطة في ذلك الشفاء أن تكون بردته كاملة كمالا لا يقبل نقصا ولا بحثا؛ إذ هذا لا يكون إلا في كلام الله أو فيما صح عن المعصوم، والمدار في الذوات والصفات على كون الحسن فيها أكثر لا على كونها كلها كمالا، وأين هو في غير ما ذكر قبله مع أن مع الشيخ بعض العذر؛ لكونه مجتهدا فيما قال لا معتمدا، وإن كان في اجتهاده خطأ يفحش تارة ويصغر أخرى.

كما يأتي هذا، ويمكن أن يكون ذاكر الرؤية المعلق على القصيدة من نفسه ونسبها إلى غيره جمع احتمال الخبر الصدق والكذب، يجوز هذا أن يكون في القصة، وهي كما يقال في قول القائل: الأوْلى أن تسمى هذه القصيدة برأة لا بردة، وإنما تسمى بها قصيدة كعب بن زهير؛ لكونه أجيز عليها من رسول الله ببردة، وجه التسمية لا يشترط فيه شدة الوضوح، بل يكفي في تسميتها بردة أنه لُف ببردة رسول الله كما جاء في خبره.

أقول: وقد قال الباجوري أيضا في مقدمة شرحه: "قد اشتهر ابتداء هذه القصيدة ببيت مشتمل على الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

---

(١) (مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ): متفق عليه: رواه البخاري: باب من رأى النبي ﷺ في المنام (٩/٣٣)، ورواه مسلم: باب قول النبي ﷺ (٩/١٧٧٦).

الحمد لله منشي الخلق من عدم ثم الصلاة على المختار في القدم[١]

وهو ليس منها؛ لأنه وإن كان ثناء حسنا في ذاته، إلا أن ابتداء القصائد به غير مستحسن عند الأدباء؛ لما جرت به عادتهم من افتتاح قصائدهم بذكر لوازم العشق من ذكر الأحبة وديارهم، ومقاساة الأحزان والأشواق وتحمل مكاره الفراق، ويسمون ذلك غزلا وتشبيبا، ويعدون هذا الصنيع من حسن المطلع؛ لاهتمامهم بشأن العشق واعتنائهم شدائده، ولذلك قال بعضهم: الشعر لا يبدأ بالبسملة والحمدلة"[٢] انتهى.

(بحث) ونحن نقول عليه أولا: لأنه وإن كان ثناء حسنا في ذاته إلا أن ...الخ، (تعقيب) يقال عليه: إذا اختلف الأدباء مع الشرع والأدبُ كان تقديم الثاني أولى بالصواب[٣].

ثانيا: إذا كانت علة استحسان الترك عندهم هي التغزل، كان ذلك ظاهرا فيما إذا كان التغزل قبيحا يحكم عليه بالحرمة أو الكراهة/[٣]، أما إذا كان مباحاً أو مندوباً إليه بحيث يكون خالياً من الوصف المتقدم واتصف بالإباحة أو الندبية أو ما فوقها، فلا تظهر فيه تلك العلة، كما لم يظهر فيه معناها وإن سُمي به، وهنا القصيدة ليست تغزلا، وإنما هي تحنن وتواجد وتباكي على ما فات، أو تباعد، أو لم يبق منه إلا الآثار والإطلال من الأحبة وديارهم في الله، لا في العشق التغزلي والتشببي، فهو بمنزلة قول المتحسر على ذهاب الأحبة من وقف على آثار ديارهم:

قف بالديار فهذه آثارهم تبكي الأحبة حسرة وتشوقا
كم وقفت بربعها مستخبرا عن أهلها أو سائلا أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى في رسمها فارقت من تَهوى فعز الملتقى[٤]

---

(١) انظر: حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٣.

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٣.

(٣) يقصد الشيخ هنا تقديم الشرع على الأدب.

(٤) هكذا في المخطوط، لكن الأصح ما أثبت هنا، قال أبو عبد الله الطبري: قال رجل لأبي محمد الحريري - رحمه الله -: كنت على بساط الأنس، وفتح لي طريق إلى الانبساط، فزللت زلة، فحجبت عن مقامي، فكيف السبيل إليه؟ دلني إلى الوصول إلى ما كنت عليه. فبكى أبو محمد، وقال: يا أخي الكل في قهر هذه الخطة، وفي أسر هذه الرزية، ثم شهق، وسكت ساعة، ثم أنشد:

=

وهب أنها تغزلية لبدئها بقوله:

أمن تذكر جيران بذي سلم[1]

فإن المدار في الشيء على أكثره والحكم له؛ لأنه الغالب لا لأقله، وغالبها من غيها إن لم نقل كلها، وعلى تسليمهم هذا فيها فلم خالفتم مقتضى وصفها ذلك، حيث تركتموه مع وجودها وهو ترك البيت المشتمل على الحمدلة والصلاة (على) رسول الله وذكرتموه كما أخبرتم بأن قراءها اعتادوا بدأها به.

وكل أمر ذي بال يستحسن فيه البدء ببسم الله، وحمده، والصلاة على رسوله، بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى كُلف ومشقة، كذكر ما ذكر مع كل كلمة قصرت أو طالت كان لها بالا أو لم يكن، أو مع كل فعل يحصل بذكرها معه ما ذكر، فإن لم يكن له بال بأن كان كلاما لا معنى له، أو معناه ركيك، أو مشتمل على كراهة أو تحريم، أو فعلا كذلك، أو خارما للمروءة، فلا يشرع فيه ذلك، بل قد يكره أو يحرم.

وهذه القصيدة ذات بال فقد يظهر أن تعليل الترك فيها من المصنف، إما لترك الكُتاب له، وإما لاستغنائه عنه باللفظ، وإما لكون ترك المستحب لا يكره ولا يحرم، وإما لعلمه بشدة ضعف الدليل عليه، (وهو كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله)[2] الخ.

فإن قلت: إذا كان واهي الدليل فما الدليل على شرع ذلك في أكثر الأمور ذوات البال الشرعية والعادية؟.

قلنا: ورد ذلك فيها على سبيل الخصوص كما دل على ذلك الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٢١]، وكمجيء السنة كثيرا بذلك، كقوله -عليه السلام- للآكل: (سمّ

=

قف بالديار فهذه آثارهم	نبك الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل مُخبراً	عن أهلها أو صادراً أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى في رسْمها	فارقت من تَهوى فعز الملتقى

انظر: المنازل والديار ١/٢٠.

(١) انظر: شرح البردة ص٩٧.

(٢) ضعيف جدا، ضعفه الإمام الألباني في الإرواء (٢٩/١).

الله تعالى وكل بيمينك/[٤] مما يليك)[١]، وهو كثير والقصائد والخطب تدخل في عموم ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧﴾ [سورة الحج: الآية ٧٧]، وفي القياس على غيرها مما ذكر فيه ذلك، وعليه فالأصح ذكرها هنا، وعدم ذكر المصنف لها تقدم الاعتذار عنه، وذكر التغزل بالنساء في القصائد إن كان فيه قول قبيح أو فتنة لصاحبه أو خرم مروءة لقائله فلا ينبغي، وإلا فلا، وعلى ذلك كانت القصائد تقرأ على رسول الله ولا ينكرها، حيث لا قول ولا فعل قبيح فيها، ولا فتنة لسامعه، ولا فيه تعين خدن أو حليلة يكون به خرم مروءته.

ثم قال الباجوري في شرح:

أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة   وأومض البرق في الظلماء من إضم[٢]

"وفائدة هذين البيتين أنهما يكتبان في جام[٣]، أي: قزاز، ويمحيان بماء المطر، ويسقى الممحو للبهيمة التي صعب تعليمها وتذليلها، فإذا شربت ذلك ذلت وانقادت وتعلمت بسرعة، وإذا كان عندك عبد أعجمي وعسر عليك تعليمه كلام العرب، فاكتب هذين البيتين في رق غزال، ثم علقه على عضده الأيمن، فإنه يتكلم بالعربية في أسرع وقت"[٤]، إلى أن قال: "وفائدة الأبيات الخمسة التي أولها (فما لعينيك) أن الرجل إذا اتهم زوجته أو بنته أو عيلته كتب هذه الأبيات في ورقة من ورق الأترج[٥]

---

(١) متفق عليه. رواه البخاري، باب: التسمية على الطعام والأكل باليمين، (٦٨/٧/٥٣٧٦). ورواه مسلم، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما، (١٥٩٩/٣/٢٠٢٢).

(٢) انظر: شرح البردة ص٩٧.

(٣) الجام: ناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها. انظر: المعجم الوسيط باب الجيم ١٤٩/١.

(٤) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٥.

(٥) وهي: شجر يَعْلُو، ناعم الأغصان وَالْوَرق وَالثَّمر، وثمره كالليمون الكبار، وهُوَ ذهبي اللَّوْن، زكي الرَّائِحَة، حامض المَاء.

=

ووضعها على يد المتهوم اليسرى وهو نائم ويجعل أذنه في فمه، فإنه ينطق بجميع ما فعل في غيبته خيرا أو شرا، وكذا إذا سرق له شيء واتهم أحدا أو شك في أحد، فليكتب هذه الأبيات في جلد ضفدع مدبوغ، ويأخذ لسان الضفدع ويصره[١] في الجلد المذكور، ويعلق ذلك الجلد في عنق المتهوم، فإنه يقر في ساعته لدهشته"[٢].

ثم قال في قول البوصيري:

نعم سرى طيف من أهوى فأرَّقَني   والحب يعترض اللذات بالألم[٣]

"وفائدة هذا البيت: أن من كررها بعد صلاة العشاء حتى يغلب عليه النوم فإنه يرى المصطفى -صلى الله عليه وسلم- في منامه إن شاء الله تعالى"[٤].

كما قال في قوله:

يا لائمي في الهوى العذري معذرة   مني إليك ولو أنصفت لم تلم[٥]/

"وفائدة هذا البيت وما بعده: أنك إذا رأيت منكرا ولم تقدر ، [٥] ى إزالته فاكتبها في ورقة بزعفران ومسك وماء ورد ويكون تفصيل الورقة دائر، ثم اجعلها بين عينيك تحت العمامة، فتقوى على إزالته بإذن الله، وإذا أردت أن تقهر نفسك على إقامة شعائر الدين فواظب على

=

انظر: المعجم الوسيط باب الهمزة، ٤/١.

(١) كلمة [يصر] معناها: (صَرَّ) الصَّادُ وَالرَّاءُ أُصُولٌ: الْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ صَرَّ الدَّرَاهِمَ يَصُرُّهَا صَرًّا. وَتِلْكَ الْخِرْقَةُ صُرَّةٌ. وَالَّذِي تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ الصِّرَارُ، وَهِيَ خِرْقَةٌ تُشَدُّ عَلَى أَطْبَاءِ النَّاقَةِ لِئَلَّا يَرْضَعَهَا فَصِيلُهَا. يُقَالُ: صَرَّهَا صَرًّا. وَمِنَ الْبَابِ: الْإِصْرَارُ: الْعَزْمُ عَلَى الشَّيْءِ.
انظر: مقاييس اللغة: ٢٨٢/٣.

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٨.

(٣) انظر: شرح البردة ص٩٨.

(٤) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٩.

(٥) انظر: شرح البردة ص٩٩.

قراءتها خلف كل صلاة"[1].

ثم قال في قوله:

محضتني النصح لكن لست أسْمعه إن المُحب عن العذال في صمم
إن اتهمت نصيح الشيب في عدل والشيب أبعد في نصح عن التهم[2]

فائدة: "وفائدة هذين البيتين: أنك إذا أحببت شخصا في الحال وتستحيي منه ومن الناس أن تكلمه، فاكتبها في ساعة الزهرة في صفحة من نحاس، وامح تلك الصفحة بماء المطر واشربها، فإنك تقوى على المحبوب وتجتمع به، ولا تخش من أحد أبدا، وتفشي إليك سرك، وتبلغ منه مقصودك إن شاء الله"[3].

ثم في قوله:

فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهرم[4]

فائدة: "وهذا البيت والاثنان بعده خاصيتهما أن من كانت نفسه غالبة عليه وامتنعت من التوبة، وعجز عن مخالفة النفس، فليكتب الأبيات الثلاثة يوم الجمعة بعد الفراغ من صلاتها، ويمحوها بماء الورد ويشربها، فإذا شربها استمر جالسا مستقبل القبلة حتى يصل العصر والمغرب، ويذكر الله تعالى، ويكرر هذه الأبيات في بعض الأوقات أيضا، فإنه لا يفارق هذا المجلس إلا وقد انقادت نفسه، وحسن حالها إن شاء الله تعالى، ويوفقه الله للتوبة"[5].

ثم قال في قوله:

من لي برد جماح من غوايتها كما ترد جماح الخيل باللجم[6]

"وفائدة هذا البيت والاثنين بعده: أن من أكثر تلاوتها عند شروحه

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٩-١٠.

(٢) انظر: شرح البردة ص٩٧.

(٣) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص١١.

(٤) انظر: شرح البردة ص١٠٠.

(٥) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص١٢.

(٦) انظر: شرح البردة ص١٠٠.

في إزالة منكر مفتتحا تلاوتها عشر مرات، فإنه إلى الهيبة والقبول بالكمال بإذن الله تعالى"[1].

ثم قال في قوله:

كم حسنت لذة للمرء قاتلة   من حيث لم يدر أن السم في الدسم[2]

فائدة: "وفائدة هذه الأبيات الثلاثة أن من واظب على قراءتها خلف كل صلاة مكتوبة عشر مرة، استقام أمره على الكتاب والسنة، وجعله الله آمنا من الأهواء والبدع"[3].

ثم قال في قوله:

واخش الدسائس من جوع ومن شبع   فرب مخمصة شر من التخم[4]

"وهذا البيت والذي بعده خاصيتهما أن من قسا قلبه واستولت عليه نفسه وكررهما ليلة الجمعة عند السحر فإنه لا يصبح إلا وقد رأى رقة في قلبه، وكسرا في نفسه، ونهوض أعضائه في العبادة/[٦]، وندم على ما فرط وتاب الله عليه"[5].

ثم قال في قوله:

وخالف النفس والشيطان وأعصهما   وإن هما محضاك النصح فأتّهم

ولا تطع منهما خصما ولا حكما   فأنت تعرف كيد الخصم والحكم[6]

"وخاصية هذا البيت والذي بعده أن من واظب عليهما غلب على نفسه وشيطانه ورزقه الله الحفظ منهما إن شاء الله"[7].

ثم قال في قوله:

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص١٣.

(٢) انظر: شرح البردة ص١٠١.

(٣) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص١٦.

(٤) انظر: شرح البردة ص١٠٢.

(٥) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص١٦-١٧.

(٦) انظر: شرح البردة ص١٠٢.

(٧) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص١٨.

ولا تزودت قبل الموت نافلة ولم أصلّ سوى فرض ولم أصم[1]

"وخاصية هذا البيت واللذين قبله: أن من دخل العجب أو الرياء في علم أو عمل كتبها عند طلوع الفجر وكررها إحدى وسبعين مرة ثم علق ذلك المكتتب على عضده الأيسر مائلا لجهة جنبه، فإنه يتواضع حينئذ ويصير آمنا من العجب والرياء"[2].

ثم قال في قوله:

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم[3]

"وخاصية هذا البيت والأربعة بعده: أن من ثقل عليه قيام الليل وغلب عليه النوم والكسل ولازالت نفسه تمتد لراحة الدنيا، فليكتب هذه الأبيات في لوح، ويجعله عند رأسه، فيتزين له حينئذ العمل الصالح، وتحدثه نفسه بأمور الآخرة"[4] انتهى.

من خواص هذه الأبيات وخواصها التي ذكرها ثم إذا أعاد إلى ذكر فوائد أخرى عدنا إلى البحث معه فيها.

ونحن نقول على المذكورات هنا:

أولا: من أنبأ ذاكرها بها إن كان الله سبحانه فليس نبي حتى يُنبئه الله بذلك وغيره، وإن كان رسول الله فما أبعدها دعوى؛ لكونه لم يلق رسول الله لقيا يبين له فيه ذلك، لا في زمانه ولا في زمان الذاكر يقظة ولا مناما؛ إذ الأول ممنوع، والثاني لا ينضبط غالبا، وبعيد من رسول الله أن يمضي وقته في مثل هذه الخواص على أنه لم يدّع ذلك، ولو ادعاه في المنام لأمكن، ولكن يجيء فيه ما تقدم، وعليه فلم يبق إلا دعوى التجربة، وعلى دعواها يقال: من المجرب إن كان ناظم الأبيات فلم لم تنسب إليه، وإن كان غيره فمشترك بين الذاكر وغيره، وعلى كل حال لو كان ذلك بالتجربة لشاع ذلك وذاع ونقل بالتواتر؛ لتوفر الدواعي على نقله، وكيف لا والبردة مشهورة بين الناس من عصر نظمها إلى وقت

---

(١) انظر: شرح البردة ص١٠٣.

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٢٠.

(٣) انظر: شرح البردة ص١٠٤.

(٤) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٢١.

كتب هذه السطور، بل وبعده/[٧] لحكم العرف بذلك مع رغبة الناس في مثل هذه الخواص؛ لما يترتب عليها من المنافع المتقدمة، وكون ذلك لا يعرف إلا بمطالعة هذا الشرح، ومثله ينافي ما تقدم.

ثانيا: لو كان الأمر كما ذكر، لأغنى ذلك عن ارتكاب الأسباب الجالبة لتلك المنافع، والدافعة لتلك المضار، وبالخاصة من جانب الناظم إذا علم بذلك تجربة منه ومن غيره؛ إذ وقتئذ لا يحتاج إلى دفع ما عقده في الأبيات التي ضمنها ظلمة السنة، حيث لم يصل ولم يصم إلا فرضه، وإن نفسه الأمارة بالسوء لم تتعظ بنذير الشيب والهرم، ولا أعدت من الفعل الجميل قرى ضيف ألم برأسي غير محتشم.

وقوله:

من لي برد جماح من غوايتها   كما ترد جماح الخيل باللجم

بل كان يكفيه في التخلق بضد هذه الآفات، والتخلص من الكسل عن نوافل الخيرات أن يكتب على النمط الذي ذكره شارحه تلك الأبيات.

ومن البعيد أن لا يطلع ناظمها وصارف أوقاته في جمعها على تلك الفوائد، ويطلع عليها أجنبي منها.

ثالثا: ما يقال أن هذه الفوائد كغيرها ما عسى أن يذكر بعد لهذه الأبيات لم يشتهر ذكرها، ولا القريب منها في خواص آية القرآن العظيم، وإن كان له أسرار وخواص فوق كل الأسرار والخواص.

رابعا: ما يقال في كل فائدة بخصوصها، كترويض البهيمة وتعليم الأعجمي العربية، بمجرد كتابة البيتين المتقدمين بالكيفية المذكورة، من أن هذا لو نجحت تجربته لما خفي على مروض البهائم وعلى أهل العجمة، ولسارع الناس إلى ذلك؛ لأنه من المنافع العظيمة والفوائد الجمة، وبشيء من ذلك لم يشتهر، وكاتهام الرجل أهله بالفاحشة، أو غيره بالسرقة، فيصنع بهما ما ذكره في الفائدة الثانية الأبيات الخمسة التي أولها: فما لعينيك إن قلت أكففا همتا، وهذا الصنع يقال فيه: لا يجوز شرعا ولا طبعا؛ إذ هو نوع من المجاهرة بالفسوق والعصيان، وقد قال رسول الله فيما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة: (كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من الجهر أن يعمل الرجل بالليل ثم يصبح وقد ستره الله تعالى فيقول: عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه

ويصبح يكشف ستر الله عنه)[1]، ومن هتك الأستار التي يحب الله أن تستر.

وفي الصحيح عن رسول الله: (ومن ستر مسلما ستره الله عزوجل في الدنيا والآخرة)[2].

وعن رسول الله: (من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته)[3]، وإن كان ينبغي للرجل أن يتحفظ بكل ما يمكنه أن يصل إليه من أهله ما يشينهم ويشينه، غير أنه لا يصل بذلك إلى هذه النوع من التجسس وهتك الحرمات، وإلزام أهله أن يقروا بما هو قبيح في حقه وحقهم، على أن ذلك الصفح إلى السحر أقرب إن لم يكن منه بعينه، كما أنه لا يترتب عليه ما أقر/[٨] به ولا حكمه؛ لأنه إذ ذاك بمنزلة من لا عقل له، كالسكران والمجنون والنائم، وقر ذلك الأصل له، وإنما هو من ضعف العقل بسبب ما صنع بقائله كالهذيان، وأقوال المتكلم بين النوم واليقظة، ولا يؤخذ بإقراره إلا إذا من ذلك وأقر به بشروطه، والقرائن الضعيفة لا يترتب عليها حكم، وتجويز هذه الفائدة لهذه الأبيات يجعلها مطية للسحر والشعوذة، لا سببا للأجر والثواب.

الفائدة الثالثة: وكقوله في الفائدة الثالثة: أن من كرر: نعم سرى طيف من أهوى فآرقني البيت، بعد صلاة العشاء يرى الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

(بحث) وهذا يقال عليه: ربما قرأ الرجل كتاب الله من أوله إلى آخره مرة أو مرارا ولم ير رسول الله في المنام، فكيف بهذا البيت الذي لا يساوي حرفا من كتاب الله، قد يرى ذلك إذا تعلق قلبه غاية التعلق مع

---

(١) صحيح البخاري، باب: ستر المؤمن على نفسه (٢٠/٨/٦٠٦٩). وصحيح مسلم باب: النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، (٢٢٩١/٤/٢٩٩٠).

(٢) رواه مسلم، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن. (٢٠٧٤/٤/٢٦٩٩).

(٣) رواه أبوداود، باب: في الغيبة. من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه (٢٧٠/٤/٤٨٨٠)، رواه أحمد (مسند أبي برزة الأسلمي) (٢٠/٣٣/١٩٧٧٦)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٣٢٣/٢).

زائد عليه أو بلا زائد، وإذا رأى فقد يرى الحق، وقد يرى الخيال الذي كان يتخيل في قلبه ويردده فيه حتى ينام عليه، ومن تعلق قلبه غاية التعلق رأى ذلك بمجرد ما تنام عيناه، وليس هو عين ما يطلبه، وإنما هو شخص ما شخصه بقلبه وأسر عليه كالعطشان والخائف، فإنهما بمجرد ما ينامان يرى هذا المياه كأنه يشربها، وهذا ما يخيفه كأنه يضربه أو يطلبه.

الفائدة الرابعة: المأخوذة عند الشارح من قوله: يا لائمي في الهوى العذري وما بعده، من أنها تقوي على تغيير المنكر وعلى إقامة شعائر الإسلام، فإنه يقال عليها: ما أحوج الناس إلى هذه الفائدة الجليلة التي تعينهم على معروفين عظيمين في الشريعة، وخلق كريم يتخلقون به، ولكننا نراهم أهملوا هذه الفائدة مع أنه يحق لها أن تطلب بالسيوف، وتكتب بسواد العين، وتشترى بالذهب والإبريز[١]، ويظهر أن ذلك لو كان حقا ودلت عليه التجربة ما أهملوه.

الفائدة الخامسة: وكالفائدة التي نسبها الشارح لقوله: محضتني النصح الخ، ولقوله: إن اتهمت الخ. هذه الفائدة إن أخذت على عمومها كانت في الحلال والحرام، ولكن الظاهر منها ومن ألفاظها أنها في الحب الحرام، وعليه فيكون البيت معينا على الفحشاء بعدما يعد من أنواع السحر/[٩] والشعوذة، وكيف يناسب هذا قصيدة يمدح بها رسول الله ويتقرب بها إلى الله.

الفائدة السادسة: وكالفائدة التي ذكرها لقوله: فإن أمرني بالسوء ما اتعظت الخ. من أن كتابة هذه الأبيات إلى آخر ما قاله فيها تتسبب في حصول التوبة ورد النفس الأمارة بالسوء مطمئنة، فإنه يقال عليه: ما أسهل هذا الدواء، وما أنجع هذا العلاج في هذا الأمر العظيم الذي أعيا طلبه العلماء والصالحين، وبذلوا طاقتهم من المجاهدة بأنواع القربات، ومع ذلك لم يحصل فيه إلا الفذ النادر، فليت شعري أين غابت عنهم هذه الفائدة، ومفيدها وذاكرها عنه مشهور أن بين أيديهم وأيدي غيرهم، ولم يلقوا لها بالا ولا أعاروها سمعا.

الفائدة السابعة: وكالفائدة السابعة التي ذكرها لقوله: من لي برد جماح من غوايتها كما ترد جماح الخيل باللجم الخ، من قرأها العدد

(١) الإبريز: الذَّهب الخالِص. ينظر: تهذيب اللغة، باب: الهاء والزاي،٦/٢٧٨.

المذكور بالكيفية المذكورة يرزق الهيبة والقبول لتغير المنكر، فإنها قال عليها ما قيل في الفائدة التي ضمنها تقوية تغيير المنكر.

الفائدة الثامنة: وكالفائدة الثامنة التي ذكرها لقوله:

كم حسنت لذة للمرء قاتلة   من حيث لم يدر أن السم في الدسم

التي ضمنها أن من قرأها خلف كل صلاة استقام على الكتاب والسنة، وكان مأمنا من الأهواء والبدع، يقال عليها: لقد قرأ الناس كتاب الله مرارا، والكتب الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تكمل لهم تلك الاستقامة ولا آمنوا من الأهواء والبدع، ولئن سلمنا له هذا، لكان الأجدر بمن أراد هذا الفوز العظيم أن يشد المطايا ويرحل الرحالات في طلب هذه الأبيات، ولكن ما سمعنا بمن يفعل ذلك.

الفائدة التاسعة: وكالفائدة التاسعة التي ذكر فيها أن من قرأ فيها واخش الدسائس من جوع ومن شبع، والبيتين بعده وكررهما ليلة الجمعة سحاراً وكان قاسي القلب لا يصبح إلا وقد رق قلبه، وتاب إلى الله، وندم مما كان فيه، إلى آخر ما قال، فإنه يقال عليه: ما أعظم هذا الترياق(١) الذي يذهب بهذه الآفات، ويزيل سواد هذه العاهات، ويبدل سيئاتها حسنات الذي لا يوجد في أكثر القربات، وأكبر المجاهدات، إلا بعد التي والآتية والمخالفات والمجاهدات العالية، ولكن لو دل عليه وعلى غيره مما تقدم دليل يركن إليه وتطمئن القلوب به، لا بمجرد الدعاوى بلا بينات والأقوال الزائفات.

الفائدة العاشرة: وكالفائدة العاشرة التي قال فيها: أن من واظب على مخالفة/[١٠] النفس والشيطان وعصاهما، والبيت الذي بعده غلب على نفسه وعلى الشيطان، فإنه يقال عليه: لا أعجب من هذا السيف القاطع لرأس الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، حيث لم يتصف غيره من النظم والنثر بهذا الوصف، ولا تيقن أن من قرأ من القرآن ما قرأ، ومن حديث الرسول كذلك يقطع ذينك الرأسين ويأمن من شرهما، ولو صح هذا لكنا المقهورين للنفوس والشياطين المفرطين في طلب ما يدفعهم عنا، وينبغي لمن هذا حاله أن يجرب هذه المقالات، وجرب ففي التجريب علم

---

(١) الترياق: ما يستعمل لدفع السمّ من الأَدوية والمعاجِين، ويقال درياق، بالدَّال أيضاً.
لسان العرب ٣٢/١٠.

الحقيقة.

الفائدة الحادية عشر: التي ذكرها في قوله: ولا تزودت قبل الموت نافلة الخ، والبيت قبله: أن من كتبها عند طلوع الفجر وكررها إحدى وسبعين مرة، إذا كان به العجب والرياء تواضع وأصبح آمنا منهما، فإنه يقال عليه: ما قيل فيما قبله من نفي الدليل على ذلك، ومن كون ذلك لم يقع مع أعظم وأكبر من هذه الأبيات فضلا عنها.

الفائدة الثانية عشر: وكالفائدة الثانية عشرة التي يقول فيها: خاصية هذا البيت وهو ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى أن اشتكت قدماه الخ، والأربعة بعده: أن من ثقل عليه قيام الليل وغلب عليه الكسل إلى آخر ما قال، فليكتب هذه الأبيات في لوح ويجعله عند رأسه، فإنه يسهل عليه القيام، ويطرد عنه الكسل، وتتيسر له الأعمال الصالحات، فإنه يقال عليه: ما قيل فيما قبله" انتهى.

البحث في الفوائد المذكورة ونوجهه إلى بعض أبيات الناظم، فنقول: أولا:

وراودته الجبال الشم من ذهب   عن نفسه فأراها أيّما شمم[1]

يقال عليه: قد ذكر الشارحان الباجوري والأزهري[2]: أنها جاءت أحاديث تدل على أن جبال مكة وبطحاءها عرضها التي عليه أن تكون له ذهبا وفضة، فاختار أن يكون عبدا يشبع تارة ويجوع أخرى، وبعضهما وصف الأحاديث بالصحيحة، وبعضها نسب ذلك الأحاديث بما يدل على ضعفها، فلا جدال فيها، وإن كانت خاصة برواية الشفاء فلا دلالة فيها على الصحة؛ إذ في الشفاء الصحيحة، وقد يكون فيها

---

(١) انظر: شرح البردة ص١٠٤.

(٢) خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين، وكان يعرف بالوقاد: نحوي، من أهل مصر. ولد بجرجا (من الصعيد)سنة:٨٣٨هـ. وتوفي عائدا من الحج سنة:٩٠٥هـ، له (المقدمة الأزهرية في علم العربية) و (موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب) و (شرح البردة).
انظر: الأعلام للزركلي ٢/٢٩٦.

الضعيف والموضوع[1].

ثانيا: قوله/[١١]:

وأكدت زهده فيها ضرورته إن الضرورة لا تعدو على العِصَم[2]

يقال عليه: بعد ذكر معناه وهو أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دل على زهده في الدنيا ذلك العرض المتقدم، حيث اختار غيره كما تأكد هذا الزهد منه بضرورته إلى الدنيا، والمحتاج إلى الشيء يرغب فيه، وحيث لم يرغب هو فيه، دل على شدة زهده بالوجهين المذكورين، غير أن الباجوري قال في شرحه: "إن الضرورة لا تعدو على العِصَم ما معناه:

---

(١) أورد الباجوري في حاشيته على شرح البردة (ص٢١-٢٢) أحاديث احتج بها على عرض الجبال على النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون ذهبا وفضة له، وهي ما يلي:

- أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((عرض عليّ ربي بطحاء مكة ذهبا، فقلت: لا يارب، ولكن أجوع يوما وأشبع يوما، فإذا شبعت حمدتك، وإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك)).
- أن جِبْرِيل -عليه السلام- نزل عليه -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ له: إِن الله يقْرئك السَّلَام وَيَقُول لك: أَتُحِبُّ أَن تكون لك هَذِه الْجبَال ذَهَبا وفضة، تَكون مَعَك حيثما كنت، فَأَطْرَقَ ساعةً ثمَّ قَالَ: ((يَا جِبْرِيل! إِن الدُّنْيَا دَارُ من لَا دَارَ لَهُ، وَمَالُ من لَا مَالَ لَهُ، له يجمعها من لَا عقلَ لَهُ))، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيل: ثبتك الله بِالْقَوْل الثَّابِت.

قال العراقي: هذا ملفق من حديثين، فروى الترمذي من حديث أبي أمامة (عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً) الحديث، وقال: حسن. ولأحمد من حديث عائشة (الدنيا دار من لا دار له) الحديث اهـ.

وتمام حديث أبي أمامة عند الترمذي (فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك)، وقد رواه كذلك أحمد وابن سعد والطبراني والبيهقي، وحديث عائشة (الدنيا دار من لا دار له) رواه كذلك الشيرازي في الألقاب والبيهقي، ورواه البيهقي أيضاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه. قال ابن السبكي: لم أجد له إسناداً.

انظر: تخريج أحاديث علوم الدين (٢٢٤١/٥/٣٥٥٢).

(٢) انظر: شرح البردة ص١٠٤.

ضرورة أهل العصمة من الأنبياء ليست كضرورة غيرهم، بل ضرورتهم لا تحوجهم إلى أحسن الأشياء، فضلا عن أخسها كأكل الميتة، وغيرهم تحوجه إلى أحسنها وأخسها"[1]، والأزهري[2] حمل: لا تعدو على العصم بمعنى أن الضرورة لا تنافي العصمة كيفما كانت، ولكن يظهر اتفاقهما على أن رسول الله لم تحوجه الضرورة إلى ذلك مستدلين عليه بقول الناظم:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم[3]

فيحتمل من كلامهما الاتفاق على أنه لا ضرورة لرسول الله تحوجه إلى الدنيا حسنها وقبيحها، والاختلاف في الأنبياء، فيظهر من كلام الباجوري أنهم كذلك، ومن كلام الأزهري أنهم كغيرهم في ذلك، ودليلهم يوضح ذلك التخصيص، ولكن لا يظهر في غير النبي -صلى الله عليه وسلم- على كلام الباجوري للعلة في الدليل، وهي لولاه لم تخرج الدنيا خاصة بالرسول -عليه السلام-، الواضح من هذا كله أن الأنبياء -عليهم السلام- كغيرهم تدعوهم الضرورة والحاجة إلى ما يضطرون إليه ويحتاجونه، وإن تفاوتت الدعاء بالنسبة إلى غيرهم، ولا يتركون من الدنيا إلا ما لا يجوز تناوله وكسبه، أو ما يشغله عن الأهم وتبليغه الرسالة، وقد احتاجوا إلى الطعام والشراب والكسوة والأزواج، وما يدفعون به الأعداء إلى غير ذلك مما لابد منه، وقد تكون الحاجة إليه غير اضطراره، فلقد دعت الحاجة موسى والخضر -عليهم السلام- إلى استطعام أهل القرية، وإلى قول موسى -عليه السلام- له: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الكهف: الآية ٧٧]، وإلى قوله حين خرج إلى مدين: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة القصص: الآية ٢٤]، ولقد

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٢٢-٢٣.

(٢) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٢٢.

(٣) انظر: شرح البردة ص١٠٥.

شارط شعيبا -عليهم السلام- أو غيره على رعي غنمه بإنكاح ابنته[1]، كما كان رسول الله يرعى الغنم لأهل مكة على قراريط، وكما تاجر إلى الشام وغيره، كما أنه طلب رزقه برمحه وجهاده في سبيل الله، وكان يقبل الهدية، وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه كما في الحديث عنه، وصار به الجوع هو/[١٢] والشيخان إلى أبي الهيثم[2] كما هو معلوم[3]، وقال: (لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد مرت علي الثلاثون ما بين يوم وليلة ما لي ولبلال

(١) حصل الخلاف في المراد بصاحب مدين؛ هل هو شعيب النبي أو غيره، ورجّح ابن كثير أنه ليس بشعيب النبي، وذكر جملة من الأدلة على ذلك.
انظر للتفصيل: كلام ابن كثير في تفسيره ٣٨٥/٢.

(٢) أبو الهيثم: مالك بْن التيهان بْن مَالِك بْن عتيك بْن عَمْرو بْن عَبْد الأعلم بْن عَامِر بْن زعوراء بْن جشم بْن الحارث بْن الخزرج بْن عمرو بْن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، شهد العقبة وكان أحد النقباء، وشهد المشاهد مع رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم ، ومات سنة عشرين أو إحدى وعشرين.
انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣٢٣/٥.

(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: (مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟) قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ،، قَالَ: (وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا)، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيْنَ فُلَانٌ؟) قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ)، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ ". رواه مسلم، باب: جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك وبتحققه تحققا تاما، واستحباب الإجتماع على الطعام (١٦٠٩/٣).

ما يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال)[١]، وقد تمر عليه وعلى أهله الليالي المتتابعة لا يجدون عشاء أو غذاء، وقد يمكثون الشهر لا يتوقدون بنار، وقد مات ودرعه مرهونة عند يهودي في شعير، فلم يجد ما يفتكها به إلى أن افتكها أبو بكر بعده، وقد كان إبراهيم -عليه السلام- كسابا، وكان داود حدادا، وكان إدريس -عليه السلام- خياطا، وقد يبلغ الحال بالأنبياء حتى يُقْمَلُواْ[٢]، ولا مانع أن تشملهم ضرورة أكل الميتة لمن اضطر إليها؛ لأن الدليل لم يفصل ولا قيد، وقد أظن أني رأيت في بعض الكتب أن من الأنبياء من يبلغ به الحال إلى أن يموت جوعا؛ ابتلاء من الله ورضى بما اختاره له، وبالجملة فلا دليل يرد في الفرق وفي الاحتياج إلى الدنيا بين أنبيائها وغيرهم، إلا ما جاء يفرق بينهم، وبينهم فيما لا يليق بهم ويليق بغيرهم، وما ذكره في كون رسول الله يجوز وصفه بالزهد؛ استدلالا بما للناظم وأن من نفى ذلك لم يصب، يقال عليه: وصفه بالزهد فيما يحتاج إليه لا يناسب، وفيما لا يحتاج إليه ويشغله عن الأهم يجوز.

ثالثا: قول الشارح في شرحه من: لولاه لم تخرج الدنيا من العدم: "أي: لولا وجوده صلى الله عليه وسلم لاستمرت الدنيا على عدمها ولم توجد، فوجوده صلى الله عليه وسلم علة في وجودها، فلو كانت ضرورته تدعو إلى الدنيا، لكان وجوده معلولا لوجودها وهو خُلْفٌ، والأصل في ذلك ما رواه الحاكم[٣] والبيهقي[٤] من قول الله تعالى لآدم

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢١/٤٤٣)، ورواه الترمذي، كتاب صفة القيامة (٤/٢٢٦)، وقال العلامة الألباني في مختصر الشمائل المحمدية: صحيح (١/٨٣).

(٢) والدليل على ذلك حديث: (إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ يُضَاعَفُ لَنَا الْبَلَاءُ كَمَا يُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ يُبْتَلَى بِالْقُمَّلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى يَأْخُذَ الْعَبَاءَةَ فَيَخُونَهَا وَإِنْ كَانُوا لَيَفْرَحُونَ بِالْبَلَاءِ كَمَا تَفْرَحُونَ بِالرَّخَاءِ) رواه أحمد [١٨/٣٩١].

(٣) المستدرك (٢/٦٧٢).

(٤) دلائل النبوة (٥/٤٨٨)، وقال العلامة الألباني في السلسة الضعيفة (١/٨٨): موضوع.

لما سأله بحق محمد أن يغفر له ما اقترفه من صورة الخطيئة، وكان رأى على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله: ((سألتني بحقه أن أغفر لك وقد غفرت لك ولولاه ما خلقتك))، فوجود آدم -عليه السلام- متوقف على وجوده صلى الله عليه وسلم، وآدم أبو البشر، وقد خلق الله لهم ما في الأرض وسخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك، كما هو نص القرآن قال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٩]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة إبراهيم: الآية ٣٣]، وإذا كانت الأمور إنما خلقت لأجل البشروأبو البشر إنما خلقت/[١٣] لأجله صلى الله عليه وسلم كانت الدنيا إنما خلقت لأجله، فيكون صلى الله عليه وسلم هو السبب في وجود كل شيء"[١] انتهى بعض كلامهم الباجوري.

أقول: ومما استدلوا به ما أخرجه الحاكم[٢] والبيهقي[٣] وأبو الشيخ[٤] في طبقات الأصبهاني عن ابن عباس قال: "أوحى الله إلى عيسى -عليه السلام- أن آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار، ولقد خلقت العرش على الماء، فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن"[٥].

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٢٣.

(٢) انظر: المستدرك ٦٧١/٢.

(٣) لم أقف على كلام البيهقي.

(٤) أبو الشيخ حافظ أصبهان ومسند زمانه الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، صاحب المصنفات السائرة، ويعرف بأبي الشيخ: ولد سنة أربع وسبعين ومائتين، قال أبو نعيم: توفي في سلخ المحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة.
انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي ١٠٥/٣.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٧١/٢)، قال العلامة الألباني: لا أصل له مرفوعا. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤٤٨/١).

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن سلمان[1] قال: "هبط جبريل على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "إن ربك يقول: إن كنت اتخذت إبراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا، وما خلقت خلقا أكرم علي منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا".

وفي كتاب الدر المنظم[2] عن سيدنا علي كرم الله وجهه[3] قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح نظر إلى ساق العرش فرأى فيه مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقال: أي ربي من صاحب هذا الاسم، فقال: نبي من ذريتك آخر الأنبياء وأول الأنبياء، فقال: أي رب كيف يكون أولهم وآخرهم؟ فقال: أولهم دخولا الجنة وآخرهم بعثا، فقال: يا رب ويدخل الجنة قبلي، قال: نعم، قال: آدم الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يدخل الجنة قبلي، فقال: يا آدم هذا ولدك محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت الجنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا، هذا محمد الذي يدخل الجنة الخلائق بشفاعته يوم القيامة)[4] انتهى.

ونحن نقول عليه:

أولا: استدل لكلام الناظم بقياس استثنائي كما يظهر من كلامه، وهو قوله: أي لولا وجوده -صلى الله عليه وسلم- لاستمرت على عدمها ولم توجد.

---

(١) (٥١٨/٣)، قال الإمام الألباني: فإني لا أتردد في ضعفه، انظر: السلسلة الضعيفة (٤٥١/١). وكذلك ضعفه العلامة /النتيفي فيما يأتي من الكلام في ص٨٧-٨٨.

(٢) الدر المنظم في السر الأعظم (المعظم)، للشيخ/ كمال الدين أبي سالم: محمد بن طلحة العدوي، الجفار، الشافعي. المتوفى: سنة اثنتين وخمسين وستمائة. انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٧٣٤/١.

(٣) هذه اللفظة لا وجه لها هنا، وإنما هي من عمل النساخ، أو من الغلو في علي رضي الله عنه؛ لأنها لا يستخدمها أهل السنة، وإنما هي لفظة معروفة عن الرافضة، يستخدمونها لغلوهم في علي رضي الله عنه.

(٤) هذا الحديث لم أقف له على مصدر من كتب السنة المعتمدة، وقد حكم عليه النتيفي بأنه ظاهر الوضع، وبين أوجه بطلانه في ص٨٠ وما بعدها.

فيقال عليه: من قبله لكنها وجدت، فيلزم وجوده، فإن وجوده علة لوجودها كما قال، والعلة لا تفارق المعلول، ولكن الباحث معهم لا يسلم كون وجوده علة في وجودها، لا عقلا ولا طبعا ولا شرعا؛ إذ ما ورد في ذلك من الشرع لا يصح، ونحن بصدد نفي صحته، كما ينتظم لهم أيضا بذلك قياس اقتراني بأن يقال: رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خلقت الدنيا لأجله، ومن خلقت الدنيا لأجله لا تدعوه ضرورة إليها، فينتج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا تدعوه ضرورة للدنيا دليل المقدمة الصغرى الأحاديث التي ذكروا/[١٤]، ودليل الكبرى ما يذكر الباجوري بعد هذا مع البحث فيه، ولكن الخصم يقول: دليل الصغرى لا يصح كدليل الكبرى، فلم تبق نتيجة.

ثانيا: قوله: فلو كانت ضرورته تدعو إلى الدنيا الخ.

يقال عليه: هذا كلام لا يصح من وجهين: الأول: لا نسلم أن وجوده علة لوجودها لما تقدم من عدم صحة الدليل.

ثانيا: لا يلزم من كون مسبب الشيء محاجا إلى مسببه في غير طريقته التي كان بها سببا وغيره مسببا أن يقلب السبب مسببا والعكس؛ إذ الاحتياج من جهة، والسببية من جهة أخرى، والواحد بالشخص له جهتان، والوالد علة وسبب في وجود الولد، ويحتاج إليه من وجه آخر كالنفقة والإعانة ودفع الشرور، كما يحتاج هو إلى والده في مثل ذلك أن ينقلب الوالد ولدا ولا العكس.

ثالثا: هذا كله مبني على أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يحتاج إلى الدنيا، وهو باطل بالحس والعادة والنقل.

رابعا: ما استدل به للحاكم والبيهقي يقال عليه: هذا مما تتوفر الدواعي على نقله؛ لأنه أمر عظيم يدخل في الاعتقادات فينقل بالتواتر لا بالاستفاضة، فضلا عن غير واحد صحيح، فضلا عن الضعيف، فضلا عن شديده، فضلا عن الموضوع، وهذا الحديث كأشكاله ظاهر الوضع.

خامسا: قد تقدم ما في الحاكم والبيهقي تلميذه أنهم يروون الموضوع ويسكتون عليه.

سادسا: قوله: سألتني بحق محمد أن أغفر لك فغفرت لك الخ.

يقال عليه: ما قيل في حديثه وراوييه كما يقال عليه: مخالف لما جاء في القرآن العظيم من قول الله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٣٧]، والقرآن يفسر بعضه بعضا، فقد قال في آية:

﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٢٢-٢٣]، فتاب الله عليهما كما في الآية الأولى، وقال لهما بعد هذا: ﴿ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ ٣٦ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٣٦]، وعليه فكيف يكون سبب المغفرة/[١٥] غير هذه الكلمات ويهملها القرآن، بل يذكرهم كما ويهمله صحيح السنة.

سابعا: كونه رأى اسم النبي -صلى الله عليه وسلم- مكتوبا على العرش الخ.

يقال عليه: لا مانع من ذلك إذا ثبت، ولكنه لم يثبت عند الحفاظ.

ثامنا: قوله: ولولاه ما خلقتك إلخ انتهى.

يقال عليه: جاء الشارح بهذا الحديث الدال على أن خلق آدم -عليه السلام- معلول لوجود رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقط، ولكن لما كان أبا البشر وقد سخر الله له الشمس والقمر والنجوم وما في الأرض جميعا إلى غير ذلك مما ذكره الشارح، كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سببا في وجود آدم بلا واسطة، وفي وجود غيره من المذكورات بواسطة بشرية آدم المخلوق لأجلها ما ذكر، فكان بهذا المعنى سببا في وجود كل شيء، وهذا المعنى المذكور في هذا الحديث مخالف للأحاديث الآتية، حيث صرحت بأن كل شيء مخلوق بسببيته بلا هذه الواسطة.

تاسعا: لو صح توسل آدم برسول الله إذ ذاك وغفر الله ذنبه له، لكان هذا جاريا في الخليقة وأسوة لهم به، فلم يحتاجوا إلى توبة وشروطها[1]، ولا إلى مجاهدة، بل يكفيهم ذلك، كما كفى أباهم آدم -عليه السلام-، ولصح قول

---

(١) وشرائط التوبة ثلاثة: الندم، والإقلاع، والاعتذار، فحقيقة التوبة: هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل، والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلع ويعزم.
مدارج السالكين، فصل: شرائط التوبة، ١/١٩٩.

رسول الله: "توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم"[1]، وذلك لم يصح، وإنما الحديث في توسل آدم -عليه السلام- مروي عمن يروي الموضوعات، ويستدل بها كالبكري وأشكاله.

عاشرا: ما استدلوا به من حديث ابن عباس: أوحى الله على عيسى -عليه السلام- أن آمن بمحمد الحديث.

(بحث): يقال عليه: رواته يروون الموضوع وربما سكتوا عليه، وربما استدلوا به، فلا حجة في روايتهم إلا إذا ثبتت صحتها.

الحادي عشر: قوله: (أن آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به).

(بحث): هذا بالنظر إلى نفسه لا إلى روايته هنا صحيح، ولكن لا مفهوم لمحمد وعيسى -عليهما السلام- ولا لأمتهما، فإن الله أمر كل نبي أن يأمر أمته بالإيمان بمطلق الأنبياء -عليهم السلام-، كما أخذ العهد عليهم بذلك، حيث يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ/[١٦] (٨١)﴾ [سورة آل عمران :الآية ٨١]، وتخصيص الرسول في الآية برسول لا حجة عليه وقد أمدنا الله ورسوله بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله[2].

---

(١) هذا الحديث لم أقف له على مصدر من كتب السنة. قال الإمام الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٧٦/١): لا أصل له.

(٢) هذه بعض أركان الإيمان الستة، وإن كان هناك ركنين لم يذكرهما الشيخ: وهي الإيمان باليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. الإيمان بالله:
أولاً: تعريف الإيمان لغة وشرعاً:
لغة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "أصل الإيمان في القلب، وهو الطمأنينة والإقرار فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة". انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (٥١٩/١).
شرعاً: قال ابن قدامة -رحمه الله-: "الإيمان: قول وعمل، والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان، وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟
=

=

ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥]، فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق). فجعل القول والعمل من الإيمان، وقال تعالى: ﴿فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [الفتح: ٤]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان)، فجعله متفاضلا".انظر: لمعة الإعتقاد (٢٦/١-٢٧).

ثانياً: الإيمان بالله: الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

- الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى. - الإيمان بربوبيته، أي: الانفراد بالربوبية.
- الإيمان بانفراده بالألوهية. - الإيمان بأسمائه وصفاته.

لا يمكن أن يتحقق الإيمان إلا بذلك. انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثمين (٥٤/١).

- قلت: وتضمن الإيمان بالله في هذه الأربعة الأمور: متفرقٌ في كتب السلف المتقدمين، وقد تكلموا عن كل مسألة من هذه الأربع على حده.

الإيمان بالملائكة: أولاً: تعريف الملائكة:

لغة: جمع ملك قال ابن فارس: "(مَلَكَ) الْمِيمُ وَاللَّامُ وَالْكَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ وَصِحَّةٍ". انظر: مقياس اللغة لابن فارس (٣٥١/٥).

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والملك في اللغة: هو حامل الألوكة؛ وهي الرسالة. انظر: النبوات (٧٢٠/٢).

ثانيا: مادة خلقهم: خلق الملائكة الكرام من نور عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون؛ كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول صلى الله عليه وسلم: (خلقت الملائكة من نور). رواه مسلم (٢٢٩٤/٤) كتاب الزهد والرقائق.

ثالثا: الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه "كجبريل" ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة " جبريل " فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق. انظر: البخاري، كتاب بدء الخلق، (٣٢٣٢-٣٢٣٣).

=

=

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور. انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (٩٠/١)، والحبائك في أخبار الملائك للسيوطي (٩/١)، وشعب الإيمان للبيهقي (٢٩٦/١).
الإيمان بالكتب: أولاً: تعريف الكتب:
لغة: قال ابن فارس -رحمه الله-: "(كَتَبَ) الْكَافُ وَالتَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ. مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالْكِتَابَةُ. يُقَالُ: كَتَبْتُ الْكِتَابَ أَكْتُبُهُ كَتْبًا". انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (كتب، ١٨٥/٥).
اصطلاحاً: قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.
ثانياً: الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:
الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.
الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، والتوراة التي أنزلت على موسى صلى الله عليه وسلم، والإنجيل الذي أنزل على عيسى صلى الله عليه وسلم، والزبور الذي أوتيه داود صلى الله عليه وسلم، وأما لم نعلم اسمه فتؤمن به إجمالاً.
الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار مالم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.
الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٨]، أي: "حاكماً عليه"، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن". انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (٩٤/١).
الإيمان بالرسل: أولاً: تعريفه لغة: قال ابن فارس -رحمه الله-: "(رَسَلَ) الرَّاءُ وَالسِّينُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، يَدُلُّ عَلَى الِانْبِعَاثِ وَالِامْتِدَادِ. فَالرَّسْلُ: السَّيْرُ السَّهْلُ". انظر مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (رسل، ٣٩٢/٢).
اصطلاحا: قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "من أوحى إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه". انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (٩٥/١).

=

الثاني عشر: قوله: فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكت.
(بحث) يقال عليه: يحتمل أن سكوته كان لهيبة هذه الجملة بتمامها لا للواحد منها فقط، وهو إن سُلم في محمد رسول الله لا يسلم في لا إله إلا الله؛ لأنها لا تحتاج في المهابة إلى غيرها، وإن كان بخصوص محمد -صلى الله عليه وسلم- كان ذكر لا إله إلا الله إنما هو توطئة لذكر محمد رسول الله، وهذا يستحيي قائله من قوله، وإن كان لخصوص لا إله إلا الله لم تبق مزية لذكر محمد رسول الله، والصحيح أن ذلك إن وقع إنما هو بإرادة الله، والجملتان سببان ظاهران مظهران لما أراده الله، ويدل لذلك أن لا إله إلا الله محمد رسول الله قد تكتب أو بعضها على متحرك فلا يسكن، أو على ساكن فلا يتحرك، وعليه فالمدار على إرادة الله، وقوله: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [سورة البقرة: الآية ١١٧].

وأما قوله: فلولا محمد ما خلقت آدم الخ، فسيأت جوابه مع نظائره.

الثالث عشر: قوله عن ابن عساكر عن سلمان: قال هبط جبريل على رسول الله الحديث.

=
ثانيا: قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "الإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:
الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من عند الله.
الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وأما من لم نعلم أسمه منهم فنؤمن به إجمالاً.
الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.
الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٥] . انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (٩٥/١).

(بحث) يقال عليه: في ابن عساكر ما في ما قبله من الرواة[١].

الرابع عشر: قوله: قد اتخذتك حبيبا.

(بحث) يقال عليه: ما اتخذه حبيبا فقط، بل اتخذه خليلا كما جاء في الصحيح[٢]، وهو دليل توهين هذا الحديث، والخلة[٣] أرفع أنواع المحبة

---

(١) المراد: أن ابن عساكر يورد الموضوعات دون التعليق عليها، وقوله: "قيل: ما قبله من الرواة" يعني: الحاكم والبيهقي، وقد سبق تنبيه المصنف على هذا في ص٨٠.

(٢) عن جُنْدَبٌ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: (إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهِ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ).
رواه مسلم، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور (٣٧٧/١).

(٣) الخلة: قال ابن القيم -رحمه الله-: "وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها بحيث لا يبقى في القلب سعة لغير محبوبه، وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجه، وهذا المنصب خاصة للخليلين -صلوات الله وسلامه عليهما-: إبراهيم ومحمد، كما قال- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إن الله إتحذني خليلا كما اتحذ ابراهيم خليلا). وَأَمَّا مَا يَظُنُّهُ بَعْضُ الْغَالِطِينَ - أَنَّ الْمَحَبَّةَ أَكْمَلُ مِنَ الْخُلَّةِ، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ، وَمُحَمَّدًا حَبِيبُ اللَّهِ - فَمِنْ جَهْلِهِ، فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ عَامَّةٌ، وَالْخُلَّةَ خَاصَّةٌ، وَالْخُلَّةَ نِهَايَةُ الْمَحَبَّةِ، وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَنَفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ خَلِيلٌ غَيْرُ رَبِّهِ مَعَ إِخْبَارِهِ بِحُبِّهِ لِعَائِشَةَ وَلِأَبِيهَا وَلِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَغَيْرِهِمْ.
وَأَيْضًا فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٢٢٢]. وَ ﴿يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٤٦]. وَ ﴿يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٤٨]. وَ ﴿يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٤٢] .وَالشَّابُّ التَّائِبُ حَبِيبُ اللَّهِ، وَخُلَّتُهُ خَاصَّةٌ بِالْخَلِيلَيْنِ، وَإِنَّمَا هَذَا مِنْ قِلَّةِ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
انظر: الداء والدواء، فصل: المحبة والخلة، (١٩٠/١-١٩١).

شرعا ولغة[1]، فقد أرادوا بهذا الحديث رفع رسول الله عن الأنبياء، فوضعوه عن إبراهيم خليل الرحمن -عليه السلام- مع أنه أرفع من الجميع.

الخامس عشر: قوله: وما خلقت خلقا أكرم علي منك.

(بحث) يقال عليه: ليس بمتفق عليه في حق الملائكة، بل تقدم رجحان فضلهم على غيرهم، وانظر ما حكم جنود الله التي قال فيها: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ/[١٧]﴾ [سورة المدثر: الآية ٣١]، وإن اتفق على ذلك في الثقلين.

وأما قوله: (ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم) الخ. فسيأتي البحث فيه مع نظائره.

السادس عشر: قوله في المنظم عن سيدنا علي الخ.

(بحث) يقال عليه: صاحب الدر المنظم كثيرا ما يتساهل في مثل هذه الأحاديث، حيث لا ينبغي التساهل، ولعل حديثه هذا كحديثه عن علي -رضي الله عنه- (مم خلقت يا رسول الله) المتقدم[2].

السابع عشر: قوله: رأى مكتوبا على العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله الخ.

(بحث) يقال عليه: الظاهر إن لم نقل اليقين أن الله خلق آدم خارج الجنة، والظاهر أنه فوق الأرض، وعليه كيف نظر إلى العرش من الأرض أو من خارج الجنة؟ كيفما كان، بل ومن الجنة لو خلق فيها، ونظر البشر لا يصل إلى ذلك إلا أن يكون معجزة أو خاصا بأهل الجنة إذا ثبت دليله، أو يكون ذلك يوم القيامة حينما تُقوى الأبصار.

الثامن عشر: هذا الحديث يفيد أن آدم -عليه السلام- رأى اسم محمد -عليه السلام- مكتوبا على العرش مرتين؛ حينما نفخ فيه الروح، وحينما توصل به في الجنة، وإذا كانت المرة الواحدة من ذلك لم تثبت فكيف بالمرتين وأكثر.

التاسع عشر: قوله: أولهم دخولا الجنة، مع قوله: ويدخل الجنة قبلي الخ.

---

(١) انظر: القاموس المحيط ٩٩٤/١.

(٢) تقدم في ص٧٨ الذي ذكره صاحب الدر المنظم.

يقال عليه: لم يبين هاهنا تلك الأوليّة، فإن كانت الحقيقة فآدم -عليه السلام- أول داخل إلى الجنة بدليل أنه أدخل إليها بعد نفخ الروح فيه ومكث فيها ما شاء الله، ثم أخرج منها بسبب وسوسة الشيطان، وقول من قال: إن الجنة التي خرج منها آدم جنة في الدنيا، ردّه المحققون ورددناه معهم بأبسط رد[1]، وإن كانت الأوليّة يوم القيامة فدليله يسلمه، ولكن الأوليّة إذاً إضافية بالنسبة إلى المحشورين في عرصات القيامة.

العشرون: قوله: الذي يدخل الجنة الخلائق بشفاعته يوم القيامة.

(بحث) يقال عليه: الداخلون للجنة بالشفاعات لا يختص بها رسول الله بل له، وللأنبياء، وللشهداء، وللعلماء العاملين، ولله سبحانه، كما جاء عنه -عليه السلام- في الصحيح، نعم، الشفاعة التي يختص بها هي الواقعة في المحشر التي يفرغون بسببها إلى ما بعد الحشر من الحساب وغيره كما جاء في الصحيح.

الواحد والعشرون: قوله: لولاه ما خلقتك ولا خلقت الخ.

(بحث) يقال عليه: هذا مناف لما تقدم لهم من أن هذا القول خاص بآدم –عليه/[١٨] السلام-، كما هو مناف من حيث العموم والخصوص لما تقدم في حديث سلمان: (لولاك ما خلقت الدنيا)[2]، ولكن القوم لا يبالون بالمناجات.

---

(١) قال ابن القيم -رحمه الله-: "أما ما ذكرتموه من كون الجنة التي أهبط منها آدم ليست جنة الخلد وإنما هي جنة غيرها؛ فهذا مما قد اختلف فيه الناس، والأشهر عند الخاصة والعامة الذي لا يخطر بقلوبهم سواه أنها جنة الخلد التي أعدّت للمتقين، وقد نصّ غير واحد من السلف على ذلك، واحتجّ من نصر هذا بما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة، وأبي مالك عن ربعي بن حراش، عن حذيفة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَجْمَعُ اللهُ عزَّ وجلَّ النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلامُ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ؟...) وذكر الحديث. قالوا: فهذا يدلّ على أن الجنة التي أخرج منها آدم هي بعينها التي يطلب منه".

انظر: في مفتاح دار السعادة ١٤/١.

(٢) تقدم تخريجه في ص٧٨.

الثاني والعشرون: ما قاله في حديث: (وما خلقت الدنيا وأهلها إلا لأعرفهم وكرامتك ومنزلتك عندي)[1]، يقال عليه: هو مناف لخلق الأشياء كلها من نوره؛ إذ المخلوق منه غير المخلوق لأجله إلا أن يقولوا هو منه وله.

الثالث والعشرون: ما يقال عليه من أن التقييد في الدنيا وأهلها يفهم منه أن غير الدنيا وغيرها لم يخلقوا لذلك، مع أنهم اشتركوا مع الدنيا وأهلها في الاشتقاق من نوره، وأنهم أولى بمعرفة كرامة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومنزلته عنده، فلينظر بالفرق إلا أن يدعوا القياس، فيقال لهم: ومن أحوجكم إلى هذا القياس والنص العام متيسر.

وإذا فرغنا من البحث في دلائلهم بقدر الطاقة فلنذكر ما يدل على أن الله خلق الكائنات لا لما قالوا من أنها إنما خلقت لأجل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وعلم كرامته ومنزلته، كما ذكرنا ما يرد ما قالوه من أن الأشياء كلها خلقت من نوره فنقول:

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الطلاق: الآية ١٢]، فعلل خلق الكائنات من السموات والأرض وما بينهما بقوله: ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ ﴾ الآية، لا لفلان أو فلان، أو معرفة شأنه، بل لمعرفة خلقه أنه واسع القدرة محيط العلم، وقال في تعليل خلق الإنس والجن: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الذاريات: الآية ٥٦]، لا لفلان أو فلان وفلان. ثم ذكر خلق أشياء كثيرة وعللها بكونها لخلقه نفعا لهم وابتلاء، أو مسكنا أو كرامة أو... أو... أو...[2] فقال: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٢]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٩]،

---

(١) تقدم تخريجه في ص٧٨.

(٢) هكذا وجد في المخطوط.

وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ /[١٩] ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [سورة الأنعام:الآية٩٧]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۝٥ ﴾ [سورة يونس: الآية ٥]، وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ ﴾ [سورة هود:الآية٧]، وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣ ﴾ [سورة إبراهيم:الآية٣٢-٣٣]، وقال: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ ﴾ [سورة النحل:الآية٥-٧]، وقال: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ [سورة النحل: الآية٨]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [سورة النحل: الآية ١٠-١١]، وقال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ [سورة النحل: الآية ١٢]، وقال: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ﴾ [سورة النحل:الآية١٣]، وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٤ ﴾ [سورة النحل: الآية ١٤]، وقال: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [سورة النحل:الآية٧٢]، وقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [سورة الروم:الآية٢١]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ

إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ [سورة النحل:٨٠-٨١]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [سورة يونس: الآية٦٧]، وقال: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [سورة الجاثية:الآية١٣]، وقال: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة النازعات:الآية٣٠-٣٣]، وقال في حق الرسول -عليه السلام-: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة الإسراء: الآية ١٠٥]، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سورة سبأ:الآية٢٨]، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء:الآية١٠٧]، وقال: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [سورة النساء:الآية١٦٥]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: الآية٤٥-٤٦]، وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً /[٢٠] وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٤٣]، وقال: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [سورة المائدة: الآية ١٥]، ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ [سورة المائدة: الآية ١٩]، وقال: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ ﴾ [سورة النازعات: الآية ٤٥]، وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ ﴾ [سورة النحل:الآية٤٤].

وفي الصحيح قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إن ربي قال

لي: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك)[1]، وذكر في الصحيح خصائصه التي منها حل الغنائم والنصر بالرعب[2]، ولم يذكر هاتين الخصوصيتين اللتين لا تساويهما خصوصية، وهما خلق الأنبياء كلها من نوره وخلقها لأجله، ولم يذكر أن علة إرسال الرسل في الآيات المتقدمة معرفة المرسل إليهم، وأهل الدنيا كرامته ومنزلته لا وحدها ولا مع غيرها، وإن كانت كرامته ومنزلته لازمة لإرساله، ولو تتبعنا دلائل القرآن وغيره في كون الله خلق العالم للعلل المتقدمة، ولم يذكر فيها العلتين، لطال بنا الأمر، فلنقتصر على هذا؛ فإنه إذا لم يكف سامعه، فلا يكفي قاطع ولا مظنون أحدا أبدا، ومعلوم أن القاطع إذا تعارض مع المظنون ولم يتمكن الجمع طرح المظنون له، وأحرى تعارضه مع الضعيف، وهذه مع الأحاديث التي استدل بها أولئك واضحة الوضع؛ لتعارضها مع القواطع، وبما كتبناه تعلم صحة قول البوصيري وعدم صحته، وهو:

لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وقول غيره[3]:

يا مصطفى من قبل الكون لم يفتح له ... نشأة آدم والقول إقفال

وإن كان هذا في خلق الأشياء كلها منه.

وقول غيره[4]:

لولاك يا أحمد المحمودِ ... ما طلعت شمس ولم تخرج الدنيا من العدم

وقول غيره[1][2]:

---

(١) رواه مسلم، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا (٢١٩٧/٤/٢٨٦٥).

(٢) صحيح البخاري، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا) (٩٥/١/٤٣٨).

(٣) هكذا في المتن، وهو بيت مكسور، وصوابه:

يا مصطفى من قبل نشأة آدم ... والكون لم تفتح له أغلاق

انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٦٧/٥.

(٤) لم أقف لهذا البيت على مصدر، وقائل هذا البيت وقع في الشرك الأكبر؛ حيث جعل سبب وجود الخلق هو وجود نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لا لأمر الله عز وجل وحكمته.

لــولا حبـيـبـي مـحـمـد ما يكون عرش ولا كرسي

انتهى ما كتبناه على هذين البيتين.

ثم نقول على قوله بعده:

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم[٣]

(بحث) أما كونه عليه السلام سيد الثقلين دنيا وأخرى فمسلّم، و[٢١] كونه سيد الكونين فباعتبار الملائكة فخلاف، وتقدم أن الراجح أفضلية الملائكة على غيرهم[٤]. وأما جنود الله التي لا يعلمها إلا هو فالله أعلم

=

(١) لم أقف لهذا النظم على مصدر

(٢) لم أقف لهذا النظم على مصدر.

(٣) انظر: شرح البردة ص١٠٥.

(٤) قال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: "وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمُفَاضَلَةِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَصَالِحِي الْبَشَرِ، وَيُنْسَبُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ تَفْضِيلُ صَالِحِي الْبَشَرِ وَالْأَنْبِيَاءِ فَقَطْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَإِلَى الْمُعْتَزِلَةِ تَفْضِيلُ الْمَلَائِكَةِ.
وَأَتْبَاعُ الْأَشْعَرِيِّ عَلَى قَوْلَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ يُفَضِّلُ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقِفُ وَلَا يَقْطَعُ فِي ذَلِكَ قَوْلًا. وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ مَيْلُهُمْ إِلَى تَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ. وَحُكِيَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَبَعْضِ الصُّوفِيَّةِ.
وَقَالَتِ الشِّيعَةُ: إِنَّ جَمِيعَ الْأَئِمَّةِ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ فَصَّلَ تَفْصِيلًا آخَرَ. وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِمَّنْ لَهُ قَوْلٌ يُؤْثَرُ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ دُونَ بَعْضٍ". انظر: شرح الطحاوية٢/٤١٠.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "بِأَنَّ صَالِحِي الْبَشَرِ أَفْضَلُ بِاعْتِبَارِ كَمَالِ النِّهَايَةِ وَالْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ بِاعْتِبَارِ الْبِدَايَةِ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ الْآنَ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى مُنَزَّهُونَ عَمَّا يُلَابِسُهُ بَنُو آدَمَ مُسْتَغْرِقُونَ فِي عِبَادَةِ الرَّبِّ وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ الْآنَ أَكْمَلُ مِنْ أَحْوَالِ الْبَشَرِ. وَأَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ فَيَصِيرُ صَالِحُو الْبَشَرِ أَكْمَلَ مِنْ حَالِ الْمَلَائِكَةِ". انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/٣٤٣.
قال الإمام ابن القيم: "وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه فعلى المتكلم في هذا الباب أن يعرف أسباب الفضل:
أولا: ثم درجاتها ونسبة بعضها إلى بعض والموازنة بينها. ثانيا: ثم نسبتها إلى من قامت به. ثالثا: كثرة وقوة ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها.

=

بذلك.

وقوله:

نبينا الآمر الناهي فلا أحدٌ   أبرُّ في قولِ لا منه ولا نَعَمِ[1]

(بحث) يقال عليه: عموم العبارة يشمل الله سبحانه، وهذا لا ينبغي ولا يقصده المعمم لها، نعم، يقال: الصفات التي لا تقبل زيادة ولا نقصانا إلا باعتبار متعلقاتها، كالعلم والإيمان والصدق، لا يساغ منها اسم التفضيل حتى يكون رسول الله أصدق من الصادقين، كالأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين؛ إذ الصدق صفة لهم أجمعين لا تكمل في أحد وتنقص في الآخر، وإنما يجيء اسم التفضيل فيها بالنسبة إلى قوم يكثر صدقهم تارة ويقل أخرى، كما أن الأبرار إذا حمل على اللين في الأمر والنهي تتصف به الأنبياء والمرسلون والملائكة كذلك؛ إذ ليس من شأنهم الغلظة في ذلك، إلا أن يكون ذلك لمقتضى، فلا يختص بهم أحد، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [سورة التحريم: الآية ٩] الخ.

قال الباجوري: "وهذا البيت -يعني: نبينا الآمر الناهي- والذي بعده خاصيتهما التخلص من الوقوع في الشدائد، ومن وقع في شدة فمن واظب على قراءتهما وكرر قراءتهما في جوف الليل وتوسل برسول الله رفعت عنه تلك الشدة"[2].

ونحن نقول عليه ما قلنا فيما قبله من الخواص التي ذكر للأبيات المتقدمة، ونزيد هنا أن الشدائد لا يخلو منها أحد مادام حيا حتى الأنبياء والمرسلون، فإذا جرب ما ذكره الشارح ونجح في وقت، فلا يمكن عادة أن ينجح في كل وقت، وإلا كان من عجائب الدهر شخص يعيش مدة عمره لا تعتريه شدة ما دام يكرر بيتين من البردة.

=

رابعا: قرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالا لغيره بل كمال غيره بسواها فكمال خالد بن الوليد بشجاعته وحروبه وكمال ابن عباس بفقهه وعلمه وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا. فهذه أربع مقامات يضطر إليها المتكلم في درجات التفضيل". انظر: بدائع الفوائد لابن القيم ١٦٣/٣.

(١) انظر: شرح البردة ص١٠٥.

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٢٤.

وقوله:

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هـول من الأهوال مقتحم[1]

(بحث) يقال عليه: إن شفاعته عليه السلام في كل الأهوال الدنيوية والأخروية بدليل قوله: لكل هول من الأهوال مع أن ذلك خاص بيوم القيامة كما قيّده بذلك الأزهري[2]/[٢٢].

وقول الباجوري: "في تخفيف العذاب عن أبي طالب والذي يحب آل البيت يقول: بأن الله أحياه وآمن به صلى الله عليه وسلم والله قادر على كل شيء"[3].

(بحث) يقال عليه: (المحبة لا تغير الأحكام ولا تصحح ما لم يصح بالدليل، وإحياء أبي طالب لم يصح، فلا تصححه هذه المحبة، والمحبة المؤدية إلى الكذب ليست بمحبة على الحقيقة.

قال الباجوري في قوله:

دعـا إلى الله فالمستمسكون بـه مستمسكون بحبل غيـر منفصم[4]

"وفائدة هذا البيت: حفظ الإيمان، والأمان من سلبه، بأن يقال بعد كل صلاة عشر مرات مفتتحة بالصلاة والسلام على النبي بصيغة مخصوصة: اللهم صل وسلم على نبيك البشير الداعي إليك بإذنك السراج المنير"[5].

ونحن نقول عليه: فيه ما في الخواص المتقدمة ويزاد ما يقال: إن مثل هذه الخاصية لا تدرك بالتجربة، وإنما تدرك بالخبر الصادق -عليه السلام-، وأين هو من هذا البيت وخاصته، كما أن ذلك يؤذن بأن هذا البيت أرفع من الأعمال الصالحات التي ارتكبها المسلمون فرضا ونفلا، ثم سلب عن بعضهم الإيمان، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (والذي

---

(١) انظر: شرح البردة ص١٠٥.

(٢) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٢٤.

(٣) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٢٥.

(٤) انظر: شرح البردة ص١٠٥.

(٥) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٢٥.

نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها)[1]، والكلام في هذا طويل.

ثم قال في البردة بعد ها البيت المسلم:

فاق النبيين في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ولم يدانوه في علم ولا كرم

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أورشفا من الدّيَم

وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شكلة الحكم[2]

(تعقيب): أقول: قال الباجوري في شرحها: "قوله: فاق النبيين الخ، أي: زاد صلى الله عليه وسلم على النبيين، وكذا على غيرهم بالطريق الأولى في خَلْق -بفتح الخاء وسكون اللام- وهو الصورة والشكل، وفي خُلق -بضمهما- وهو ما طبع عليه الإنسان من الخصال الحميدة، كالعلم والحياء والجود والشفقة والحلم والعدل والعفة وأمثال ذلك، فقد اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم ما تفرق في غيره من تلك الخصال، وقد ذكر بعضهم أن من تمام الإيمان أن يعتقد الإنسان أنه/[٢٣] لم يجتمع في أحد من المحاسن الظاهرة والباطنة مثل ما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم.

واعترض على الناظم بأن مقتضى كلامه أنه -صلى الله عليه وسلم- فاق النبيين في بعض الخَلق -بفتح الخاء وسكون اللام- وبعض الخُلق -بضمهما-؛ لأن كلا منهما نكرة، وهي في سياق الإثبات لا تعم، وهذا ليس بمدح تام؛ لأنه يحتمل بعد ذلك أن يساويهم في البعض الآخر، ويحتمل أن يفوقوه فيه، وعلى هذا فإن كان ما فاقوه فيه مثل ما فاقهم فيه حصلت المعادلة، وإن كان أكثر انعكس ما قصده المضيف من المدح.

وأجيب: بأن المراد في خَلْقهم وفي خُلُقهم فهما مضافان في المعنى، فيعمان على النكرة في سياق الإثبات قد تعم، ولِمَ لَمْ يَلْزَمْ من كونه فاقهم في ذلك نفى مقاربتهم له، نفاها بقوله: ولم يدانوه، أي: لم يقاربوه، وقوله:

---

(١) رواه ابن ماجة، باب: في القدر؛ بهذا اللفظ (٢٩/١/٧٦). وأصله راوه البخاري في صحيحه، باب: في القدر (١٢٢/٨/٦٥٩٤)، ورواه مسلم في صحيحه، باب: كيفية خلق آدم في بطن أمه (٢٠٣٦/٤/٢٦٤٣).

(٢) انظر: شرح البردة ص١٠٥-١٠٦.

في علم ولا كرم، أي: ولا غيرهما، وإنما اقتصر المصنف عليهما؛ لأن العلم رأس الفضائل، والكرم رأس الفواضل، ولا يَرِدُ على ذلك ما ورد من النهي عن التفضيل بين الأنبياء، كقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تفضلوا بين الأنبياء)[1]، وليس في ذلك تنقيصا لأحد من النبيين؛ لأنا نعتقد أنهم متصفون بالكمال والنبي أكمل، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة:الآية٢٥٣]. قال ابن عباس: "المراد بالبعض الأول محمد صلى الله عليه وسلم"[2].

قوله: وكلهم من رسول الله ملتمس الخ.

هذا البيت كالدليل للبيت قبله"[3]، إلى أن قال: "وقوله: غرفا من البحر أو رشفا من الديم، أي: حال كون بعض الملتمسين مغترفا من البحر وبعضهم مرتشفا من الديم، فهو إشارة إلى اختلاف أحوال الملتمسين، فأولوا العزم مثلا أكثر التماسا من غيرهم، فأوفى ذلك للتنويع والتقسيم، والغرف مصدر غرف بمعنى أخذ، والبحر ضد البر، سمي بذلك؛ لعمقه واتساعه، والرشف المص، والديم جمع ديمة وهي المطر الدائم يوما وليلة من غير رعد، والمراد من البحر والديم هنا علمه وحلمه صلى الله عليه وسلم، فكل منهما استعارة تصريحية، وكل من الغرف والرشح ترشيح، وإنما عبر في جانب البحر بالغرف وفي جانب الديم بالرشف؛ لأن الغرف مناسب للبحر؛ لكثرته دون الديم؛ لأنها تجري على وجه الأرض، فلا يجتمع منها غالبا حتى يغترف.

قوله: وواقفون لديه الخ. عطف على قوله: ملتمس، لكن نظر في

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٢١/٤)، وورد بلفظ (لا تخيروا بين الأنبياء) في صحيح البخاري، باب: ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود (١٢١/٣)، وصحيح مسلم، باب: من فضائل موسى -صلى الله عليه وسلم- (١٨٤٥/٤).

(٢) تفسير القرطبي-سورة البقرة الآية:٢٥٣، ٢٦٣/٣. وللاستزادة انظر: تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ٦٧٠/١.

(٣) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٢٥-٢٦.

أحدهما للفظ كل وفي الآخر لمعناه، ومعنى كونهم واقفين لديه عند حدهم أنهم ثابتون عنده صلى الله عليه وسلم في العلم والحكم عند الحد الذي حد لهم من ذلك، فلا يتجاوزونه، وأما هو صلى الله عليه وسلم فلم يزل يترقى بعد ذلك، فنهاية مراتبهم في العلم والحكم مبدأ ما أوتيه صلى الله عليه وسلم منهما/[٢٤]، فوقوفهم لديه صلى الله عليه وسلم وقوف ذي العناية عند مبدء غيره.

وقوله: من نقطة العلم أو من شكلة الحكم، بيان لحدهم والمعنى على التشبيه والإضافة في الموضعين على معنى من، أي: الذي هو كنقطة من العلم أو كشكلة من الحكم، والمراد من العلم والحكم علم الرسول وحكمه، كما قاله بعض الشارحين، وقيل: المراد بهما علم الله وحكمه، وحاصل المعنى على الأول أنهم ثابتون لديه صلى الله عليه وسلم في العلم والحكم عند حدهم الذي هو كالنقطة من على الرسول، أو كالشكلة من حكمه صلى الله عليه وسلم، وحاصل المعنى على الثاني أنهم ثابتون لديه في العلم والحكم عند حدهم الذي هو كالنقطة من علم الله، أو كالشكلة من حكمه تعالى، فعلمهم بالنسبة لعلمه صلى الله عليه وسلم كنقطة من علم الله، وحكمهم بالنسبة لحكمه صلى الله عليه وسلم كشكلة من حكمه تعالى، وهذا أبلغ في مدحه صلى الله عليه وسلم من الأول، لكن الأقرب الأول، وعلى كل حال فـ أو للتنويع والتقسيم، وإنما خص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم؛ لأن النقطة تميز الحروف المشتبهة الصور والعلم خاصة التمييز، كأنه صفة تقتضي تمييزا لا يحتمل النقيض بوجه، والشكلة بها يضاف الحكم لصاحبه مع زوال اللبس والاختلاف والحكمة، فائدتها وضع الشيء في المكان الذي يستحقه على أكمل وجه؛ لئلا يختل النظام"[1] انتهى ما قال الباجوري.

قال الأزهري: "ومعنى الأبيات الثلاثة: أنه صلى الله عليه وسلم علا جميع النبيين في الخلقة والسجية، ولم يقاربوه في العلم ولا في الكرم، كما سيأتي بيانه في قوله: يا أكرم الرسل، وفي قوله: ومن علومك علم اللوح والقلم، وكل النبيين أخذ من علم رسول الله مقدار غرفة من البحر أو مصة من المطر الغزير، وكلهم واقفون عند غايتهم من نقطة العلم أو من شكلة

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٢٦-٢٧.

الحكم، وخص الشكلة بالحكم؛ لزيادة التفهم بها على النقطة"[١] انتهى.

(تعقيب): ونحن نقول عليه مع شرحيه: أولا: قال الناظم: فاق النبيين في خَلق وفي خُلق مع قول الباجوري: أي: زاد صلى الله عليه وسلم على النبيين، وكذا على غيرهم بالطريق الأولى في خَلْق -بفتح الخاء وسكون اللام- وهو الصورة والشكل.

(بحث) يقال عليه: أما الشكل والصورة، فإن كان بمعنى أعضائه التي ركب منها، فلم يزد على الأنبياء وغيرهم من البشر/[٢٥] الكامل الأعضاء، وهو الغالب فيهم عضوا ما، كبيرا أو صغيرا، ولو أصبعا كما يدل لذلك اليقين والتواتر.

وإن كانا بمعنى الجمال فَيُعن جمال الله الذي لا أجمل منه ولا مدرك لكنهه إلا هو سبحانه.

يقال عليه: إن الله قد قسم الجمال بين خلقه، فمنهم من حاز الحظ الأوفر منه، كأهل الجنة الحالين بها حالا ومستقبلا بالنسبة إلى غيرهم من أهل الدنيا، ومنهم من حاز منه قسطا كاملا من أهل الدنيا بالنسبة إلى غيره، وهم أفراد يذكر بعضهم في الأخبار والسير، ويضرب بهم المثل، ومنهم من ساوى غيره في ذلك مساواة تامة أو مساواة متقاربة أو شبه.

وقلنا: إن أعلى الجمال والسماة جمال أهل الجنة؛ لأن الله ورسوله قصا علينا جمال أهل الجنة، بل وصف لا يتصف بها غيرهم، ولو كان بعض أهل الدنيا فيه كهم لما كانت مزية لهم ولقصصهم في ذلك، ولما زاد الراحلون إليها جمالا على جمالهم الدنيوي؛ إذ ما بلغ النهاية يناقص الزيادة.

وقد جاء عن رسول الله في بعض الأفراد المذكورين ما رواه أهل الصحيح كالبخاري وغيره من أن رسول الله مر بيوسف -عليه السلام- في السماء الثالثة، قال: (فإذا هو قد أعطي شطر الحسن)[٢].

وقال ابن كثير بعد هذا الحديث في تفسير قوله تعالى حكاية عن النسوة التي قطعن أيديهن لأجله مسلما لقوله: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا

---

(١) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٢٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب: ذكر الملائكة (١٠٩/٤/٣٢٠٧)، ورواه مسلم، واللفظ له، باب: الإسراء برسول الله -صلى الله عليه وسلم- (١٤٥/١).

إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾﴾ [سورة يوسف: الآية ٣١]، الدال على أن جمال الملائكة فوق جمال البشر: قال حماد بن سلمة[١] عن ثابت[٢] عن أنس قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (أعطي يوسف وأمه شطر الحسن)[٣].

وقال سفيان الثوري[٤]: عن أبي إسحاق[٥]، عن أبي الأحوص[٦]،

---

(١) أبو سلمة، حماد بن سلمة بن دينار البصري، ثقه عابد أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بأخرة من كبار الثامنة مات سنة سبع وستين.
انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ١٧٨/١.

(٢) أبو محمد، ثابت بن أسلم البناني، بضم الموحدة ونونين مخففين، البصري ثقة عابد من الرابعة، مات سنة بضع وعشرين وله ست وثمانون.
انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ١٣٢/١.

(٣) انظر: تفسيرابن كثير ٢٨٥/٤، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، باب: ما ذكر في يوسف عليه السلام (٣٤٩/٦/٣١٩٢٠)، ورواه الحاكم في المستدرك، باب: ذكر يوسف بن يعقوب صلوات الله عليهما، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (٦٢٢/٢/٤٠٨٢). وصححه الإمام الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٤٢/١).

(٤) أبو عبد الله، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة، وكان ربما دلس مات سنة إحدى وستين وله أربع وستون.
انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ٢٤٤/١.

(٥) أبو إسحاق، عمرو بن عبد الله بن عبيد، ويقال: علي، ويقال: ابن أبي شعيرة الهمداني السبيعي، بفتح المهملة وكسر الموحدة، ثقة مكثر عابد من الثالثة اختلط بأخرة مات سنة تسع وعشرين ومائة، وقيل قبل ذلك.
انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ٤٢٣/١.

(٦) أبو الأحوص، عوف بن مالك بن نضلة، بفتح النون وسكون المعجمة الجشمي، بضم الجيم وفتح المعجمة الكوفي، مشهور بكنيته، ثقة من الثالثة قتل قبل المائة في ولاية الحجاج على العراق.
انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ٢٣٣/١.

عن عبد الله بن مسعود قال: "أعطي يوسف وأمه ثلث الحسن"[1].

وقال أبو إسحاق أيضا: عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: "كان وجه يوسف مثل البرق، وكانت المرأة إذا أتته لحاجة غطى وجهه؛ مخافة أن تفتتن به"[2].

ورواه الحسن البصري[3] مرسلا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (أعطي يوسف وأمه ثلث حسن أهل الدنيا، وأعطي الناس الثلثين)، وقال: (أعطي يوسف وأمه الثلثين والناس الثلث)[4].

وقال سفيان[5]: عن منصور[6] عن مجاهد[1] عن ربيعة

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، باب: ما قالوا في الحسن ما هو. (٤٢/٤/١٧٥٩٢). قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني، والظاهر: أنه وهم، والله أعلم (٢٠٣/٨/١٣٧٧٤)، وإن لم يصح عن ابن مسعود، فقد ثبت مرفوعًا "أعطي يوسف وأمه شطر الحسن". انظر: حاشية (٣)، ص١٠٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عند قوله سبحانه: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ (٢١٣٦/٧/١١٥٦٢).

(٣) الْحسن بن يسَار الْبَصْرِيّ الْفَقِيه الْقَارئ الزَّاهِد العابد، سيد زَمَانه إِمَام أهل الْبَصْرَة، بل إِمَام أهل الْعَصْر، ولد بِالْمَدِينَةِ سنة إِحْدَى وَعشْرين فِي خلَافَة عمر -رَضِي الله عَنهُ-، وَمَات الْحسن لَيْلَة الْجُمُعَة سنة عشر وَمِائَة وعمره تسعٌ وَثَمَانُونَ سنة، وَقيل ستٌّ وَتسْعُونَ سنة.
انظر: الوافي بالوفيات للصفدي ١٩٠/١٢.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عند قوله سبحانه: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ (١٣٦/١٣)، قال الإمام الألباني: (ابن جرير) عن الحسن مرسلا، موضوع (١٣٥/١).

(٥) الثوري، سبقت ترجمته ص١٠٧.

(٦) أبو عتّاب بمثناة ثقيلة ثم موحدة، منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي الكوفي، ثقة ثبت، وكان لا يدلس من طبقة الأعمش، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.
انظر: تقريب التهذيب ٥٤٧/١.

الجرشي[2] قال: "قُسم الحسن نصفين؛ فأعطي يوسف وأمه سارة نصف الحسن، والنصف الآخر بين سائر الخلق"[3].

وقال الإمام أبو القاسم السهيلي[4] معناه: أن يوسف -عليه السلام- كان على النصف من حسن آدم -عليه السلام-، فإن الله خلق آدم بيده على أكمل صورة وأحسنها، ولم يكن في ذريته من يوازيه في جماله، وكان يوسف قد أعطي شطر حسنه/[26]، فلذا قال هؤلاء النسوة عند رؤيته: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[5] [سورة يوسف: الآية 31] انتهى.

وقال البغوي في تفسير هذه الآية: قال عكرمة: "كان فضل يوسف

=

(1) أبو الحجاج، مجاهد ابن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة المخزومي مولاهم المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، من الثالثة، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون سنة.
انظر: تقريب التهذيب 520/1.

(2) أبو الغاز، ربيعة ابن عمرو، ويقال: ابن الحارث الدمشقي، وهو ربيعة ابن الغاز بمعجمة وزاي الجرشي، بضم الجيم وفتح الراء بعدها معجمة، مختلف في صحبته، قتل يوم مرج راهط سنة أربع وستين، وكان فقيها وثقه الدارقطني وغيره.
انظر: تقريب التهذيب 208/1.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عند قوله سبحانه: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ (2136/7/11562).

(4) أبو القاسم، عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخثعمي السهيلي، الإمام المشهور صاحب كتاب "الروض الأنف" في شرح سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مولده سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة، وتوفي بحضرة مراكش يوم الخميس سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، رحمه الله تعالى.
انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان 143/3.

(5) انظر: تفسير ابن كثير 384/4.

على سائر الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سار النجوم.

وروي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (رأيت ليلة أسري بي إلى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر)"[١].

قال إسحاق بن أبي فروة: "كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران"[٢].

أقول: واختلاف الروايات المتقدمة في تفسير الشطر مرة بالثلث ومرة بالنصف، وهكذا على ما تقدم يجاب بأن كل مفسر فسر بما ظهر له أو رواه عن غيره، وإن كان اختلافهم ولو حملناه على نسيان البعض أو خطئه في ذلك لا ينفي اتفاقهم على صحة نسبة شطر الحسن إلى يوسف -عليه السلام-، وقد أخرج البيهقي وغيره في المعراج أنه صلى الله عليه وسلم قال في حق يوسف -عليه السلام-: (فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله، وقد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب)[٣] انتهى.

وأخرج مسلم: (أنه أعطي شطر الحسن)[٤] انتهى.

وقد قال ابن سلطان[٥] في شرح الشمائل حين ذكر حديث البيهقي

---

(١) أخرجه البغوي في تفسيره ٢٣٧/٤.

(٢) تفسير البغوي، سورة يوسف (الآية:١٢-٣١)،٤٨٩/٢.

(٣) سنن البيهقي، بَابُ: الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ- عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَرَأَى جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي صُورَتِهِ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي صُورَتِهِ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى.(٣٩٣/٢).

(٤) سبق تخريجه ص١٠٦.

(٥) علي بن سلطان محمد، نور الدين الملّا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره، ولد في هراة وسكن مكة، وتوفي بها سنة ١٠١٤ =

هذا: "أنه لا ينافي حديث قتادة عند الترمذي في شمائله (ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه، حسن الصوت)[١].

وفي رواية للمصنف (وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا)، أي: أملحهم وأفصحهم.

قال: لأن المراد أحسن من خلق الله بعد محمد جمعا بين الحديثين على أن هناك قولا لجماعة من الأصوليين أن المتكلم لا يدخل في عموم كلامه[٢].

وحمل ابن المنير رواية مسلم (أنه أعطي شطر الحسن) على أن المراد به أعطي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا -صلى الله عليه وسلم-"[٣] انتهى.

(بحث) ونحن نقول عليه: تقدم ما في البيهقي، ولكن أكثر ما في حديثه صحيح مسلم، ويدل هذا هنا الروايات الصحيحة عن غيره في أصل الحديث وأنه أعطي شطر الحسن، وإنما البحث في الزيادة، وقد تقدم ما يدل على ثبوتها فيما نقلناه عن ابن كثير عن الحفاظ، وعليه فكيف يجمع بينه وبين حديث قتادة مع اضطرابه؛ حيث عبر مرة بحسن الوجه وحسن الصوت، وفي رواية بأحسنهما زيادة على/[٢٧] أن حديث قتادة مرسل، وعلى أن رواية حسام بن مصك[٤] قال فيه ابن سلطان

=

هـ، صنف كتبا كثيرة، منها "تفسير القرآن" ثلاثة مجلدات، و "الأثمار الجنية في أسماء الحنفية"، و"شرح الشمائل".

(١) الشمائل المحمدية، باب: ما جاء في قراءة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. (١٨٣/١/٣٠٣)، وحسنه العلامة الألباني في مختصر الشمائل المحمدية ١٦٩/١.

(٢) انظر: المهذب في علم أصول الفقه المقارن ١٤٥٨/٤.

(٣) جمع الوسائل في شرح الشمائل، باب: ماجاء في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، علي ملا قاري ١١٥/٢.

(٤) أبو سهل، حسام بن مصك، بكسر الميم وفتح المهملة بعدها كاف مثقلة، الأزدي البصري، ضعيف يكاد أن يترك من السابعة.
انظر: تقريب التهذيب ١٥٧/١.

نفسه: ضعيف متروك الحديث[١]، ففي الميزان[٢] قال أحمد: مطروح. وقال الدارقطني: متروك، ومن مناكيره حديث (ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت)، على أن الجمع بهذا المعنى يحتاج إلى ما يقويه، وذلك بأن يجيء عن رسول الله صحيحا أنه قال: أنا أجمل خلق الله أو الناس أو الأنبياء أو من يوسف، كما قال: (أنا سيد الناس يوم القيامة)[٣]، وقول ابن سلطان: على أن هناك قولا لجماعة من الأصوليين أن المتكلم لا يدخل في عموم كلامه.

(بحث) يقال عليه: الكلام يشمل الخبر والخطاب، والذي أخاله لهم الآن أن ذلك في الخطاب بالأخبار لا في الخبر، وهذا خبر على أن هذه القولة عندهم ضعيفة، كما نقول: إن تقييد ابن المنير حديث مسلم بغير رسول الله يخالفه ما تقدم عن غيره من الإطلاق في الأحاديث وعند الحفاظ، فعليه أن يأتي بدليل التقييد الذي لا يخالف، على أن أهل هذا التقيد ذكره السهلي في آدم -عليه السلام- لا في رسول الله -عليه السلام-، وعليه فلينظر أيهما أصدق قولا وأزكى رأيا، وجمال آدم وحواء -عليهما السلام- لا يمترى فيه، وكيف لا والله يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [سورة التين:الآية٤]، وهذا الاسم أولى بهما من غيره، وكيف لا وقد بدأ الله بهما الخليقة، وخلقه بيده، وزادهما على جمال خلقتهما جمال الجنة التي خرجا منها، وهو أعلى كل جمال في الخلائق، ويوسف -عليه السلام- من النبيين، وقد جاء في غيرهم: أن جرير بن عبد الله البجلي كما ذكر ابن عبد البر[٤]: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) جمع الوسائل شرح الشمائل، باب: ما جاء في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ١١٥/٢.

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٤٧٧/١.

(٣) رواه البخاري، باب: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٨٤/٦).

(٤) ابن عبد البر هو: أَبُو عُمَرَ، يُوْسُفُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ البَرِّ بنِ عَاصِمٍ النَّمَرِيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، القُرْطُبِيُّ، المَالِكِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ الفَائِقَة، مَوْلِدُهُ: فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ فِي شَهْرِ رَبِيْعٍ الآخِرِ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ =

قال فيه حين أقبل وافدا عليه: (يطلع عليكم خير ذي يمن كأن على وجهه مسحة ملك) فطلع جرير[١].

وقال عمر بن الخطاب: "جرير بن عبد الله يوسف هذه الأمة"[٢].

قال ابن حجر[٣] في الإصابة: روى البغوي من طريق قيس عن جرير قال: "رآني عمر متجردا، فقال: ما أرى أحدا من الناس صور صورة هذا إلا ما ذكر من يوسف"[٤].

وقال رسول الله في دحية بن خليفة الكلبي: (ورأيت جبريل فإذا أقرب من رأيت به شبها دحية)[٥].

قال ابن حجر: وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل ينزل على صورته، جاء ذلك من حديث أم سلمة، ومن حديث عائشة.

إلى أن قال: وروى العجلي عن عوانة بن الحكم قال: "أجمل الناس من كان جبريل ينزل على صورته".

=

المُقْرِئ: مَاتَ أَبُو عُمَرَ لَيْلَةَ الجُمُعَة سلخ ربيع الآخر، سَنَةَ ثَلاَثٍ وَسِتِّيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة، وَاسْتكمل خَمْساً وَتِسْعِيْنَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَيَّام - رَحِمَهُ اللهُ -.
انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٥٣/١٨.

(١) ذكره ابن عبد البر في كتابه: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢٣٧/١)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير(٢٩١/٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧٢/٩): رواه الطبراني، وفيه محمد بن السائب الكلبي وهو كذاب.

(٢) ذكره ابن عبد البر في كتابه: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢٣٨/١)، وأبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة (٥٩١/٢)، وابن حجر في أسد الغابة (٥٢٩/١).

(٣) أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد الكناني العسقلاني، اشتهر (بابن حجر)، مولده: الثاني والعشرين من شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر؛ توفي سنة اثنين وخمسين وثماني مئة.

انظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي، ١٠١/١.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ٥٨٣/١.

(٥) رواه مسلم، باب: الإسراء برسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى السماوات وفرض الصلوات (١٥٣/١).

قال ابن قتيبة في غريب الحديث: فأما حديث ابن عباس: "كان دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصرا[١] إلا خرجت تنظر إليه/[٢٨]"[٢]، فالمعنى بالمعصر: العاتق.

قال ابن عبد البر في ترجمته: وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: كان رسول الله يشبه دحية الكلبي بجبريل -عليه السلام-[٣] انتهى.

أقول: ولم يتعقب هؤلاء هذا، ولا قيدوه كغيرهم مما تقدم، ولا روى صحيحا أن العواتق كانت تخرج لرؤية جمال غير دحية، كالحسن وجعفر الشبيهين برسول الله -رضي الله عنهما-، وعليه فالأنبياء -عليهم السلام- أحسن الله صورهم وجعلهم متفاوتين، فجمال الصورة فمنهم الأعلى في ذلك كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في يوسف، وكما جاء عن السهيلي في آدم -عليه السلام-، ومنهم المتساوون المتقاربون في ذلك، ورسول الله -عليه السلام- من أجملهم بعدما نص عليه في حق يوسف كما تقدم، وتقدم ما في الاستثناء، وماذا بين أن يصح عنه -عليه السلام- وعن الناقلين صفاته أنه أجمل من كل جميل؛ لأننا نؤمن به ونحب له كل صفة عالية، ولكن حيث يثبت ذلك، لا بمجرد الظنون أو المحبة؛ إذ المحبة الحقيقية هي متابعة ما جاء به كيفما كان، كما أن المدار على جمال الأرواح والأعمال وحسن الأخلاق والقرب من الله، فيوسف -عليه السلام- وإن كان أجمل الناس، فرسول الله أفضل منه ومن الثقلين كلهم، وقد يكون الكافر أجمل من بعض الأنبياء -عليهم السلام-، ولا يفيده جماله غير نظرة الناظرين إليه، وقد قيل[٤]:

جمال الوجه مع قبح النفوس   كقنديل على قبر المجوس

وقد تقدم جمال دحية وجرير الشبيه بجمال يوسف -عليه السلام-، ومع ذلك لم يوصلهم مع إيمانهم وصحبتهم لرسول الله إلى مرتبة يوسف

---

(١) المعصر: الْجَارِيَة اذا دنت من الْحيض، وَيُقَال: هِيَ الَّتِي أدْركْت.
انظر: غريب الحديث لابن قتيبة ٣٦٠/٢.

(٢) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة ٣٦٠/٢، والإصابة في تمييز الصحابة ٣٢٣/٢.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤٦٢/٢.

(٤) لم أقف لهذا البيت على مصدر.

وغيره من النبيين.

كما أن غير الأنبياء -عليهم السلام- من البشر فيهم القبيح وهو الكثير، وفيهم الجميل وهم متفاوتون في ذلك، وقد يقال: إن شمائل رسول الله وأخلاقه المروية عن أصحابه تدل على أنه أجمل خلق الله، فيقال عليه: ما تقدم في البحث مع الشيخ ابن جعفر(١)، ويزاد عليه هنا أن ذلك من باب التشبيه، والمشبهون يتباعدون فيه ويتغالون حتى يشبهوا الوجه الحسن بالبدر، والمرأة الحسناء بالشمس، والرجل العالم بالبحر، فيقولون: زيد كالبدر، وفلانة كالشمس في الحسن، وقد قال القائل منهم/[٢٩] (٢):

قامت تظللني من الشمس نفس أعز علي من نفسي
ومن عجب، شمس تظللني من الشمس

وقال الآخر(٣):

هي الشمس مسكنها في السماء فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تسطيع إليها الصعود ولن تسطيع إليك النّزول

وقد يجعلون التشبيه تاما بحذف أداته، أو يستعيرون المشبه به للمشبه، فيقولون: هذا شمس أو قمر، وفي الذم: هذا حمار كما تقدم في قوله:

قامت تظللني من الشمس

وإلا لو كان ذلك على الحقيقية لاتفق الواصفون على ذلك، وهم لم يتفقوا كما قدمنا روايتهم، ولا رويت تلك الحقيقة والتواتر، ولا ما احتاج الزمان والمكان الذي يحل به صاحب ذلك الوصف -عليه السلام- إلى شمس أو سراج كما قدمنا، كما أن بعض التشبيه في قصة يوسف -عليه السلام- محمول على ما ذكر، وإنما المثبت لجماله الفائق النص من رسول الله، وقد قال: إن هيبة رسول الله هي التي منعت من ظهور جماله لناعته الفائق لكل جمال، يقال له: معلوم أن لكل الأنبياء -عليهم السلام- مهابة ولاسيما رسول الله، لم تمنعهم هذه المهابة من ذكر أوصافه

---

(١) هي رسالة للشيخ في الرد على ابن جعفر في إجازته للمولد.

(٢) خاص الخاص لأبي منصور الثعالبي ١٥٨/١.

(٣) ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري٢٦٩/١.

والتلقي عنه، وقد ذكروا أوصافه ولم يتركوا منها شيئا، وتلقوا عنه ما أمر الله أن يبينه لهم غاية التلقي، وبما كتبناه هنا تعلم ما في قول الناظم، والباجوري ومن تبعهما فاق النبيين في خلق.

وثانيا: قوله: وفي خُلُق بضمهما، وهو ما طبع عليه الإنسان من الخصال الحميدة إلخ.

(بحث) يقال عليه: الأنبياء -عليهم السلام- مطبوعون كلهم على هذا الخُلُق لا يتجاوزونه ولا يتجاوزوه، كالملائكة -عليهم السلام- وأهل الجنة، وما يعلمه الله من مثلهم، وأما غيرهم من الثقلين فمنهم المطبوع على الشر، ومنهم المطبوع على الخلق الحسن، ولكن هذا يفوقه الأنبياء والملائكة -عليهم السلام- من حيث الإفراد؛ إذ قد يكون متواضعا لا عفيفا مثلا، وقد يكون فيه ذلك كله ولكن لا يدوم زمانا ومكانا وحالا، وقد تكون أثره فيهم ضعيفة بخلاف الأنبياء ومن معهم، فكل هذا منتف عن خلقهم، ولا يجوز أن يكون النبي -عليه السلام- عفيفا لا متواضعا، أو لينا لا كريما، أو ... أو ... أو ...[1]، فهذه الخصال لابد أن تجتمع في نبي من الأنبياء أفرادها، وأن تدوم فيه وتظهر مقتضياتها، وبما كتبناه تعلم ما في قول الشارح/[٣٠]، وقد اجتمع فيه عليه السلام ما تفرق في غيره من تلك الخصال المؤذن بأن بعض الأنبياء عالم، وبعضهم جاهل، وبعضهم كريم، وبعضهم عفيف، وبعضهم لا؛ إذ هذا هو معنى ما تفرق في غيره، مع أنه لا يكون نبيا فضلا أن يكون رسولا إلا باجتماع هذه الخصال فيه.

وعليه، فأي فرق بين الحكم بأنها اجتمعت في رسول الله وتفرقت في غيره، هذا من حيث الإفراد، ومن حيث الانقطاع فلا يجوز أيضا عفة النبي أو علمه أو حياؤه في بعض الأوقات، كما لا يجوز أن لا يعمل بمقتضاها ككتمه علمه وقتا ما.

ثالثا: قوله: وقد ذكر بعضهم أن من تمام الإيمان الخ.

(تعقيب) يقال عليه أولا: هذا استدلال لا يساوي كلمة أف؛ لأنه استدلال بكلام البعض لكلام البعض المحتاج للدليل عليه فهو من باب تمسك غارق بغارق.

وثانيا: قد يعكس عليه هذا المعنى بأن يقال: إن من تمام الإيمان أن

---

(١) هكذا في المخطوط.

لا يعتقد هذا الاعتقاد؛ لظهور فساده بما تقدم.

رابعا: قوله: واعترض على الناظم بأن مقتضى كلامه الخ.

(بحث) يقال عليه: من تأمل وجد المعترض والمعترض عليه والمجيب كلهم حادين عن الصواب، أما المعترض عليه والمجيب فلاعتقادهم ما تقدم. وأمّا المعترض فمثلهم في ذلك، وإنما عاب على الناظم أن لا يأتي بعبارة أصرح في المراد من عبارته.

خامسا: قوله: المتعرض؛ لأنه يحتمل أن يساويهم في البعض الآخر الخ.

(نقد) يقال عليه: ما علل به هذا الاعتراض ربما كان هو الصواب عند التأمل لمن أنصف، ولو لمدح لا يكون بغير الواقع، والواقع في غير الأوصاف المتقدمة في شرح الخلق للشارح، أما هي فقد تقدمت أنه لابد فيها من المساواة إلا في بعض النكت ستأتي.

إن الله تعالى قد شارك الأنبياء في تلك الأوصاف المتقدمة كالنبوة والرسالة، وخص من شاء منهم بخصال سامية، من حصلت له فاق بعضهم بها، وإن كانت لا تقتضي الأفضلية المطلقة، وسيأتي ذكر بعضها عند المقتضى.

سادسا: قوله: وأجيب بأن في خلقهم الخ.

يقال عليه: يتضح هذا الجواب لو كان المضاف إليه مصرحا به، وإلا فالمدار على ظاهر اللفظ.

سابعا: قوله: في علم ولا كرم أي ولا غيرهما الخ.

يقال عليه: زيادة ولا غيرهما من الشارح لا تدفع الاعتراض على الناظم كما هو/[٣١] ظاهر بأنه عمم في قوله: فاق النبيين في خلق وفي خلق، ثم خصص نفي مقاربتهم له في العلم والكرم المؤذن بأنهم يقاربونه في غيرهما مع أنه لا مقاربة عنده لهم في الكل. تأمل ذلك!.

ثامنا: قول الناظم: ولم يدانوه في علم ولا كرم.

يقال عليه: أما اشتركوا فيه من النبوة والحكمة والأوصاف الكاملة التي تليق بالنبوة فهذا لا يكون بهم إلا كاملا، ومن كانت له فيه مقاربة لغيره فيه ليس بكامل تلك الصفة، ومن لم تكمل فيه أوصاف النبوة ليس بنبي، وأما ما اختص به أحد منهم فلا يقاربه غيره كان رسول الله أو غيره، وعليه فصفة العلم والكرم التي نفى عنها الناظم المقاربة للرسول منهم لا تظهر إلا في آثارهما ككثرة الأتباع وعموم الدعوة لهذا دون هذا، والغنى لهذا دون هذا بحيث يتمكن الغني والمتغلب في الحروب

والغنائم من إظهار كرمه دون من لم يكن غنيا منهم، وإن كانت صفة الكرم مشتركة كما يقال في العلم ذلك، بل عوام الناس يشتركون مع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في الصفات البشرية من غير نفي مقاربة أحد لأحد غالبا، ويختص هؤلاء بخصائص كما يختص بها غيرهم، فيجيء نفي المقاربة وقتئذ.

تاسعا: قوله: وكلهم من رسول الله ملتمس، قول الشارح هذا الدليل كالدليل لما قبله.

يقال عليه: يا له من دليل، وسيأتي ما فيه كما يأتي ما في قوله: ولا يرد على ذلك ما ورد من النهي عن التفضيل بين الأنبياء الخ.

العاشر: ما يقال عليه: التماسهم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سواء قلنا فيه: أنه الطلب وهو المعنى الحقيقي له، أو إطلاق الالتماس على الأخذ يقال عليه: إذا كان ذلك على وجه الاستعارة كما عبّر به الناظم في همزيته بقوله: واستعاره من نوالك الفضلاء[1]، فالاستعارة مردودة فلم لا ترد منهم إلى صاحبها وإن كان على وجهها، فإن كان على وجه النيابة عنه -عليه السلام- كما يقول هؤلاء: إنهم نواب رسول الله في تلك الأمم الماضية فلم لم ينص على هذه النيابة لا من الله ولا من رسوله ولا من إجماع الأمة ولا من المحققين مع أن المعروف في الشرائع أن الأنبياء -عليهم السلام- كانوا مستقلين بالرسالة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [سورة النساء:الآية١٦٣]الآية. وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [سورة الشورى:الآية١٣] الآية، كما يقال: هذا الالتماس في أي وقت كان، فإن كان قبل وجود الأنبياء، فمن الملتمس والملتمس منه والكل معدد/[٣٢].

فإن قيل: كان ذلك حينما قسم النور الأول على الكائنات وإلى نور رسول الله.

---

(١) قال في همزيته:

كل فضل في العالمين فمن فضل النبـي استعـاره الفضـلاء

انظر: الهمزية للبوصيري، ص ١١.

قيل: قد تقدم أن ذلك إنما هو قدر مشترك اجتمع فيه الكائنات والرسل على قولكم، ولم يكن آخذ من هذا لهذا، على أن ذلك النور الملتمس منه سواء قلنا: إنّه عرض أو جسم لطيف لا يصح العطاء والأخذ منه؛ لأنه لم يتصف إذ ذاك بالنبوة ولا بخصال الكمال التي يعطيها لملتمسها، كما أنه ليس بحي عاقل يستدبر ذلك ويوصله على مستحقيه.

فإذا قيل: يمكن أن يكون ذلك عندما خلق الله الأرواح فتلتمس الأرواح من روحه -عليه السلام- ذلك.

قيل عليه أولا: عالم الأرواح السابق على الأشباح لم يتفق عليه سلمناه، ولكن أي نبوة وما معها من خصال الكمال للأرواح إذ ذاك حتى يصح التماسها للبعض من البعض.

فإن قيل: ألم تكن روح النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ ذاك نبيا كما يشهد له: (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد)[1].

قيل عليه: هذا الحديث وما شاكله وإن كانا مرويين لكنهما لم يثبتا عند الحفاظ سلمناه، ولكن الرواية (كتبت) لا كنت[2] سلمناه، ولكن كنت في علم الله بناء على أن الحال وآدم بين الروح والجسد ليست قيدا في عاملها على أنه لو سلم لكم ذلك لكان ذلك لازما للنبي -عليه السلام- لمجرد خروجه صبيا للدنيا، ولا التمس ذلك من روحه المزدوجة بجسده بمجرد بروزه، وشيء من ذلك لم يكن بالتواتر والأخبار الصحيحة، وإنما نبأ عليه السلام بعد الأربعين من عمره.

فإن قيل عليه: الأنبياء -عليهم السلام- لم يبق لهم وجود في هذه الدنيا وغير الموجود كيف يطلب ما يختص بالموجود على أن طلبهم هذا لو سلم كان تحصيلا للحاصل؛ لأن مطلوبهم كان حاصلا لهم قبل هذه النبوة

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٢٩/٧، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٣٥٣/٢٠، وذكره الآجري في الشريعة ١٤٠٦/٣.
قال الإمام الألباني:(صحيح) في صحيح الجامع الصغير ٨٤٠/٢.

(٢) رواية (كتبت) أخرجها الترمذي في العلل الكبير، باب: فضل النبي -صلى الله عليه وسلم- (٣٦٨/١/٦٨٣)، فرواية (كتبت) و (كنت) كلاهما رواية ثابتة.

إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وعملوا به كما أمرهم الله حتى رحلوا إليه مبلغين غير مفرطين.

فإن قيل: إن هذا الالتماس كان بعد وجود الأنبياء من روحه -عليه السلام-.

قيل عليه ما تقدم قبله، كما يقال عليه: إن روح النبي -صلى الله عليه وسلم- لم تحل في أحد من أجداده، وإنما نفخت في جسده عند أوانه، كانت/[٣٣] سابقة أو ملحوقة عند ذلك على الخلاف عند الناس، وإن كان الأول أظهر.

فإن قيل: إن الالتماس كان بعد وجودهم ولكنهم من نوره الذي حملوه في ظهورهم واحدا بعد واحد إلى ظهر أبيه وبطن أمه.

قيل عليه بعدما تقدم: من أن هذا النور ليس هو المخلوق منه عليه السلام لو سلم انتقاله هكذا، ولكنه غير مسلم، وإنما خلق عليه السلام من نطفة أبيه الطاهرة ونوره الحسي والمعنوي، منحه الله إياه بعد أن نبأه، كما طبعه قبل النبوة على الخصال الحميدة، على أن هذا النور ليس بحي ولا عالم، فضلا عن اتصافه بالنبوة والأوصاف الحميدة، وعليه فكيف يلتمس منه ما ليس بيده، ولا ممكن منحه لملتمسه سلمناه، ولكن تأمل ما يترتب عليه من أن سيدنا آدم -عليه السلام- ومولاتنا حواء[١] -عليها السلام- التمسا نبوتهما وخصائصهما الحميدة من نور النبي -عليه السلام- الذي حل بهما، كما أن كل نبي من أجداده عليه السلام التمس ذلك من الحالّ به، وأن كل نبي من غير أجداده التمس ذلك من بعض أجداده الذي انتقل إليه في زمانه، فموسى -عليه السلام- ويوسف وغيرهما كل التمس ذلك من مثل كنانة والنظر وخزيمة ونزار وهلم جرا[٢].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "ونقل النووي في الأذكار أن الإمام نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية، وعن الحسن: ليس في النساء نبيّةٌ ولا في الجنّ".
انظر: فتح الباري ٤٧١/٦.

(٢) هلم جرا: أصله مأخوذ من سوق الإبل (يعني: سيروا على هينتكم لا تجهدوا أنفسكم)، أخذا من الجر في السوق، وهو أن تترك الإبل ترعى في السير.
انظر: النكت على مقدمة ابن الصلاح، لابن حجر، ٥٠٣/١.

أقول: وهذا العلم أشبه بالهذيان.
الحادي عشر: قوله: فأولوا العزم مثلا أكثر التماسا من غيرهم الخ.
يقال عليه: من أنبأهم بهذا التقسيم المنبئ على بناء هادم، ولا دليل على ذلك غير دعواهم، والدعوى لا تقبل بلا بنية.
الثاني عشر: قوله: وإنما عبّر في جانب البحر بالغرف، إلى قوله: لأنها بحر على وجه الأرض فلا يجتمع فيها غالبا حتى يغترف.
يقال عليه: هذه العلة إنما تصح حينما تكون الديمة قليلة والأرض عطشى فتبتلع ما نزل بها من ذلك، أمّا إذا حصل لمائها الجري بكثرتها، أو كون الأرض صلبا، فإن ماءها يجري ويجتمع في الحياض والحفر، فيمكن الغرف منه، خلافا لما يفهم من كلامه أنه لا يمكن الغرف بالجاري منها ولا من غيره.
الثالث عشر: قوله: ومعنى كونهم واقفين لديه عند حدهم أنهم ثابتون.
يقال عليه: أولا: من حد لهم هذا الحد وحصرهم هذا الحصر، حتى كأنهم في حبس لا يخرجون منه، وأطلق لغيرهم لترقى فيما شاء من العوالم الحسية والمعنوية، ويا ليتهم أعطيت لهم الرخص في الانحداد والتدلي من ذلك الحد لتخفيف صيغه، وصعب هذه الحالة، فإذا كان الدليل فأين هو من الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وإجماع أمته واتفاق مجتهديها، فإن لم يكن إلا ما اختاره الناظم/[٣٤] والغلاة مثله في كل شيء، وليس الأمر بأمانيهم ولا أماني غيرهم، ولا العلم محصور في مقولهم، والحكمة في معقولهم.
الرابع عشر: قوله: فوقوفهم لديه صلى الله عليه وسلم وقوف الغاية الخ.
يقال عليه: إذا كانت نهايتهم في العلم والحكمة والنبوة هي مبدأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أولا، كان أولا: لم يشاركهم في المبدأ والوسط من ذلك، وحينئذ لا يكون مشاركا لهم في النبوة أو لم يكونوا كذلك؛ لأن النبوة وما يلزمها لا يتجزى، بل لا تحمل إلا بكماله، فإن أعدم منه المبدأ أو الوسط جاء ما تقدم من الوجهين.
ثانيا: المشاركة للغاية فقط ليست مشاركة تامة، وهم قد اشتركوا في ذلك مشاركة تامة كما سيأتي دليل.
ثالثا: أي دليل يوضح لنا هذه الأفكار التي لا تنبني على أصل ثابت، ولا تُنْتِجُ لا نتيجة إلا بالدعاوي الغير الثابتة.
الخامس عشر: قوله: والمراد من العلم والحكم علم رسول الله -صلى

الله عليه وسلم- الخ.

يقال عليه: محصول ما قال هنا أنهم بالنسبة إلى علم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحكمه وأوصافه الحميدة كما زعم فيما تقدم للمفهوم للعلم والحكمة آخذون منه قدر النقطة أو الشكلة، وقد عبّر فيما تقدم بالغرفة والرشفة بينهما ما ترى من التقارب؛ لأن الغرفة والرشفة أكبر من النقطة والشكلة، وبالنسبة إلى علم الله، فكذلك دون الرسول -عليه السلام-، فإلى غاية قد يصل بهم، بل وصل إلى إحاطته بكمالة الله وعلمه كما تقدم ويأتي، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

السادس عشر: ما يقال: إن الأنبياء والرسل -عليهم السلام- ذكرهم الله إفرادا وجمعا بالأوصاف الكاملة، واشتراكهم فيها إلا ما خص به البعض دون البعض، فقال تعالى بعد ذكره إبراهيم -عليه السلام-، ووصفه بأنه أراه ملكوت السموات والأرض، وأنه حاج بذلك قومه: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ /[٣٥] وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [سورة الأنعام:الآية٨٤-٩٠]، ولقد ذكر الله في صفاتهم الكاملة، كالهداية، والعلم، والإحسان، والصلاح، والتفضيل على العالمين، والاجتباء، وإيتاء الكتاب والحكم والنبوة، وقد شاركهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في جميع هذه الخصال كما أمره الله في هذه الآية: أن يقتدي بهداهم ذلك، وقد قال سبحانه وتعالى في صفة يحيى -عليه السلام-: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ

حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة مريم:الآية١٢-١٥]، وقال في حق مريم -عليها السلام-: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ [سورةمريم: الآية١٧]، وقال: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[سورة الأنبياء:الآية٩١]، وأخبر عن ابنها عليه السلام أنه تكلم في المهد وقال: ﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورةمريم:الآية٣٠-٣٣]، وقال في حق إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة مريم:الآية٤١]، وقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [سورة النحل:الآية١٢٠-١٢٢]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [سورة النحل:الآية١٢٣]، وقال في حق موسى -عليه السلام-: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ [سورة مريم: الآية ٥١-٥٢]، وقال في حق إسماعيل -عليه السلام-: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة مريم:الآية٥٤-٥٥]، وقال في حق إدريس: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة مريم:الآية٥٦-٥٧]، وقال في حق جميع الأنبياء: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة مريم:الآية٥٨] الآية، وقال فيهم وفي الصديقين والشهداء والصالحين: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ

وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ /[٣٦] وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة النساء:الآية٦٩]، وقال: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ [سورة النساء:الآية١٦٣] الآية، وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ ﴾ [سورة الشورى:الآية١٣]الآية، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على فضلهم وكمال صفاتهم واشتراكهم فيها، وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسأل اللحوق بهم عند احتضاره ويقول: (اللهم في الرفيق الأعلى)[1]، وعليه فكيف يظهر مع هذا قول البوصيري؟

فاق النبيين في خلق وفي خلق ... ولم يدانوه في علم ولا كرم

وكلهم من رسول الله ملتمس ... غرفا من البحر ورشفا من الدّيَم

وواقفون لديـه عند حدهم ... من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

وأي دليل لهذا الناظم على هذه الأقوال التي تحط من قدرهم، ولا يظهر نفي المدانات والمشاركة إلا فيما خص الله به بعضهم، وخصائصهم معروفة في كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة، وعليه فقول الباجوري: ما ورد من النهي عن التفضيل بين الأنبياء كقوله -عليه السلام-: (لا تفضلوا بين الأنبياء)[2]، بأنه محمول على تفضيل يؤدي إلى تنقيص، وليس في ذلك تنقيص لأحد من النبيين، الخ ما قال.

يقال عليه: إذا لم يكن وصفهم بأنهم لم يصلوا إلى أوصاف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا قاربوه فيها، وأن كل ما لهم ملتمس منه، وأنهم نوابه فقط، وأنهم خُلقوا من نوره، وأنه القاسم في أرزاقهم حسية ومعنوية، وأنهم مظهر له فقط، وأنهم إنما خلقوا لأجله، وليعرفوا منزلته عند الله، وأن ما التمسوا منه لا يزيد على الغرفة من البحر، أو رشفة من الديم، أو نقطة من العلم، أو الشكلة من الحكم، نقصًا فما هو النقص!، ولا يبقى بعد النقطة في القلة من الأوصاف الكاملة إلا الانسلاخ لكل كمال، وجزء النقطة كالعدم؛ لأن ما قارب الشيء يعطى حكمه، ولا

---

(١) رواه البخاري، باب: مرض النبي -صلى الله عليه وسلم- ووفاته. (١٠/٦/٤٤٣٧).

(٢) سبق تخريجه ص١٠٢.

ينسب النقط من الشيء إلا إذا كان الناقص مشاركا للكمال في أجزائه، لا إن لم يشاركه أو كان قريبا من ذلك، وعليه/[٣٧] فأي نقص ينفى هنا عن الأنبياء والمرسلين إلا بالأوهام الزائفة، بل هذا أنقص النقص، بل سلب كل كمال، كما أن استدلاله بالآية ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة البقرة:الآية٢٥٣]، وأن المراد بالبعض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يتفق عليه، وإنما المتفق عليه أن الله فضل الرسل بعضهم على بعض، وأن أفضلهم رسول الله، وفضله عليهم ما بهذا الكلام الشنيع والمعنى القبيح، بل باصطفاء الله له وعموم بعثته ورحمته للعالمين، وما خصه الله به من الخصائص المعلومة، وقد ذكرنا بعضها فيما تقدم، كما أن أفضل الرسل قبله أولوا العزم، وأولهم في ذلك إبراهيم -عليه السلام-، ثم من بعده على الترتيب المذكور في محله[1].

السابع عشر: أن هؤلاء لم يقتصروا في كلامهم هذا على تنقيص الأنبياء -عليهم السلام-، بل تجاوزوا به إلى تنقيص رسول الله -عليه السلام-؛ وذلك أن الدلائل القاطعة والمظنونة منهم ومن غيرهم دلّت على كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نفوا مدانة الرسل إليه في ذلك كما نفوها في علمه وغيره من الخصال الحميدة، وقد جاءت الأخبار الصحيحة بأنه كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، فقد أعطى رجلا من المؤلفة قلوبهم مائة جمل، وآخر واديا مملوءًا غنما، كما جاء فيها أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أجود الناس، ومن هذه حالته في الجود بالدنيا التي نتيجتها قريبة، فكيف به في الجود بالعلم والحكمة والنبوة وغيرها من الفضائل على ملتمسها منه بزعمكم، بل يترقى ذلك عن الأول بمراتب، ولكن مع شهادتكم بأن من جوده الدنيا وضرتها، ومن علومه علم اللوح والقلم، كيف يوصف منكم أنه يشح على هؤلاء الملتمسين الذين هم من أرفع العالم ولا يسخوا لهم بمثل النقطة من بحار الدنيا التي ملأت ثلاثة أرباعها، ولم يعط بالنقطة حتى يعطى بها، ولا بالغرفة كذلك، بل توفرت له أسباب كثرة السخاء.

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٧].

وقد روي عن الليث بن سعد -رحمه الله-: أن امرأة سألته مثل النقطة من/[٣٨] العسل لبرص بعينها وهو مسافر إلى الحج فأعطاها زِقاً، فقالت: إنما سألت نقطة أو مثل نقطة، فقال: إن ربي لم يعطني بالنقطة حتى أعطي بمثلها[١].

وحكي أن سائلا وقف بباب دار مزخرف فأعطي من قبل أهلها شيئا تافها، فجاء بفأس وأراد هدم الباب، فقيل له في ذلك، فقال: إن هذا الباب لا يناسب هذه الصدقة.

وعليه، فما هي الغرفة أو النقطة من البحر في حق جود رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ وكثرة ما أعطى من فضل الله، وماذا يصيب منها كل نبي لو قسمت عليهم؟ ولو فرضنا أن كل نبي يأخذ غرفة أو نقطة لاجتمع من ذلك نحو ضاية[٢]، أو غدير بالنسبة إلى عددهم لو فرضنا مائة ألف وبالنسبة إلى البحر الذي قالا أعظم الأرض.

فإن قيل: إن هذا حكم من الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم الذي هو قاسم لا معطي.

قيل لهم: لقد انتقلتم من تنقيص إلى أكبر منه، ثم إلى أعظم وأعظم، حيث نسبتم جود الله مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين إلى هذه الحالة التي قد لا يرضاها أشح الناس من البشر، ولو سلمنا لكم هذا لطالبناكم بدليل عليه يدفع الوجود والدلائل التي لا ترضى في كرم الله وسخائه.

الثامن عشر: ما يقال: قد تردد الناظم فيما منحه رسول الله -

---

(١) هذه القصة بهذه الرواية لم أقف على مصدر ذكرها بهذا النص؛ وإنما الذي وقفت عليه بهذا النص: (جاءت امرأة إلى الليث فقالت: يا أبا الليث فقالت: يا أبا الحارث، إن ابنا لي عليل واشتهى عسلا، فقال: يا غلام، اعطها مرطا من عسل، والمرط عشرون ومائة رطل، وقال غيره: سألت المرأة منا من عسل فأمر لها بزق، فقال له كاتبه: إنما سألت منا، فقال: إنها سألتني على قدرها فأعطيناها على قدر السعة).
انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ الليث، ١٢٧/٤.

(٢) لم أقف لهذه الكلمة على معنى.

صلى الله عليه وسلم- الملتمسين من الأنبياء والمرسلين له بين الغرفة والنقطة والرشفة والشكلة ترددا يدل على أن الرجل يعتمد على غير اليقين، بل على غير المظنون.

ثم قال الناظم -رحمه الله- بعدما تقدم له:

فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم[1]

وهذا البيت يقال عليه: إن كان معناه كمال الصفات المعنوية والحسية فصحيح، ولكن كونه لا شريك له فيها سيأتي ما فيه في البيت بعده، كما يقال في قوله: ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم: فيه أنه اصطفاه خليلا لا حبيبا فقط كما دلت عليه الدلائل؛ ولأن الخلة أرفع مراتب المحبة فوصفه بالحبيبية لا يعطيه هذا الرفع الذي تمنحه له الخلة.

ثم قال بعده:

منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم[2]/ [٣٩]

قال الباجوري[3]: "ليس له في محاسنه شريك من البشر، وجوهر حسنه لا يقبل القسمة بينه وبين غيره، كما أن الجوهر الفرد الذي يتوهم في الجسم ويقول المتكلمون: إن الجسم مركب منه غير منقسم بوجه من الوجوه لا بالفرض ولا بالوهم، ومن كان موصوفا بكمال الصفات باطنا وظاهرا كان محبوبا"[4] انتهى.

قال الأزهري[5]: "قوله: منزه الخ، أي: وهو منزه الخ، وقوله: عن شريك، أي: عن كل شريك؛ لأنه نكرة في سياق النفي معنى؛ فإن المعنى

(١) انظر: شرح البردة ص١٠٦.
(٢) انظر: شرح البردة ص١٠٦.
(٣) هذا قول الأزهري.
(٤) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٢٧.
(٥) هذا قول الباجوري، والمصنف عكس القولين.

لا يوجد له شريك، والنكرة في سياق النفي ولو معنى تعم، وقوله: في محاسنه، أي: صورة ومعنى، وقد تنازعه كل من منزه وشريك، والمحاسن جمع محسن على القياس، وقيل: جمع حسن على غير قياس.

واعترض على المصنف: بأن النبيين مشاركون له صلى الله عليه وسلم في المحاسن كالنبوة والرسالة، فكيف يقول: منزه عن شريك في محاسنه؟

وأجيب: بأن ما عندهم من المحاسن مثل النقطة أو الشكلة كما يدل عليه ما ذكره سابقا في العلم والحكم، وحينئذ فلا مشاركة، وقوله: فجوهر الحسن الخ. مفرع على قوله: منزه عن شريك الخ، والمراد من جوهر الحسن: ذاته وحقيقته، وقوله: في، أي: الكائن فيه، وقوله: غير منقسم، أي: بينه وبين غيره؛ لاختصاصه به بخلاف يوسف -عليه السلام-، فإنه أعطي شطر الحسن، وإنما لم يفتتن به صلى الله عليه وسلم كما افتتن بيوسف -عليه السلام؛ لأن جماله -عليه السلام- ستر بجلاله فلم يمكن لأحد أن يتأمل فيه حتى يفتتن به"[١] انتهى.

(بحث) ونحن نقول عليه: أولا: قول الباجوري: ليس له في محاسنه شريك من البشر.

(تعقيب): يقال عليه: قيد الشريك المنفي بالبشر وهو مفهم أن غير البشر يشاركونه في ذلك، والأزهري جعله نكرة عامة في سياق النفي وهو يفهم غير ما أفهمه كلام الباجوري.

ثانيا: قول الباجوري: وجوهر حسنة لا تقبل القسمة بينه وبين غيره.

(بحث) يقال عليه: إن كان مراده بجوهر الحسن نفس الحسن، أي: ذاته، كان الجوهر يقابل العرض، فهو قابل للقسم كما تقدم ويأتي، وقد حمله الأزهري على هذا، وجوز فيه القسمة، ولكن أجاب عن ذلك التجويز بما سيأتي، وإن كان مراده بجوهر الحسن الجوهر الفرد عن المتكلمين، كما شبهه به كان بين المشبه والمشبه به بون شاسع؛ إذ الجوهر/[٤٠] الفرد لا وجود له عند المحققين، وجوهر الحسن موجود يقبل القسمة، وهو الموافق لما هنا، فعليه بدليل استحالة قسمة لا بعدم قسمته مما تقدم للناظم في قوله:

فاق النبيين في خلق وفي خلق

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٢٧-٢٨.

الأبيات الثلاثة.

وما ذكره الأزهري بعد يفيد أن وجود القسمة فيه وإن كانت ضيزى[1].

ثالثا: ما يقال: إن الله -سبحانه- اختص بمحاسن دون خلقه وهي ذاته الأقدس، وصفاتها من وجود وغيره، وأفعالها، بحيث لم يشاركه أحد في ذاته، أي: بأن تكون له ذات كذاته قديمة أو حديثة، وكذلك في الصفات والأفعال، وجعل باختياره خلقه مشاركا له في مطلق وجود ذواتهم إيجاده وصفاتهم وأفعالهم، فكان له شريك بهذا المعنى في الذات، والصفات كصفات المعاني، كالقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام، وصفات الأفعال، كالمعطي والمعز والمذل مثلا، والأفعال، كالعطاء والمنع ونحوهما، وإن كان بين هذه الشركة تباين من حيث المعنى الحقيقي والقدم والحدوث والقوة والضعف، فقد جاء في الحديث (خلق الله آدم على صورته)[2]، أي: على صفاته من كونه سميعا بصيرا وو... [3]، وعليه، فالله سبحانه لم ينزه نفسه عن مطلق الشريك بهذا المعنى، فكيف يتنَزّه منه الخلق ولو بلغ ما بلغ في الرفعة؟ ولو شاء الله لنزه نفسه عن ذلك، ولكن اقتضت حكمته ذلك، كما أن قوله سبحانه: لا شريك له مقطوع به ولكن بالمعنى السابق، وإن كان بالمعنى الثاني لا يطلق عليه شريك لله لفظا وتسمية، وإن كان في المعنى شريكا من تلك الحيثية.

رابعا: ما يقال: أن ما قدمناه من الدلائل القاطعة على مشاركة الأنبياء لبعضهم بعضا في الخصال الحميدة إلا ما اختص به كل واحد منهم يدل على ردّ كلام الناظم هنا ومن تبعه.

خامسا: قول الباجوري: لا بالفرض ولا بالوهم، يقال عليه: لا فرق بين الفرض ولا الوهم، فأي فائدة في تكراره؟.

سادسا: قول الأزهري: اعترض على المصنف بأن النبيين يشاركونه صلى الله عليه وسلم الخ.

(تعقيب): يقال عليه: الاعتراض في محله، وجوابه عنه ساقط، يدل

---

(١) ضيزى، أي: ناقصة. انظر: القاموس المحيط ٥١٤/١.

(٢) رواه مسلم، باب النهي عن ضرب الوجه (٢٠١٧/٤).

(٣) هكذا في المخطوط.

على سقوطه ما كتبناه قبل في الغرفة من البحر والرشفة من الديم.

سابعا: قول الأزهري: لاختصاصه به.

(بحث): يقال عليه: كأن الأزهري وغيره يعممان/[٤١] في شرحهما المحاسن في كلام الناظم، ثم ظهر للأزهري أن يخصص الحسن بالجمال، ويطلق الجوهر على الكمال، مع أنه لا يطلق حال كونه مطلقا إلا على ذات الشيء، فأورد على نفي القسمة جمال يوسف -عليه السلام-، وأجاب عنه بأن كمال الحسن هو الخاص برسول الله وهو المتقدم القسمة.

وأما غير الكامل كالشطر مثلا، فقد يكون في غيره، وهو الذي اتصف به يوسف -عليه السلام-، وهو كجواب ابن الضير[1] المتقدم بأن شطر الحسن الثابت ليوسف -عليه السلام- مستثنى منه جمال رسول الله، وقد تقدم أنه لا دليل على هذا التقييد لا من رسول الله ولا من كتاب الله ولا من إجماع الأمة، كما أن رسول الله لو قصد بخبره عن يوسف -عليه السلام- أنه اتصف بشطر الحسن تقييده بغير جماله لصرح به، وإلا فمن شق عن قلبه حتى علم قصده ذلك!، كما أنه لا تظهر مزية في الحسن ليوسف على غيره؛ إذ كثير من أهل الجمال قد أتوا شطر الحسن بمعنى الجزء من كامله، كما أنه يتعارض هذا المعنى مع الأحاديث التي أخبرت أنه أعطي ثلث الحسن وثلثيه ونصفه على سائر الناس.

ثامنا: قوله: وإنما لم يفتتن به صلى الله عليه وسلم الخ.

(بحث) يقال عليه: لو ستر جماله عليه السلام بجماله، ولم يتمكن الناس من رؤيته لذلك، لما أبدأ وأعاد الصحابة الكرام رواة شمائله الظاهرة والباطنة في ذكر جماله وصفاته، حتى عدوا منها ما هو معروف وكثير في نفسه حتى تطلق الإحاطة به، كما أن قوله: ستر بجلاله يقتضي أنه لا جلال ليوسف يستر به جماله حتى لا يفتتن به، مع أن المهابة لا تفارق أنبياء الله -عليهم السلام-.

ثم قال الناظم:

دع ما أدعتـه النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

[1] لم أقف له على ترجمة.

بأن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم[1]

قال الباجوري: "اترك ما قالته النصارى في نبيهم عيسى بن مريم -عليه السلام-: أنه ابن الله، كما أخبر الله -سبحانه وتعالى- عنهم، فإن نبينا -صلى الله عليه وسلم- نهى عن مثل ذلك، حيث قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى)[2]، أي: لا تصفوني بذلك، واحكم بعد ذلك له صلى الله عليه وسلم بما شئت من أوصاف الكمال اللائقة بجلال قدره، وخاصم في إثبات فضائله/[٤٢] من شئت الخصماء، وأعز ذاته الشريفة ما شئت من شرف، وإلى علو قدره العظيم ما أردت من التعظيم والرفعة، فقد وجدت للقول بابا واسعا؛ فإن فضل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليست له غاية يوقف عندها فيبينها ناطق فمه، فأوصافه لا تحصى، وفضائله لا تستقصى"[3].

قوله: دع ما ادعته النصارى الخ.

هذا البيت ولعله احتراز عما يوهمه قوله: منزه عن شريك في محاسنه من شموله لصفات الإله، فدفع ذلك بهذا البيت، وفيه إشارة إلى قوله -صلى الله عليه وسلم-: (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح، ولكن قولوا عبد الله ورسوله)[4]، والمراد بما ادعته النصارى في نبيّهم قولهم: بأنه إله؛ لأنهم يقولون: بأن الله إله، وعيسى إله، ومريم إله، وبعض فرقهم يقول: بأنه ابن الله كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة: الآية ٣٠]، إلى أن قال: واحكم بما شئت

---

(١) انظر: شرح البردة ص١٠٦-١٠٧.

(٢) بهذا اللفظ رواه أحمد في (المسند) عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- (٢٩٥/١)، ورواه البخاري في الصحيح (١٦٧/٤)، باب: قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ﴾، بلفظ (لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ).

(٣) حاشية الباجوري على شرح الأزهري ص٢٨-٢٩.

(٤) رواه بنحوه البخاري في الصحيح (١٦٧/٤) باب: قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ﴾.

مدحا فيه، أي: احكم بما شئت مما يدل على شرفه وعلو شأنه وعظم جاهه من جهة المدح فيه صلى الله عليه وسلم ذاتا وصفة، أخذا من قوله: وانسب الخ.

وقوله: واحتكم، أي: راع الحكمة في مدحك له صلى الله عليه وسلم بأن تأتي بالمدح اللائق بجنابه الشريف وقدره المنيف دون غير اللائق بذلك الجناب، فليس قوله: واحتكم حشوا كما قيل؛ لأنه أفاد أنه وإن جاز لك مدحه صلى الله عليه وسلم بما شئت غير ما ادعته النصارى في نبيهم، يتعين عليك مراعاة الحكمة في مدحه عليه الصلاة والسلام، ومن هذا يعلم أن ما يقع من التغزل بأبيات مشتملة على صفات الأحداث لا يجوز حمله على النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن ذلك إساءة أدب؛ لكونه لا يليق بالجناب الشريف، ولذلك لم يقع مثل هذا من أحد من مداحه صلى الله عليه وسلم كحسّان، والمصنف، وابن رواحة[1].

إلى أن قال: فإن فضل رسول الله الخ.

هذا البيت تعليل لما قبله، فكأنه قال: لأن فضل رسول الله الخ.

وقوله: ليس له حد، أي: ليس له غاية ومنتهى؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم يزل يرتقي في الكمال كل لحظة. قال سيدنا علي: وما يشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾[2] [سورة الضحى:الآية٤]؛ لأن معناه الإشاري: وللحظة المتأخرة خير لك من اللحظة المتقدمة؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يترقى في المتأخرة إلى كمالات زائدة عما ترقى إليه في المتقدمة، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (إنّه ليغان قلبي/[٤٣] فأستغفرُ الله)[3]، أي: إنه لتتراكم الأنوار على قلبي فأستغفرُ الله مما قبل ذلك، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لأبي الحسن الشاذلي[4]

---

(١) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٢٨.

(٢) لم أقف لهذا الأثر على أصل في كتب السنة، وقد أنكر النتيفي في ما يأتي ص١٥٠.

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠٢٠٣/٩/١٦٧).

(٤) أبو الحسن، علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف ابن هرمز الشاذلي المغربي، رأس الطائفة الشاذلية، من المتصوفة، ولد في بلاد "غمارة" بريف المغرب =

لما رآه في النوم وسأله عن معنى هذا الحديث: إنه غين أنوار لا غين أغيار يا مبارك[1]، إلى آخر ما قال[2] مما لا يحتاج إلى البحث فيه.

ونحن نقول على كلام الناظم وشارحه: أولا: ما قاله الأزهري من قوله: في دع ما ادعته النصارى الخ.

هذا البيت احتراس لما يوهمه قوله: منزه عن شريك في محاسنه من شموله لصفات الإله الخ.

يقال عليه: هذا الاحتراس صحيح، ولكن الناظم لم يستوفه، حيث قيده بما ادعته النصارى مع أنه غير مقيد بما ادعوه.

ثانيا: قوله في الحديث: (كما أطرت النصارى المسيح) الخ. المحفوظ لنا عن الترمذي (عيسى بن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله)[3]، إلا أن يكون وقف على رواية تدل لما قال.

ثالثا: قوله: لأنهم يقولون على أن الله إله، وعيسى إله، الخ.

يقال عليه: لم يستوعب ما قالته النصارى؛ إذ ترك قول فريق منهم أنه الله وحده حل لاهوت الله في ناسوته، كما أن الباجوري اقتصر على قولهم من الله.

رابعا: قوله: واحتكم، أي: راع الحكمة في مدحك له الخ.

يقال عليه: بعد أن اختلف مع الباجوري في تفسير احتكم، وكان الأولى تفسيره العائد إلى اعتبار الأوصاف اللائقة، كما قيدها به الباجوري في خلال كلامه إن على اعتبار هذا القيد المدار، فغير اللائق

=

سنة:٥٩١هـ، توفي بصحراء عيذاب سنة: ٦٥٦ هـ ينتسب إلى الأدارسة أصحاب المغرب، أخبره بذلك أحد شيوخه عن طريق " المكاشفة " قال الذهبي: نسب مجهول لا يصح ولا يثبت، كان أولى به تركه.
انظر: الأعلام للزركلي ٣٠٥/٤.

(١) لا شكّ أن هذا من كذب الصوفية على النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لجعلهم الأحلام التي هي من أضغاث الشيطان مصدر من مصادر التّلقِّي، فنعوذ بالله من طرق الضلالة.

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٢٩.

(٣) رواه الترمذي في الشمائل المحمدية، باب: ماجاء في تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٨٩/١).

منهي عنه كان من النصارى أو من غيرهم، لا على تقييد الناظم ومن تبعه النهي، فما يدعيه النصارى كما يدل عليه ظاهر الكلام.

خامسا: ليتنا وقفنا مع نهي رسول الله عن إطراء النصارى لنبيّهم حتى على ذلك التقييد، ولكننا لم نفعل، بل قلنا ما قالوا، ووقعنا فيما وقعوا فيه، حيث قال هؤلاء: إن نور النبي -صلى الله عليه وسلم- من نوره سبحانه، وقد تقدم من الأبحاث ما يدل على أنه من نور ذات الله، وليس قول النصارى: إنه ابن الله أنه ولده من أنثى كالإنسان، وإنما معنى قولهم: أنه بعض منه، وبعضه نور، فآل أمر الطائفتين إلى قول واحد، كما قالت طائفة أخرى من حلولية[1] هذه الأمة: إنه إله واحد، بمعنى حلول لاهوت الله في ناسوت عيسى، وهو قول لهم كما تقدم، كما قال اتحادية[2] هذه/[٤٤] الأمة قولا أشنع من قول النصارى: إن الله ثالث ثلاثة، حيث قالوا: إن كل فرد من أفراد الكائنات إله، فآل أمرهم إلى أن رسول الله ليس بثاني اثنين، ولا ثالث ثلاثة، بل رابع أربعة، وخامس خمسة، وهكذا حتى يقف عد الكائنات، وقد صرّح صاحب الفصوص[3] منهم بأن النصارى لم يكفروا إلا بحصرهم إله في ثلاثة، ولو عمموا ما

(١) قال أبو منصور البغدادي -رحمه الله-: "الحلولية فِي الْجُمْلَة عشر فرق، كلهَا كَانَت فِي دولة الاسلام، وغرض جَمِيعهَا الْقَصْد الى افساد القَوْل بتوحيد الصَّانِع، وتفضيل فرقها فِي الاكثر يرجع الى غلاة الروافض، وَذَلِكَ ان السبابية والبيانية والجناحية والخطابية والنميرية مِنْهُم باجمعها حلولية، وَظهر بعدهمْ المقنعية بِمَا وَرَاء نهر جيحون، وَظهر قوم بمرق، يُقَال لَهُم: رزامية، وَقوم يُقَال لَهُم: بركوكية، وَظهر بعدهمْ قوم من الحلولية يُقَال لَهُم: حلمانية، وَقوم يُقَال لَهُم: حلاجيه ينسبون الى الْحُسَيْن بن مَنْصُور الْمَعْرُوف بالحلاج، وَقوم يُقَال لَهُم: العذاقرة ينسبون الى ابْن أبى العذاقرى.
انظر: الفرق بين الفرق البغدادي، الفصل التاسع: أصناف الحلولية١/٢٤١.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "الِاتِّحَادِيَّةُ مِنْ الْجَهْمِيَّةِ الْحُلُولِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إنَّ وُجُودَهُ عَيْنُ الْمَوْجُودَاتِ، فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ، سَوَاءٌ عَلَيْنَا نَثْرُهُ وَنَظْمُهُ.
انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية؛ الوجه: السابع والسبعون ٦/٦٣٣.

(٣) وهو ابن عربي الضالّ المضل القائل بوحدة الوجود، وكتابه الفصوص من كتب الصوفية المعتمدة عندهم.

كفروا.

سادسا: يؤخذ من الدلائل التي من جملتها القياس على قول النصارى إن دعوى اليهود أن عزيرا ابن الله كدعوى النصارى، وهكذا دعوى البوذية والأمم الضالة من أهل الأرض في أنبيائهم ما لا يليق بهم، كما لا يليق بجانب رسول الله في النهي عن ذلك إذا اعتبرنا بالاتصاف في الكمالات اللياقة شرعا، فأي لياقة في وصفكم ومن اتبعتم وتبعكم رسول الله بأن الأشياء كلها خلقت من نوره، وأنه الممد لها بكل شيء تحتاج إليه عون الله تعالى، وإن كان بإذنه على زعمكم، وأنه القاسم أرزاقها الحسية والمعنوية الموصل لها ذلك، وأن علمه محيط بكل شيء، وأن الدنيا والآخرة من وجوده، وأنه صورة الأشياء، وأنه عينها وروحها، وأن الأنبياء -عليهم السلام- ملتمسون منه فضائلهم التي هي لا تزيد على النقطة والغرفة إلى آخر ما للغلاة هنا، ممن نرجو من الله أنه وفقنا للبحث معهم في هذا الميدان مع أن وصفه بالإحاطة بالعلم وعموم القدرة ليس أن الله وهو دعوى بعض النصارى في عيسى عليه السلام.

ثامنا: ما قاله الأزهري: من أنه يخرج بوصف اللائق من صفاته التغزل بالأحداث في مدحه عليه السلام، وأنه منهي عنه، ولذلك لم يمدح بهذه الكيفية من قبل الصحابة، كحسان وابن رواحة، صحيح لا غبار عليه، وقد أخال أني رأيت في كتب الشيخ زروق[١] أن أبا سعيد الحزازرة[٢] رُأْيَ في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك، فقال ما معناه: لولا أنك كنت حارصا على ذكري لعذبتك؛ لأنك كنت تشبهني بليلى وسعدى.

تاسعا: ما قاله الناظم وتبعه شارحاه الباجوري والأزهري في قوله: ليس له حد أو غاية الخ.

(بحث) يقال عليه: كل موجود له حد يعلم به وإلا لم يكن موجودا، أما

---

(١) أبو العباس، أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، زروق: فقيه محدث صوفي من أهل فاس (بالمغرب)، ولد سنة:٨٤٦هـ، توفي سنة:٨٩٩هـ.
انظر: الأعلام للزركلي ٩١/١.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

علم الله حد الموجودات فبالتفصيل الدقيق اللازم منه الإجمال وغير الدقيق في وجوده سبحانه الشامل لصفاته وأفعاله الموجودين في موجود الكائنات/[٤٥]، وأما علم غيره في ذلك فبالنسبة إلى الله فثابت له بالإجمال فقط، وعلم غيره سبحانه فيعلم له بعضه بالإجمال والتفصيل، وبعضه بالإجمال فقط، وبعض لا يعلم له بهما، كما أن التفصيل الدقيق الخفي لا يعلم له، وإنما يعلم لله -تعالى-، بل الله –سبحانه- في ذاته وصفاته وأفعاله حد يعلمه، ولو لم يكن لها حد، لكانت مجهولة له، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وقد حد لنفسه سبحانه حدا من جهة العالم حيث أخبر بأنه فوق عرشه، ولو لم يحد من هذه الجهة لكان حالا في العالم أو في نفسه، فيجيء مذهبا الحلولية والاتحادية، وهما كفر في الشرائع، وعليه فكيف لا يكون حد لذات رسول الله ولا لفضائله وكمالاته.

عاشرا: قوله: فيعرب عنه ناطق بفم.

يقال عليه: قد أعرب عنه الناطق بلا فم سبحانه، حيث ذكر كمالاته التي شارك فيها غيره، والتي اختص بها في كتابه بما لا مزيد على بيانه، وقلنا: الناطق في حقه سبحانه؛ لأنه متكلم بالحروف والأصوات التي تليق بكلامه، وأعرب به الناطق بفمه عليه السلام؛ إذ قال: (إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله)[1]، وكمالاته كلها راجعة إلى هذين الأصلين وهما: العبودية والرسالة، وأعرب عنه أصحابه والتابعون لهم بإحسان؛ إذ ذكروا كمالاته الحسية والمعنوية، وأتوا على جميع ما يمكن أن يكون منها، وأعربتم عنه أنتم بأفواهكم، حيث ذكرتم لها حدا تزاحم به كمالات الله –سبحانه-، وعلى ما ذكرناه يعلم أنه لا موجود، لا يحد ولا يحصى ولا يستحصى خلافا لكم.

أقول: وقد أتى الأزهري هنا سواء قلنا: إنه استشعر ما قلناه، أو لم يستشعره بكلام عن المتصوفة بيّن به ما لا حد له من كمالاته، وهو قوله: لأنه صلى الله عليه وسلم لم يزل يرتقي في الكمال كل لحظة.

(بحث) ونحن نجيبه عليه بعد أن نبحث معه في هذا الارتقاء بقولنا: إن رسول الله قبل أن ينبأه الله لا يشمله هذا الارتقاء في الكمالات المعنوية من العلم والنبوة وسائر ما لا يتعلق بظاهر جسده وباطنه، وإنما يشمله الارتقاء

---

(١) سبق تخريجه ص١٤٣.

الجسماني بأعضائه وصفاته الظاهرة والباطنة كغيره من الناس وبعد النبوة، يقال: يشمله باعتبار تجدد علمه وعمله، ولكن اعتبار اللحظات فيه قد لا يصح؛ لأنه قد يكون بين التجدد المفيد للارتقاء ساعة أو ساعات أو أياما أو شهرا لا لحظة أو لحظات، فضلا عن أن يتتابع ذلك الارتقاء في كل لحظة، وهذا الذي جاءتنا به الدلائل عن أسلافنا المقدسين عن حاله عليه السلام في ذلك، ثم بعد وفاته بأزمنة متطاولة ظهرت شراذم الباطنية الصوفية، فأحدثوا مذاهب وأقوالا وفروعا وأصولا أكثرها لا يجري على ما كان عليه السلف ولا محققو الخلف، فمن ذلك هذا الارتقاء في كل لحظة، وعليه فيقال: إن كان الارتقاء المذكور في الأعمال، فقد نص عليه السلام بأنها تنقطع بالموت بقوله: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث)[1] الحديث، وإذا انقطع العمل انقطع أجره إلا من الثلاثة المذكورة، فلا ينقطع أجرها وإن انقطع عملها، وعليه فلا يبقى بعد الموت إلا عمل يلتذ به، أو يعذب به، أو يبتلى به مثل المجنون وصاحب الفترة؛ بناء على صحة حديثهم، أما عمل الجزاء كعمل الدنيا، فلم يبق وهو الذي يحصل الارتقاء به كما تقدم، وإن كان الارتقاء بمعنى صعود الروح الطيبة في الملكوت الأعلى صعودا متواليا دون الجسد لإجماع من يعتد بإجماعه[2]، والسواد الأعظم على أن جسده عليه السلام في قبره، فإننا مع عدم تسليمنا توالي ذلك منها في كل لحظة.

نقول: إنها وإن سارت ما سارت، وطارت ما طارت لا تجاوز منازلها في الجنة، وهي الوسيلة والدرجة الرفيعة التي كان يسألها رسول الله ويسأل أن تسأل له من غيره، وإلا فمع تمادي المدة من لدن

---

(١) هذه الرواية أخرجها ابن أبي الدنيا في كتابه العيال (٦١٢/٢/٤٣٠)، وأصلها وأصلها في مسلم بلفظ (إذا مات الإنسان) (١٢٥٥/٣).

(٢) قال ابن القيم -رحمه الله-: "اخْتلف النَّاس فِي هَذَا:

فَقَالَت طَائِفَة: تَمُوت الرّوح وتذوق الْمَوْت؛ لِأَنَّهَا نفس، وكل نفس ذائقة الْمَوْت.

قَالَ آخَرُونَ: لَا تَمُوت الْأَرْوَاح فَإِنَّهَا خلقت للبقاء وَإِنَّمَا تَمُوت الْأَبدَان.

(الصَّوَاب): أَن يُقَال: موت النُّفُوس هُوَ مفارقتها لأجسادها وخروجها مِنْهَا، فَإِن أُرِيد بموتها هَذَا الْقدر فَهِيَ ذائقة الْمَوْت، وَإِن أُرِيد: أَنَّهَا تعدم وتضمحل وَتصير عدما مَحْضا فهى لَا تَمُوت بِهَذَا الِاعْتِبَار بل هِيَ بَاقِيَة بعد خلقهَا فِي نعيم أَو فِي عَذَاب. انظر: كتاب الروح لابن القيم الجوزية ٣٤/١.

توفي رسول الله وصعدت تلك الروح الطيبة إلى الأمد الفائق للأمد المنتهى قبله قد تجاوز الجنة، ثم هلم جرا، وذلك مخالف لما جاء في الشرع؛ ولأن أحدا من أهل هذا العالم لا يخرج عنه، وهذا قاض بأن هذه الارتقاءات محدودة؛ لأنها قد فرغ من وجودها، وكل موجود محدود وإن كانت الارتقاءات هي ما ينزل على أهل الجنة من النفحات ويحيط بهم من الرحمات، ويؤتون به من النعم المتشابهات وغير المتشابهات، فهذا كل ما حصل منه لهم فقد وجد، وكل موجود محدود، وإن نظرنا إلى مستقبل ذلك الذي لم يحصل قلنا: فيه وجهان؛ الأول: أن الفضل والكمال الذي يتصف به موصوفه بالفعل هو الذي يوصف به وينسب إليه ويثني به عليه، لا غير الحاصل له وإن كان قد يحصل له في المستقبل، فالأول محدود، والثاني غير موجود؛ لأنه ليس بحاصل والكلام في الأول.

الثاني: المعدوم الممكن حصوله في المستقبل مقدّر حده بتقدير وجود فرد منه ثم فرد، وهكذا، وباعتبار نوعه كذلك/[٤٧]، وأمّا باعتبار حصوله بلا نهاية، فإنه ممكن الحد من حيث أن لا نهاية مقيد بتجويز النهاية. تأمل ذلك تجد أن كل موجود بالفعل محدود به، وكل من يوجد محدود بالقوة، فآل الأمر إلى حد كل شيء فعلا وتقديرا، كما أن ذلك معلوم بالفعل أو القوة، كما يقال لهؤلاء: إذا سلم لكم ارتقاء رسول الله في الكمالات بعد موته -ولم نجد لذلك دليلا غير دليل أن الله يحفه بكمالات نعمه العلمية الحسية والمعنوية في جنته، وذلك لا مرية فيه-، فلم لم تثبتوا ذلك لغيره من الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين مع أن ذلك ثابت للكل؟، حتى لو فرضنا عدم ثبوته لهم لكان للقياس في ذلك مجال ولا أدري ما جوابكم، ولعله هكذا أردنا وهكذا نخص من شئنا بما شئنا، ثم نقول بعد هذا في قوله استدلالا للترقي المذكور في جميع اللحظات: قال سيدنا علي، وما يشير لهذا قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾[1] [سورة الضحى: الآية ٤]، الإشارة لابد أن يكون لها تلويح ورمز من اللفظ، وأين هو؟ وما هو في الآية إلا تحريف للكلم عن مواضعه؛ إذ الكتاب والسنة والإجماع التابع لهما لا يعرفون من الآخرة والأولى إلا

(١) سبق تخريجه في ص١٤٢.

أنهما الدنيا والآخرة، وما هذا التفسير الغريب إلا كتفسير من فسر ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [سورة الضحى:الآية١-٢] الآية، أو السورة بقوله:

أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلي إلى من قد هويت أطير[1]

كما وقفنا عليه له، وقوله في هذا التفسير: اللحظة الآخرة خير لك من الأولى.

(بحث) يقال عليه: من أين يأتي بالدليل على هذا؟ ولم لم يتفطن الصحابة ومفسرو القرآن بالتفسير اللائق به لهذا المعنى إلى أن تفطن لها الشيخ المذكور!.

وقد قدمنا ما يدل على أن هذه الكمالات المتوالية في اللحظات لا يمكن تواليها في جميع الأزمان؛ لما يتخللها مما لا يكون من الكمالات، وقوله عن الشيخ في استدلاله على ما قال بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله)، أي: إنه لتتراكم الأنوار على قلبي فأستغفر الله مما قبل ذلك.

(بحث) يقال عليه أولا: إن الغين لا يترتب على الأنوار ولا على أسبابها التي هي الأعمال الصالحة، وإنما/[٤٨] يترتب عليها العين وهي العلم.

ثانيا: استغفاره عليه السلام من تراكم الأنوار على قلبه مناف لكون قلبه مملوءا بالنور، وإن النور فضل الله عليه ورحمته، فبالجدير أن يفرح به لا أن يستغفر منه، وقد قال الله: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [سورة يونس: الآية ٥٨]، وكيف يستغفروا مما يسأله من الله ويلح في سؤاله ويطلب كثرته منه!، وقد جاء أنه عليه السلام كان يقول: (اللهم اجعل لي نورا في قلبي، ونورا في قبري، ونورا بين يدي، ونورا من خلفي، ونورا عن يميني، ونورا عن شمالي، ونورا من فوقي، ونورا من تحتي، ونورا في سمعي، ونورا في بصري، ونورا في شعري، ونورا في جلدي،

---

(١) من الطويل، وينسب البيت إلى المجنون، وهو في ديوانه: ص١٥٠، وللعباس بن أحنف، وهو في ديوانه أيضا: ص١٤٣، وذلك من خلط الرواة.

ونورا في لحمي، ونورا في دمي، ونورا في عظمي، اللّهم اجعل لي نورا، وأعطني نورا وأعظم لي نورا)[1].

ثالثا: إنما كان يستغفر مما كان ينزل به من السهو والغفلة وهموم الدنيا والآخرة وبعض الخطأ في الاجتهاد كما قال الله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة:الآية٤٣] الآية، ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الأنفال:الآية٦٧]، وقال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ [سورة عبس:الآية١-٢]، ومما يصيبه من الأحزان لفراق الأحباب، كقوله لإبراهيم ابنه -عليه السلام-: (وإنا من فراقك يا إبراهيم لمحزونون)[2]، وكخوفه عند خوفه وإيذائه الكفار له، وقتل أصحابه بين يديه كعمه حمزة، وتهديد الله لعباده بكسوف الشمس بين يديه حتى قام يصلي ويتضرع ويقول: (رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم)[3] الحديث، وكما أصابه من الغم في قضية الإفك حتى بلغ به أن استشار في فراق أهله، وخطب في أصحابه بقوله: (من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي)[4]، وكما يترتب من الغين على تناول المباحات، إلى غير ذلك مما لو تتبعناه لطال بنا ذكره، وهذا الاستغفار وإن لم يكن لمعصية من الأنبياء، فلائق بهم وبمراتبهم أن يستغفروا منه، ومن إثارة في قلوبهم وهو الغين المذكور،

---

(١) رواه الترمذي في سننه، باب: منه، (٣٥٨/٥)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٨٣/١٠)، قال العلامة الألباني في ضعيف الجامع الصغير (١٦٩/١): ضعيف.

(٢) رواه البخاري، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم وإنا بك لمحزونون.(٨٣/٢).

(٣) رواه أبوداود، باب: من قال: يركع ركعتين (٣١٠/١)، ورواه ابن خزيمة في صحيحه، باب: البكاء والدعاء في سجود (٦٧٩/١). قال العلامة الألباني في إرواء الغليل: صحيح (١٢٤/٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، باب: قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (١١٣/٩).

وما ذكره الأزهري من استدلال بكلام الشاذلي لكلام ابن وفاء[1]، فهو من باب المثل المعروف عند عوامنا: عظم خوك يا البخاري[2]؛ إذ لا دليل في كلام البعض للبعض، بل الدليل فوقهما، ومحتاجان إليه كلاهما، مع ما يقال: إن رؤيا الشاذلي هذه على صحتها لا تسلم إلا إذا لم تخالف ما هو أصح منها نقلا ويقظة.

وقد تقدم ما يخالفها من أن الأنوار لا غين لها، ولا يستغفر منها، وإنما الغين/[٤٩] للأغيار، وهو المستغفر منه، والأنبياء -عليهم السلام- لم يعصموا إلا من المعاصي والرذائل، لا من مثل ما ذكرناه في غين الأغيار.

نعم، بقيت لطيفة، وهي أن هؤلاء الشيوخ عادتهم أن يستغفروا من الأنوار وتراكمها، كانت أسبابا ومسببات، ومن ذلك أن الشيخ الشاذلي لما أراد أن يتصوف على يد شيخه ابن مشيش[3] -رحم الله الجميع-، أمره أن يغتسل، فاغتسل نحو المرتين، فلم يقبل منه حتى تفطن أن ذلك الاغتسال هو الاستغفار والتوبة من علمه وعمله، ففعل الشرط المذكور، فقبل منه الشيخ المذكور، وأي شيء علمه وعمله إلا أعمال الإسلام وأنواره، تاب منها ليلج ما فوقها بزعمهم، وهو الغرف في وحدة الوجود التي أخذها عن شيخه صاحب الفصوص وغيره منهم، وكل تام العقل فضلا عن العلم يرى ما في هذه الجناية على الشريعة من التلميذ والشيخ، واستبدالها بما هو مؤد إلى ما علمته فيها المرة بعد المرة.

---

(١) أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن وفا، القرشي الأنصاري الشاذلي المالكي: متصوف، إسكندري الأصل. مولده:٧٥٩هـ، ووفاته:٨٠٧هـ بالقاهرة.
انظر: الأعلام للزركلي٥/٧.

(٢) هو مثل في بلاد المغرب، ولم أقف له على مصدر.

(٣) عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر (منصور) بن علي (أو إبراهيم) الادريس الحسني، ولد في جبل العلم، بثغر تطوان، وقتل فيه:٦٢٢هـ.
انظر: الأعلام للزركلي٤/٩.

قال المناوي[١] -رحمه الله- في شرح الشمائل[٢] على قوله -صلى الله عليه وسلم-: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، إنما أنا عبد)، وفي رواية (عبد الله، فقولوا: عبد الله ورسوله) بعد كلام ما نصه: فالمعنى هنا لا يتجاوز الحد في مدح بغير الواقع، فيجركم ذلك للكفر كما جرّ النصارى إليه لما تجاوزوا الحد في مدح عيسى بغير الواقع واتخذوه إلها، وحرفوا قوله في الإنجيل: عيسى نبي وأنا ولدته، زعموا أن الأول فيصير نبي بتقديم الموحدة التحتية، وخففوا لام الثاني فيصير ولدته، وقد ادعى البعض نحو ذلك في نبينا، حيث قالوا: ألا نسجد لك، فنهاهم بالتشبيه في قوله: (كما أطرت النصارى عيسى بن مريم)، في زعم الألوهية والابنية، ويصح أن يكون ليس ذلك للنسبة بما ليس فيه فيكون (إنما أنا عبد الله)، أي: ملكه يتصرف فيه بما يشاء، وكيف شاء، فلا خروج له عن دائرة العبودية بوجه كسائر العباد، فالإضافة للعهد الذهني، والقصر قصر قلب أو إضافي، فلا ينافي أن له أوصافا غير العبودية، (فقولوا: عبد الله ورسوله)، أي: لا تقولوا في حقي شيئا ينافي العبودية/[٥٠] والرسالة، فلا ينافي القول: بأنه سيد ولد آدم.

وقد روى أحمد عن أنس أن رجلا جاءه فقال: يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال: (يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله ورسوله)[٣].

وأخرج عن ابن الشخير: أنه جاءه رجل فقال: أنت سيد قريش، فقال: (السيد الله)، فقال: أنت أعظمها فيها طولا، وأعلاها قولا، قال: (يا

---

(١) زين العابدين بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي ثم المناوي القاهري: متصوّف، توفي سنة ١٠٢٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي٦٥/٣.

(٢) انظر: شرح المناوي للشمائل بهامش كتاب جمع الوسائل في شرح الشمائل لعلي ملا القاري، باب ما جاء في تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٢٩/٢.

(٣) رواه أحمد في مسنده؛ مسند أنس بن مالك -رضي الله عنه- (١٦٦/٢١)، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/١١٣/٣).
قال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: وإسناده صحيح على شرط مسلم (٨٨/٣).

أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان)[1].

وأخرجه عن أبي هريرة: استب رجلان؛ رجل من المسلمين، ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمدًا على العالمين، وقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فلطم المسلم اليهودي، فأتى اليهودي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأخبره، فدعاه فسأله، فاعترف، فقال: (لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فأجد موسى ممسكا بجانب العرش، ما أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أم كان ممن استثناه الله تعالى)[2].

وهذه الأحاديث الثلاثة في الصحيحين أيضا، وهذا من مزيد تواضعه، وكان أعظم الخلق تواضعا، ما ذاك إلا كان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا وأدام تجلي نور الشهود في قلبه[3]؛ لأنه حينئذ يعذب النفس ويصفيها عن كدر العجب والكبر، فيصفو ويظهر للحق، وكان الحظ الأوفر من ذلك له.

كيف لا، وقد خيره الله تعالى بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار الثاني، ومن ثم لم يقل لشيء فعله خادمه أف قط، ولا ضرب

---

(١) رواه الإمام أحمد (مسند عبدالله ابن الشخير)، ورواه الإمام البخاري في الأدب المفرد، باب: الرجل راع في أهله (١/١١١).
قال العلامة الألباني: صحيح، انظر: إصلاح المساجد من البدع والعوائد ص١٣٩.

(٢) رواه البخاري، باب: النفخ في الصور (٨/١٠٨)، ورواه مسلم، باب: من فضائل موسى -صلى الله عليه وسلم- (٤/١٨٨٤)، ورواه أحمد واللفظ له بمسنده (١٣/٢٩).

(٣) المقصود بمعنى تجلى (نور الشهود) عند الصوفية: قال ابن عربي: "من عرف نفسه عرف ربه، فيعلم أنه الحق. فيخرج العارف المؤمن الحق بولايته، التي أعطاه الله، من ظلمة الغيب، إلى نور الشهود. فيشهد ما كان غيباً له، فيعطيه كونه مشهوداً"، انظر: الفتوحات لابن عربي ١٤٧/٤.
وهذا الكلام كفر بالله؛ لأن فيه دعوى ادعاء علم الغيب الذي هو خاص بالله عزوجل. ولعل المناوي لا يقصد ذلك الذي قصده ابن عربي؛ لأن المفهوم من كلامه على خلاف ما يقصده ابن عربي من معنى (نور الشهود)، وإن كان المناوي متصوفاً كما ذكر في ترجمته آنفاً والله أعلم.

عبداً ولا أمة، وهذا لا يسعه الطوق البشري إلا بتأييد إلهيّ، وفي مسلم: (ما رأيت أرحم بالعباد منه وكان يركب الحمار ويردف خلفه)[1] انتهى.

ونحن نقول عليه: قد أجاد وأفاد -رحمه الله-، والأحاديث التي ذكرها قدمناها قبل، وقدمنا بعض التعليقات عليها التي من جملتها ما نقوله الآن إن لم نذكره، أو بعضه فيما تقدم: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهانا عن أن نفضل بين الأنبياء، وعليه، ففي أي وقت أو حال نمتثل نهيه ونحن قد اتخذنا تفضيل بعضهم على بعض، بل تنقيصهم، ورفع بعضهم إلى الألوهية وصفاتها كما تقدم ويأتي، ولا ينفعنا أن رسول الله ذكر ذلك تواضعا؛ لأن نهيه يجب امتثاله، كان/[٥١] لتواضعه أو غيره، وسيادة رسول الله وفضله على غيره، إنما ذكرهما لحاجة البيان، ونحن لم نقتصر على ذلك، بل جعلنا ذلك التنقيص والتفضيل ذريعة لإفساد عقائدنا وعقائد الجمهور، واستبدلنا فرائض الله بالاشتغال به في غالب أوقاتنا وأحوالنا، وجعله أكثر من يشتغل به تجارة ومعاشا يتعيش به، إلى غير ذلك من المفالس التي أدى إليها ذلك، والله المستعان!.

وها هنا انتهى البحث مع الناظم وشارحيه في قوله: دع ما ادعته النصارى إلى قوله: فيعرب عنه ناطق بفم.

ثم قال بعده:

لو ناسبت قدره آياته عظما　　　أحيا اسمه حين يدعي دارس الرمم[2]

قال الباجوري: "قوله: لو ناسبت الخ. كأن المصنف ادعى أن آياته لم تناسب قدره في العظم، وذكر هذا البيت استدلالا على ذلك، فإنه أشار إلى قياس استثنائي، نظمه هكذا لو ناسبت آياته قدره في العظم لكان من جملة آياته أن يحيى اسمه دارس الرمم حين يدعى به، لكن لم يكن من آياته أن يحيى اسمه دارس الرمم حين يدعى به، فلم تناسب آياته قدره في العظم وهو المطلوب؛ لأن الواقع أن قدره صلى الله عليه وسلم أعظم

---

(١) رواه مسلم، باب: رحمته الصبيان وتواضعه وفضل ذلك (١٨٠٨/٤)، بلفظ: (أرحم بالعيال). قال النووي: وقوله: (أرحم بالعيال) هذا هو المشهور الموجود في النسخ والروايات. قال القاضي: وفي بعض الروايات (العباد). انظر: المنهاج شرحصحيح مسلم (٧٥/١٥).

(٢) انظر: شرح البردة ص١٠٧.

من آياته حتى من القرآن المتلقي، بخلاف القرآن غير المتلقي، وهو المعنى المقيم بذاته تعالى، فإنه أعظم منه؛ لأن القديم أفضل من الحادث، وما شاع على الألسنة من أن كل حرف من القرآن أفضل من محمد وآل محمد، فكلام باطل ولا يصح حمله على القرآن القديم؛ لأنه ليس بحرف ولا صوت، خلافا لمن زعم ذلك[1]، وقد ذكر المصنف الشرطية، وحذف الاستثنائية، والنتيجة ووجه الملازمة في الشرطية أن الإحياء المذكور أعظم آية، وبه تكون الآيات مناسبة لقدره صلى الله عليه وسلم، أي: يكون مجموعها بواسطة كون الإحياء المذكور منه مناسبا لقدره الشريف، لا كل فرد منها؛ لأنه يلزم من جعل الإحياء المذكور منها أن يكون كل فرد منها مناسبا لقدره صلى الله عليه وسلم، لا يقال: كيف لم يجعل الإحياء من آياته صلى الله عليه وسلم مع جعله من آيات عيسى -عليه السلام-؟؛ لأنا نقول الكلام في/[٥٢] إحياء اسمه دارس الرمم حين يدعى به، وهذا كما لم يجعل من آياته صلى الله عليه وسلم لم يجعل من آيات عيسى -عليه السلام-، وإنما الذي جعل من آيات عيسى إحياؤه الموتى بإذن الله"[2].

إلى أن قال: قال: "كأن يقال: يا الله بمحمد أحيي هذا الميت"[3]، إلى أن قال: "وخاصية هذه الأبيات التي أولها محمد سيد الكونين إلى آخر

(١) قال السجزي -رحمه الله-: "فقول خصومنا: إن أحدًا لم يقل: إن القرآن كلام الله حرف وصوت؛ كذبٌ وزور، بل السلف كلهم كانوا قائلين بذلك، وإذا أوردنا فيه المسند وقول الصحابة من غير مخالفة وقعت بينهم في ذلك صار كالإجماع، ولم أجد أحدًا يعتد به ولا يعرف ببدعة من نفر من ذكر الصوت إلا البويقي إن صحّ عنه ذلك، فإن عند أهل مصر رسالة يزعمون أنها عنه، وفيها: لا أقول: إن كلام الله حرف وصوت، ولا أقول: إنه ليس بحرف ولا صوت، وهذا -إن صح عنه- فليس فيه أكثر من إعلامنا أنه لم يتبين المسألة، ولم يقف على الصواب فيها.
وأما غيره ممن نفى الحرف والصوت فمبتدع ظاهر البدعة، أو مقروف بها مهجور على ما جرى منه، والله الموفق للصواب".
انظر: رسالة السجزي في الرد على أهل زبيد ٢٥٨/١.

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٢٩.

(٣) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٣٠.

هذا البيت، شدة قلب الغازي في سبيل الله، فإنه يكتبها ويمحوها بالماء الموجود في شهر برموده ويشربها، فإنه بعد ذلك لا يخاف من الحرب ولا يزول، وكذلك من كتبها بماء ورد وزعفران وشربها فإن الله يثبته عند سؤال منكر ونكير"[1].

قال الأزهري في قوله: لو ناسبت الخ: "معنى البيت: لو كانت علاماته الدالة على رفعته مماثلة لعظيم قدره كان منها إحياء الموتى إذا دعا الله أحد باسمه أن يحيي الموتى بأن يقال: يا الله بمحمد -صلى الله عليه وسلم- أحيي هذا الميت فيحيا، ولم يقع ذلك؛ إذ لو وقع لنقل إلينا، ولم ينقل، فلم يكن إحياء الموتى بالتوسل باسمه من آياته، فليست آياته مماثلة لقدره في تعداد التعظيم، بل قدره أكثر من آياته"[2]. انتهى.

(بحث) ونحن نقول عليه: أولا: قول الباجوري: بأن المصنف ادعى أن آياته لم تناسب الخ.

يقال عليه: الأولى إسقاط كأن الشبهية؛ لأن ذلك عند الناظم واقع لا كأنه واقع.

وثانيا: قوله: أشار إلى قياس استثنائي نظمه هكذا.

(بحث) يقال عليه: إنتاج هذا الاستثنائي صحيح لو سلم مقدمه وتاليه، وهما لم يسلما؛ إذ قد يقال في المقدم: أن آياته تناسب قدره، وأي دليل يدل على أنها لا تناسبه؟ كما أننا لو سلمنا المقدم، لا نسلم أن التالي مناسب لقدره لزوما، بل قد وقد، فيحتاج ترجيح أحد الوجهين بدليل، وأين هو؟ سوى الخيال والتقول، كما يقال في آياته لا يلزم أن تكون غير مناسبة، بل قد وقد، فيرجع إلى كاشف الترجيح.

ثالثا: هذه الدعوى تؤذن بأن الله –سبحانه- لم يعط لرسول الله من الآيات ما يستحقه ويناسب قدره، وهذا تهجم على الحكمة الإلهية والأسرار الربانية؛ إذ لا يفعل الله إلا ما هو في حيز الاستحقاق والمناسبة.

رابعا: قوله: إن قدره أعظم من آياته.

(بحث) يقال عليه: لا يلزم من ذلك لو سلم المناسبة بين الآية والقدر،

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٣٠.

(٢) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٢٩.

ألا ترى إلى أن/[٥٣] قدر الله أعظم من كل قدر، ومع ذلك لا يلزم أن يحيي بذكر اسمه كل شيء ذكر عليه إلا إذا أراد، كما أن القرآن أعظم قدرا ومع ذلك لم يحي به الأموات، ولا قطعت به الأرض، ولا سيرت به الجبال إلا أن يريد الله ذلك، وما كان عيسى -عليه السلام- يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير إلا بإذن الله، لا بمجرد اسم الله أو اسمه.

خامسا: قوله: حتى من القرآن المتلقي الخ.

(تعقيب) يقال عليه: تفيد عكس هذا، وذلك أنه سلم أن الكلام النفسي(١) لله أعظم قدر من رسول الله، ولم يسلم ذلك للمتلو مع أنه كلام

---

(١) قال السفاريني -رحمه الله-:"وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ مُوَافِقَةُ الْأَشْعَرِيَّةَ، وَالْأَشْعَرِيَّةَ مُوَافِقَةُ الْمُعْتَزِلَةَ فِي أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي بَيْنَ دَفَّتَيِ الْمُصْحَفِ مَخْلُوقٌ مُحْدَثٌ وَإِنَّمَا الْخِلَافُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ لَمْ تُثْبِتْ لِلَّهِ كَلَامًا سِوَى هَذَا، وَالْأَشْعَرِيَّةَ أَثْبَتَتِ الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ الْقَائِمَ بِذَاتِهِ تَعَالَى، وَأَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْمَخْلُوقَ كَلَامُ اللَّهِ، وَالْأَشْعَرِيَّةَ لَا يَقُولُونَ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، نَعَمْ يُسَمُّونَهُ كَلَامَ اللَّهِ مَجَازًا هَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ مُتَقَدِّمِيهِمْ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ مُتَأَخِّرِيهِمْ: لَفْظُ كَلَامٍ يُقَالُ عَلَى هَذَا الْمُنْزَلِ الَّذِي نَقْرَؤُهُ وَنَكْتُبُهُ فِي مَصَاحِفِنَا، وَعَلَى الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ بِالِاشْتِرَاكِ اللَّفْظِيِّ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: لَكِنَّ هَذَا يَنْقُضُ أَصْلَهُمْ فِي إِبْطَالِ قِيَامِ الْكَلَامِ بِغَيْرِ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ، وَهُمْ مَعَ هَذَا لَا يَقُولُونَ إِنَّ الْمَخْلُوقَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً كَمَا يَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ مَعَ قَوْلِهِمْ أَنَّهُ كَلَامُهُ حَقِيقَةً، بَلْ يَجْعَلُونَ الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ كَلَامًا لِغَيْرِ اللَّهِ، وَهُوَ كَلَامُهُ حَقِيقَةً.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: وَهَذَا شَرٌّ مِنْ قَوْلِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَهَذَا حَقِيقَةُ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ. وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ فَقَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ أَقْرَبُ. قَالَ: وَقَوْلُ الْآخَرِينَ هُوَ قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ الْمَحْضَةِ، لَكِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ فِي الْمَعْنَى مُوَافِقُونَ لِهَؤُلَاءِ، وَإِنَّمَا يُنَازِعُونَهُمْ فِي اللَّفْظِ الثَّانِي، إِذَا هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لِلَّهِ كَلَامٌ هُوَ مَعْنًى قَدِيمٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ، وَالْخَلْقِيَّةُ يَقُولُونَ لَا يَقُومُ بِذَاتِهِ كَلَامٌ، وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ فَالْكُلَّابِيَّةُ خَيْرٌ مِنَ الْخَلْقِيَّةِ فِي الظَّاهِرِ، لَكِنَّ جُمْهُورَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ يَقُولُونَ: إِنَّ أَصْحَابَ هَذَا الْقَوْلِ عِنْدَ التَّحْقِيقِ لَمْ يُثْبِتُوا كَلَامًا لَهُ حَقِيقَةً غَيْرَ الْمَخْلُوقِ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ عَنِ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ إِنَّهُ مَعْنًى وَاحِدٌ هُوَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَالْخَبَرُ إِنْ عُبِّرَ عَنْهُ بِالْعَرَبِيَّةِ كَانَ قُرْآنًا، وَإِنْ عُبِّرَ عَنْهُ بِالْعِبْرِيَّةِ كَانَ تَوْرَاةً، وَإِنْ عُبِّرَ عَنْهُ بِالسُّرْيَانِيَّةِ كَانَ إِنْجِيلًا.

=

الله؛ لأن الله –سبحانه- على القول الحق موصوف بالكلام النفسي وبالكلام اللفظي كما دلت على ذلك الدلائل التي يطول بنا جلبها هنا[1]، وإلا كان عاجزا عن ذلك ونحن قادرون عليه، تعالى الله عن ذلك علوا

=

وَجُمْهُورُ الْعُقَلَاءِ يَقُولُونَ: إِنَّ فَسَادَ هَذَا مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ بَعْدَ التَّصَوُّرِ التَّامِّ، فَإِنَّا إِذَا عَرَّبْنَا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهُمَا مَعْنَى الْقُرْآنِ بَلْ مَعَانِي هَذَا لَيْسَتْ مَعَانِيَ هَذَا، وَكَذَلِكَ " ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: الآية:١] "لَيْسَ هُوَ مَعْنَى" ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾ [المسد: الآية:١]، "وَلَا مَعْنَى آيَةِ الْكُرْسِيِّ آيَةُ الدَّيْنِ، وَقَالُوا: إِذَا جَوَّزْتُمْ أَنْ تَكُونَ الْحَقَائِقُ الْمُتَنَوِّعَةُ شَيْئًا وَاحِدًا فَجَوِّزُوا أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْكَلَامُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ صِفَةً وَاحِدَةً، فَاعْتَرَفَ أَئِمَّةُ هَذَا الْقَوْلِ بِأَنَّ هَذَا الْإِلْزَامَ لَيْسَ لَهُمْ عَنْهُ جَوَابٌ عَقْلِيٌّ، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: النَّاسُ فِي الصِّفَاتِ إِمَّا مُثْبِتٌ لَهَا، وَإِمَّا نَافٍ لَهَا، وَأَمَّا إِثْبَاتُهَا وَاتِّحَادُهَا فَخِلَافُ الْإِجْمَاعِ، وَمِمَّنِ اعْتَرَفَ بِأَنْ لَيْسَ لَهُ عَنْهُ جَوَابٌ أَبُو حَسَنٍ الْآمِدِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ يُبَيِّنُ فَسَادَ هَذَا الْقَوْلِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل: الآية: ١٠٢]، يَقْتَضِي نُزُولَ الْقُرْآنِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ".

انظر: لوامع الأنوار البهية، السفاريني ١/١٦٥-١٦٦.

(١) بل القول الحق أن الله سبحانه لا يوصف بالكلام النفسي فما أدري كيف جمع الشيخ -رحمه الله- بين الكلام النفسي والكلام اللفظي، بل هو سبحانه متكلمٌ بصوت وحرف. قال شيخ ابن تيمية -رحمه الله-: "إجماع سلف الأمة، وهو أن القرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه، ليس شيءٌ من ذلك كلاماً لغيره، ولكن أنزله على رسله، وليس القرآن اسمًا لمجرد المعنى، ولا لمجرد الحرف، بل لمجموعهما، وكذلك سائر الكلام ليس هو الحروف فقط، ولا المعاني فقط، كما أن الإنسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح ولا مجرد الجسد، بل مجموعهما، وأن الله تعالى متكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح.....، فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق، ولا معانيه تشبه معانيه، ولا حروفه تشبه حروفه، ولا صوت الرب يشبه صوت العبد، فمن شبّه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وآياته".

انظر: الفتاوي الكبرى لابن تيمية ٦/٤٦٧.

كبيرا، وما يدعي من ينفي ذلك من اتصاف الله بالحوادث سيأتي الجواب عنه من قول الناظم: آية حق من الرحمان محدثة الخ. والنفسي لا يسمع، وكلام الله لنفسه ولخلقه فيما لا يزال وفي الجنة وفي المستقبل إذا بما يكون.

وعليه، فالقرآن المتلو كلام الله وصفاته، وصفات الله كذاته لا يعظم عليها قدرا أحد، ولكن المتلو عند هؤلاء مخلوق كالمعتزلة[1][2]، وهبه كذلك فإن حروفه وألفاظه ترجمة عندهم عن كلام الله، وقد سماه الله كلامه، وكذلك رسول الله، وذكر له من الفضائل ما لا يتصف بها مخلوق، وأعجز بها الخلائق، ولو ذكرنا بعض ذلك لطال الأمر، ورسول الله مخلوق معظم القدر، والقرآن على قولكم هذا كذلك، ولكن أين ما هو ترجمة عن صفات الله العظيم تلك الترجمة؟ وأين من اهتدى؟ وتشرف به مبلغه ولم يتشرف هو به، وعليه فالإنصاف حتى على قولكم هذا إن قدر القرآن القليل منه والكثير أعظم من قدر أفضل الخلائق غيره، وعلى تقدير عدم صحة ما شاع من أن حرفا من القرآن أفضل من محمد وآله، فالنظر على غيره من الدلائل وأعظمية قدر ما لله من ذاته وصفاته على غيره يصحح ذلك.

سادسا: قوله: وخاصية هذه الأبيات.

(بحث) يقال عليه: أما تثبيت الغازي في غزوة بها على الكيفية

---

(١) المعتزلة: ويرجع سبب التسمية إلى اعتزال أول زعيم لهم وهو واصل ابن عطاء الغزالي إلى حلقة الحسن البصري حينما ألقي رجل سؤالا عن مرتكبي الذنوب فبادر واصل إلى الجواب قبل أن يجيب الحسن، ومن هنا تطور الأمر إلى اعتزال واصل ومن معه حلقة الحسن البصري فسموا معتزلة.
انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها: ١١٦٦/٣.

(٢) قال اللالكائي -رحمه الله-: "القرآن كلام الله والناس يقرؤونه بأصواتهم ويكتبونه بأقلامهم، وما بين اللوحين هو كلام الله غير مخلوق، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في القرآن، وقد فتن في قضية خلق القرآن أقوام من المعتزلة وجاء بعدهم الكرامية وطوائف من الفلاسفة يخوضون في هذه المسألة بعقولهم العقيمة وأفهامهم السقيمة، ومن يضلل الله فما له من هاد.
انظر: شرح أصول السنة، للالكائي: القرآن كلام الله ١/١٤.

المذكورة/[٥٤]، فيحتاج إلى الأخبار الصحيحة عمن لا يخبر إلا بالصدق كرسول الله، والرواة عنه، وإلى تجربة من عدول عارفين، وأين هذا وذاك؟ وأما تثبيت المسئول لنكير ومنكر فلا خبر يدل عليه ولا تجربة؛ إذ من يأتينا بالخبر المذكور أو التجربة من الآخرة، والقبور على أن هذا مناف لما جاء في الصحيح أن المسؤول لا يسلم إلا بإجابته لهما -عليهم السلام- بقوله: هو محمد جاءنا بالبينات والهدى فأجبناه واتبعناه[1] حينما يسألنه عنه، وعن ربه، وعن بعض أمور دينه كما في بعض الروايات.

سابعا: قول الأزهري: بأن يقال: يا الله بمحمد -صلى الله عليه وسلم- أحيي هذا الميت الخ.

(بحث) يقال عليه: استدل لنفي ما ذكر بأنه لم يقع، ولو وقع لنقل إلينا، وعليه فيقال له: ما شأنك وناظمك ومن تبعكم على ذلك لم تراعوا عدم ثبوت هذا الاستدلال في جانب ما عقدتموه وشرحتموه في أبياتكم هذه، كقولكم: وكلهم من رسول الله ملتمس إلى هذا البيت وكذا في بعض الأبيات بعده.

ثم قال بعد هذا:

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى   في القرب والبعد فيه غير منفحم[2]

قال الباجوري في شرحه بعد كلام: "وحاصل المعنى: أنه أعجز الخلق فهم حقيقته، فليس يبصر شخص غير عاجز عنه في القرب والبعد بحسب المكان، أي: فليس يرى في الزمان القريب والزمان البعيد منه صلى الله عليه وسلم غير عاجز عن إدراكه، ويحتمل أيضا أن المراد القرب والبعد في المعنى، فأهل الباطن الناظرون له صلى الله عليه وسلم في عالم الشهود تضعف بصائرهم عن إدراكه صلى الله عليه وسلم؛ لقوة إشراقه عليه الصلاة والسلام مع قربهم منه صلى الله عليه وسلم، وأهل الظاهر الناظرون له صلى الله عليه وسلم في عالم الحس لا يدركون إلا

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب: من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس (٢٨/١/٨٦).
(٢) انظر: شرح البردة ص١٠٧.

شخصا مصورا، وجسما مقدرا؛ لبعدهم منه صلى الله عليه وسلم"[١]. انتهى.

ثم قال الناظم ممثلا لهذا:

كالشمس تظهر للغيب من بعد   صغيرة وتكل الطرف من أمم[٢]

قال الباجوري ما معناه: أنه عليه السلام يشبه الشمس في أنها تظهر للأبصار ويحجبها شعاعها عن إدراك قرصها وتحقيق كنهها؛ لا في حالة البعد، ولا في حالة القرب منها، وغير هذا مما قال يرجع إلى هذه الخلاصة[٣]. انتهى.

ونحن نقول عليه أولا: قوله وحاصله: أنه أعجز الخلق بهم حقيقته الخ.

يقال عليه: قد فسر الحقيقية قبل بكمالاته، وهما تفسران/[٥٥] لمعناه عند الناظم، وعليه فالمعنى متقارب، لكن يقال لهم: لو أعيى الورى ذلك وأعجزهم لما نقلت إلينا كمالاته الذاتية والروحية عنهم، وقد أكثر أصحابه من ذلك، وتبعهم المسلمون فيه، ولو أعجز الورى لأعجزهم هم أن يقولوا: فاق النبيين في خلق وفي خلق، وكلهم من رسول الله ملتمس، وواقفون لديه عند حدهم الأبيات المتقدمة، وقد أخبروا عن نوره الأولى، وأن الكائنات منشقة منه، وأن فضله لا حد له، وأنه ممد العوالم والمتصرف فيهم، وأن مبلغ العلم فيه أنه بشر، وأن آياته لم تناسب قدره، وغير هذا مما أكثروا منه، وعليه فكيف لم يعيهم فهم معناه المذكور، كما أنه لم يعني الملائكة ولا غيرهم ممن يعرفه عليه السلام.

ثانيا: قوله: فليس يرى في المكان القريب ولا البعيد الخ.

يقال عليه: إذا وصفنا بالبعد والقرب المكان كان ذلك مردودا عليهم؛ إذ القريبون منه مكانا كالكائنين معه في زمانه تتبعوا كمالاته البدنية والروحية من لدن نشأته إلى أن توفاه الله، ثم نقل عنهم ذلك إلى الأباعد مكانا وزمانا، ولم يدعوا شيئا مما يمكنهم علمه من كمالاته إلا ذكروه، إلا أن يكون شيئا لن يجعل الله لهم سبيلا إلى علمه، كحقيقة وماهية

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٣٠-٣١.

(٢) انظر: شرح البردة ص١٠٧.

(٣) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٣١.

روحه، وبعض الأسرار التي لا يطلع عليها منه إلا خالقه، وهذا ليس خاصا به، بل يجري في كل الكائنات.

ثالثا: قوله: ويعتمد أيضا أن المراد القرب والبعد في المعنى جاهل الباطن الناظرين إليه بالبصائر من أنهم يعجزون عن ذلك؛ لأن شعاع نوره يعمي بصائرهم عن إدراكه.

يقال له: من هم أهل الباطن؟ ولا باطن في الشريعة على ما هو الحق.

فإن قيل: هم أهل عالم الشهود، قيل لهم: ما هو عالم الشهود؟ أو ليس الشهود يتحقق في عالم الحس بالبصر أقوى منه في غيره.

فإن قيل: هم المديمون استحضار صورة من أحبوه وتعلقوا به حتى تسكن في أفكارهم، وتتمثل لهم صورها كما يتمثل الخيال وينظر لهم ذلك غالبا ببصائرهم.

قيل لهم: أهؤلاء أهدى وأفضل من أهل الحسن الناظرين بالبصر؟

فإن قالوا: نعم؛ لاجتهادهم غاية الاجتهاد حتى خرقوا بذلك عالم الحس إلى عالم الشهود.

قيل لهم: ويا ضيعة تعبهم واجتهادهم ذلك/[٥٦] المؤذن إلى صرف طرف من العمر في التكاليف الشاقة إلى تحصيل على مجهول عنده، حيث مع ذلك لم تتمكن قواهم ولا شهودهم ببصائرهم رؤية أصغر كمالاته فضلا عن كلها.

رابعا: ما يقال لهم: يظهر من كلامكم أن هؤلاء أرفع منزلة من أصحاب رسول الله المشاهدين له بالحس مع أنهم أرفع من كل رفيع بعد الأنبياء والمرسلين وبالسعادة أعمارهم، حيث ملؤوها بكمالات النبي -صلى الله عليه وسلم- ظاهرا وباطنا، ومنعها من هؤلائك ومن أدخله في معنى البيت فقد خالف الإجماع؛ إذ الكمالات التي ملئت بها الدفاتير ما جاءتنا إلا من قبلهم ورؤيتهم لها وعلمهم بها من النبي عليه السلام.

خامسا: ما يقال تشبيهه عليه السلام بالشمس والرائي له والناظر إليها.

يقال عليه: التشبيه لا يصح؛ لأن الشمس لها شعاع يحكم به الحس يرد أبصار الناظرين عن أن يتمكنوا من تحقيق معنى قرصها وذاتها، والرسول عليه السلام وإن جعل الله له جمالا ومهابة كغيره من الأنبياء، فلم يجعل له ولا هم في ذلك ما يمنع أبصار الناظرين إليهم من رؤية أوصافهم وحفظها الظاهرة والباطنة، ولو جعل لهم ذلك لما انتفع بهم

الخلق في تكليف وبيان أحكام الله لهم، فإذا أحيط بهذا خبرا وما ذكرنا عليه إلا بحثا مجملا علمت ما في قول الناظم وأتباعه: أعيى الورى فهم معناه.

ثم قال الناظم:

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته   قوم نيام تسلّوا عنه بالحلم[١]

وهذا يقال عليه: إن كان مراده بالحقيقة الماهية والروح والأسرار الخفية، فهذا لا يدركه المتسلي بالحلوم وغيره، وإن كان مراده بالحقيقة رؤية اليقظة التامة كما يزعمها بعضهم، فهذا لا يكون في حياته، أو في يوم القيامة، لا في حياة الرائي وموت المرئي عليه السلام، كما بينا ذلك في كتابنا "الاستفاضة في أن النبي لا يرى بعد وفاته يقظة"[٢].

ثم قال بعد البيت:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر   وأنه خير خلق الله كلهم[٣]

وهذا يقال عليه أولا: مناف لقوله: أعيا الورى فهم معناه.

ثانيا: يقال له: أمّا علمكم ففوق هذا؛ لأنه عنصر الكائنات كلها لا خصوص البشر، وإن كان في شخصه عليه السلام فردا من البشر، على أنكم زدتم بكمالاته وأوصافه ما يكون به إلها لا بشرا، فحصلتم على/[٥٧] التناقض، وأما علم غيركم فمبلغ العلم فيه ذلك، وأنه خير الثقلين، كلهم كما أن معنى هذا البيت ينافي قولكم: ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم.

ثم قال الناظم:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها   فإنما اتصلت من نوره بهم

فإنه شمس فضل هم كواكبها   يظهرن أنوارها للناس في الظلم[٤]

قال الباجوري: "أي: وكل المعجزات التي أتى بها الرسل الكرام لأممهم فلم تتصل بهم إلا مِنْ معجزاته صلى الله عليه وسلم، أو من نوره

---

(١) انظر: شرح البردة ص١٠٨.

(٢) من مؤلفات العلامة النتيفي-رحمه الله- ولا زال مخطوطاً.

(٣) انظر: شرح البردة ص١٠٨.

(٤) انظر: شرح البردة ص١٠٨.

الذي هو أصل الأشياء كلها، فالسموات والأرض من نوره، والجنة والنار من نوره، ومعجزات الأنبياء من نوره، وهكذا"[١]، إلى أن قال: "والمراد بنوره: معجزاته وسميت نورا؛ لأنه يهتدي بها ويصح حمله على النور المحمدي الذي هو أصل المخلوقات كلها، كما حمله عليه بعض الشارحين، لا يقال: كيف تكون المعجزات التي أتى بها الرسل الكرام لأممهم من نوره صلى الله عليه وسلم مع أنهم متقدمون عليه في الوجود؛ لأنا نقول: هو صلى الله عليه وسلم متقدم على جميع الأنبياء من حيث النور المحمدي"[٢].

ثم قال في قوله: فإنه شمس: "فضل هذا البيت تعليل للبيت قبله، والمعنى على التشبيه أي: فإنه كالشمس في الفضل، وقوله: هم كواكبها، ووجه التشبيه فيهما: أن الشمس جرم مضيء بذاته والكواكب أجرام غير مضيئة بذاتها، لكنها صقيلة تقبل الضوء، فإذا كانت الشمس تحت الأرض فاض نورها من جوانبها فيطلب الصعود؛ لأن النور يغلب مركز العلو فيصادق أجرام الكواكب الصقيلة المقابلة له، فيرتسم فيها فتضيء في الظلمات وتظهر أنوار الشمس فيها للناس من غير أن ينقص من نور الشمس شيء، فنوره صلى الله عليه وسلم لذاته وسائر الأنبياء ممتد من نوره من غير أن ينقص من نوره شيء، فيظهرون ذلك النور في الكفر الشبيه بالظلام؛ فلذلك قال المصنف:

يظهرن أنوارها للناس في الظلم

وكما أن الشمس إذا بدت لم يبق أثر الكواكب، فكذلك شريعته صلى الله عليه وسلم لما بدت نسخت غيرها من سائر الشرائع، كما يشير لذلك قوله في بعض النسخ/[٥٨]:

حتى إذا طلعت في الأفق عم هداها العالمين وأحيت سائر الأمم

وظاهر هذا البيت أنه صلى الله عليه وسلم مرسل للأمم السابقة لكن بواسطة الرسل، فهم نواب عنه صلى الله عليه وسلم، وبهذا قال الشيخ

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٣٢.

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٣٢.

السبكي[١] ومن تبعه أخذ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [سورة آل عمران:الآية٨١]، والذي عليه الجمهور أنه صلى الله عليه وسلم مرسل لهذه الأمة دون الأمم السابقة، فالمسألة خلافية، والحق الأول"[٢] انتهى.

قال الأزهري: "ومعنى البيتين أن جميع الآيات التي جاءت بها المرسلون إنما اتصلت بهم من نور النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن خلق نوره سابق عليهم وهو صلى الله عليه وسلم إلى آخره"[٣] انتهى.

ونحن نقول عليه: أولا: قول الباجوري من معجزاته عليه الصلاة والسلام أو من نوره شك رحمه الله، والشك دليل اليقين، أي: عدمه، ولم يشك الأزهري في أنه من نوره.

ثانيا أين الدليل الذي ينبغي أن يكون متواتراً هنا؟

ثالثا: قوله: والمراد بنوره معجزاته، قد رجع الباجوري هنا إلى تخصيص النور المذكور بالمعجزة بعد أن شك في كونه إياه أو المعجزة، وهو دليل على عدم التثبت.

رابعا: قوله: وسميت نورا؛ لأنه يهتدي بها.

يقال عليه: إن كانت هذه علة تلك التسمية والعلة تطرد كأن كل ما يهتدى به من نجوم وجبال وسهول وعلامات، إلى غير ذلك يسمى نورا، وذلك غير معروف.

خامسا: قوله: ويصح حمله على النور المحمدي الخ.

---

(١) هو تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، الشافعي صاحب التصانيف، ولد سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وسمع من ابن الصواف والدمياطي، وبدمشق من أبي جعفر بن الموازيني والطبقة، "وكان جمَّ الفضائل، حسن الديانة، صادق اللهجة، قوي الذكاء من أوعية العلم، مات سنة ست وخمسين وسبعمائة.
انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/٢٠٠.

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٣٢-٣٣.

(٣) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٣٢.

يقال عليه: هذا رجوع منه إلى تفسير النور بغير المعجزة، وهو دليل على أن الشارح لم يجد دليلا يعين له تفسير النور المذكور.

سادسا: قوله: ولا يقال كيف تكون المعجزات إلى تمام جوابه عن هذا الاستفهام.

يقال عليه: الجواب إذا أمكن في جانب النور، فإنه لا يمكن في جانب المعجزات؛ إذ لا معجزة لنور رسول الله السابق على وجود الرسل -عليهم السلام-، وإنما معجزاته كلها في حياته وهي متأخرة عن الرسل وأممهم؛ لأنهم قد رحلوا قبل وجوده إلى الدار الآخرة.

سابعا: ما يقال: إن ذهبنا على أن المراد بالنور هنا النور الذي خلقت منه الأشياء، قلنا: تقدم لنا ما يحقق أن ذلك النور ليس خاصا بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، وإنما هو قدر مشترك بين الكائنات، بناء على زعم هؤلاء من صحة ما قالوه، وإلا فذلك لا يصح، وكل من تكلم على قسمة النور/[٥٩] بين الموجودات، من يفرز قسطا منه لرسول الله إلا ما كان من بعضهم كالحاتمي[(١)]، فإنه لما وصل به التقسيم في حديث جاز الظاهر الوضع إن لم نقل صريحه إلى قوله: ثم أقام الجزء الرابع في مقام الحياء عرف ذلك النور، فقطر منه مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف قطرة، فكانت تلك القطرات أرواح الأنبياء والمرسلين، فتنفست أرواحهم فكان منها الأولياء والشهداء والصالحون، ثم وهو ظاهر في أن هذا القسم من النور قدر مشترك بين النبيين والمرسلين، ورسول الله، ثم ذكر بعد كلام أن هذا النور المحمدي نزل إلى الأرض فَكَافٍ يضيء فيها كالشمس، ثم لما خلق آدم جعل في جبهته. انتهى بالمعنى.

ونحن نقول عليه: أولا: يتحصل من هذا أن هذا النور الأول قدر مشترك كما تقدم، وهذا الأخير هو الخاص برسول الله، ولكن ماذا كان، ما يقال قد عارض هذه المقالة فيما تقدم لنا حين تكلمنا على رواة النور المناقضة بعضهم لبعض كما نقول الآن هذا النور، قيل: كان في ظهر آدم في الجنة، وهو بعد مناقضته لقول الحاتمي هذا.

يقال عليه: إن كان هذا يكون سابقا على رؤيته اسم محمد -عليه

---

(١) هو ابن عربي صاحب الفصوص والفتوحات المكية وغيرها من كتبه المليئة بالشرك.

السلام- مكتوبا على العرش، فلما لم يعرف من صاحب الاسم حتى سأل عنه ربه -سبحانه- مع أنه كان يعرف نوره في ظهره، بل ونور أصحابه على ما روى أصحاب هذا الشأن، وإن كانت رؤية الاسم قبل حلول النور بظهر آدم -عليه السلام- لم يجيء هذا البحث، ولكن يجيء غيره، وهو أن هذا النور الذي ظهرت به معجزات الأنبياء -عليهم السلام- لم لم يتقوى آدم عليه ببركته وقوته على إبليس حتى يحال بينه وبين وسوسته في الجنة!، كما أنه لما لم يكن مقدما بهذه الصفة على جاه رسول الله الذي توسل به آدم -عليه السلام- لغفران خطيئته من ربه -كما تزعمون- المخالف لما نص عليه القرآن بقوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأعراف:الآية٢٣]، كما نقول: سلمنا هذا على ما فيه، ولكن هذا النور الجاهي في آدم وذريته إلى بروز رسول الله كيف كان يصنع في إيجاد معجزات الأنبياء ببركاته يقع ذلك وإن لم يفارق محله أو يفارقه، وينقلب عند إيقاع المعجزات/[٦٠] جسما ببرد النار ويجعلها سلاما على إبراهيم -عليه السلام- حين رمي بها، وينقلب عصا في يد موسى -عليه السلام- فيضرب بها البحر فينفلق بها وينقسم إلى اثنتي عشر طريقا، أو يبتسم بأجسام الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وهكذا في إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وإخراج الناقة من الصخرة، وإلانَة الحديد لداوود -عليه السلام-، وممد الجبال على التسبيح معه، وهكذا مع مخالفة هذا لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع أمته الذين يعتد بإجماعهم، كما يقال: هذا النور إذا كان في النبي من أجداد رسول الله، وكانت له معجزة كان القائم بها هو، وإن كانت المعجزة لغير القائم به كان الانفصال المذكور إن لم يكن ذلك لمجرد البركة، وإن كان قائما بغير الأنبياء من أجداده كان الأمر قاصرا على الأول؛ إذ لا معجزة لغير رسول، ثم هذا النور حين وضع في بطن آمنة المصونة ماذا كان استحال إلى جسد رسول الله وروحه، خالف الإجماع من أنه خلق من نطفة أبيه وإن الروح نفخ فيه كما ينفخ في كل جنين من أبناء جنسه، ولما ولد عليه السلام لم لم يخرق له هذا النور العوائد كما خرقها للأنبياء -عليهم السلام-؟ ثم لماذا لم يعقل ذلك رسول الله ويتذكر حين كان نوره يخرق العوائد للأنبياء -عليهم السلام- لا قبل نبوته ولا بعدها، بل لما جاءته النبوة لما يدر ما نزل، وأخذته الخشية والرعب، كما في الصحيح حتى سهل عليه ذلك ذهاب خديجة -رضي الله عنها- به إلى ورقة بن

نوفل[1] وسألته عن أمره وسأله عنه، فأخبر بأنه الناموس الذي نزل على موسى، ثم لِمَ لَمْ يخبر رسول الله ولا أصحابه بأن هذا النور هو الذي تسبب في معجزة رسول الله وفعل فيها فعله.

كما أنه لم لم يجب بسببه وفعله قريشا حين سألوه معجزات ولم يبق له إلا قول الله له: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الإسراء:الآية٩٣]، ثم إن رسول الله لما توفي واحتاج الأولياء إلى نوره ليحصلوا بها كرامات، وحصلت به كما زعمتم، كيف كان يتصل بهم ذلك النور أبالبركة كما تقدم أم يفارق محله؟، سواء قلنا: إنه ملازم لروح رسول الله أو مفارقها لا يُدْرَى ذلك مع أن هذا النور غير عاقل ولا سامع ولا عالم ولا ولا، فكيف يتصور/[٦١] أن يقع منه ما تقدم وغيره؟ وإن ذهبنا على أن المراد بالنور المعجزة كما تردد في ذلك الشارح كانت المعجزة أيضا غير حية ولا عالمة ولا قادرة على أنها معدومة إذ ذاك، وكيف يؤثر المعدوم في الوجود؟؛ إذ رسول الله لم يوجد فضلا عن معجزاته إلا بعد فراغ الأرض من الرسل قبله. والجواب المتقدم على الباجوري لا يصح في المعجزة كما قدمنا البحث في ذلك على أن هذه الدعوى مخالفة للكتاب والسنة والإجماع، فإذا لا دليل لها إلا التقولات الباردة، وإذا ذهبنا على أن المراد بهذا النور روح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان ما تقدم من أن المقسمين للنور لم يذكروا لها قسطا تختلف منه، فإذا هي مخلوقة بكلمة (كن) كغيرها من جميع الخلائق على ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، خلافا لهؤلاء، وعلى مجاراتهم فيما قالوا إذا قلنا: إن عالم الأرواح ليس بثابت -وهو الصحيح عند أهل العلم- لم يوجد وقتئذ ما يخلق المعجزات للرسل -عليهم السلام- إلا إذ الروح إنما تخلق عندما يحتاج الجنين إلى نفخها فيه، والمعدوم لا يؤثر في الموجود كما تقدم، وإن قلنا: بعالم الأرواح كانت الروح مؤثرة في المعجزات على النحو الذي ذكرنا في النور، ويجري في ذلك الاعتراض المتقدمة عليه كما يجري في الروح بعد ولادة النبي -صلى الله عليه وسلم- ما جرى من الأبحاث المتقدمة في النور إلى تمام كرامة الأولياء، وهذا العلم يمكن أن يستمد من الخاءات الثلاثة: خاء المخرقة،

---

(١) انظر: السيرة النبوية لا بن هشام ٢٣٨/١.

وخاء الخرافة، وخاء خالف تعرف.

ثم ذكر الباجوري كلاما في تشبيه رسول الله بالشمس والرسل بالكواكب إلى أن قال: ووجه التشبيه فيهما أن الشمس جرم مضيء بذاته والكواكب أجرام غير مضيئة.

(بحث) يقال عليه: تشبيه رسول الله بالشمس والجامع بينهما الإشراق الذاتي في كل، وتشبيه الرسل بالكواكب، والجامع بينهما استعارة النور من الغير في كل لا يصح من وجوه:

الأول: لا نسلم ما يقول بعض أهل الهيئة: من أن النجوم ضوءها إنما هو من الشمس كما شرحه الباجوري نفسه كما ترى كما يقولون ذلك في القمر، بل الشرع مقدم على الحدس[1] والتخمين؛ لأن أهل الهيئة إنما عولوا عليهما في ذلك، وقد قال الله تعالى في القمر: ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [سورة يونس:الآية٥]، وقال: ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾/[٦٢] [سورة الفرقان:الآية٦١]، والأصل الحقيقة، وقال في الكواكب: ﴿زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [سورة الملك:الآية٥]، والمصباح لا يكون مظلما كبيت لا يضيء إلا بضوء مستعار، والحس يشهد لذلك؛ فإننا نرى تلألؤ القمر والنجوم لا يفارقها إلا إذا غابت عنا، والأصل بقاء ما كان على ما عليه كان، وقياس الحال بحال في مادة واحدة هو الأصل حتى يتبين خلافه.

الوجه الثاني: أن أهل الهيئة من المتأخرين الذين يزعم الناس تحقيقهم أكثر من الأولين يقولون: إن هناك نجوما مساوية للشمس أو أكبر منها، كما تساوي نورها أو أكثر، وعليه فكيف تكون النجوم مظلمة؟

الوجه الثالث: تشبيه الأنبياء والمرسلين بالنجوم التي لا نور لها ذاتي، وإنما هو مستعار من غيرها، تقتضي به الحاجات إلى أن يؤدي إلى المستعار منه أو لا يرد، فيكون صدقة عليهم بعد أن كان مستعاراً.

يقال عليه: يستحيي العاقل أن يصف الأنبياء والمرسلين بهذه الصفة التي تنافيها كل الدلائل وتثبت لهم ضدها، وكيف لا وقد وصفهم الله بالأوصاف التي قد لا يفوقهم في بعضها إلا الفذ، كرسول الله- صلى الله

(١) الحدس: الظَّنُّ . مختار الصحاح الرازي، حدس، ٦٨/١.

عليه وسلم- بسبب تفضيل الله بعضهم على بعض في بعض الخصال من غير تنقيص، كما عند هؤلاء، وقد قدمنا كثيرا منها في قوله: من نقطة العلم أو من شكلة الحكم، كما نقول هنا: قال الله تعالى في صفة التوراة:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ﴾ [سورة المائدة:الآية٤٤]، وقال في حق الإنجيل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [سورة المائدة:الآية٤٦]، وقال في حق عيسى -عليه السلام-: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [سورة النساء:الآية١٧١]، وقال: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [سورة البقرة:الآية٨٧]، وقال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [سورة الأنبياء:الآية٩١]، وأي معنى للروح دون نور الله، وكيف تكون كتبهم أنوارا وهم مظلمون إلا ما التمسوه واستعاروه من الضياء من غيرهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النور:الآية٤٠]، الدال على أن الخالي من النور بعدم جعل الله ذلك فيه لا نور له، وإن كان استعار ذلك من غيره، وقال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ [سورة التحريم:الآية٨]، وقال: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ/[٦٣] وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ [سورة الحديد:الآية١٢]، وقال: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [سورة الحديد: الآية١٣] الآية، وأكمل من يكون مع رسول الله الأنبياء والمرسلون، كما أنهم أكمل المؤمنين مطلقا، وأحق بالأنوار منهم، وقد قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [سورة الأنعام: الآية١٢٢]، فجعل من لم يحبه الله ويجعل له نورا في الظلمات، وحاشا الأنبياء والمرسلين أن يكونوا في الظلمات الذاتية ولا العارضة، وقد أعطاهم الله من العلم والنبوة والحكمة، ومنحهم من الاصطفاء ما لم يعطه غيرهم، وليس النور إلا العلم ونحوه، والاستدلال على هذا يطول، فليكن ما أشرنا إليه هنا وقبله.

الرابع: هذا التشبيه المركب بين المشبه والمشبه به فيه ما فيه من التنقيص؛ إذ من العيب على الشمس التي تعطي من نورها لمقابلها من الأرض وأهلها ما لا يعطيه أكبر الأسخياء في العالم، وتشح على إخوانها المشابهين لها في الصورة والجمال وأبناء وطنها بشيء تافه، إلا وهو ذلك الإشراق الضئيل والضياء التافه، وهو نقص في حقها على هذا، كما هو نقص في حق النجوم حيث رضيت بذلك العطاء التافه، كما أنه ينبغي أن يقال كما تقدم: لا يجمل في حق رسول الله -وهو أسخى الأسخياء- أن لا يكرم الأنبياء والمرسلين إلا بنقطة من العلم أو رشفة من الديم، كما أن المرسلين أنفسهم لا ينبغي أن يرضوا بهذا الشيء التافه والذي ينقص من مراتبهم.

فإن قيل: الله المقدر لكل شيء والمعطي له. قلنا: نعم لو تركتم ذلك لله وأثبتموه عنه، ولكن ضربتم به عرض الحائط وتحكمتم بما شئتم، وفي تحكمكم النزاع.

الخامس: لا نسلم أن دلالة خفاء النجوم بالنهار وظهورها بالليل نتيجة عن أخذ النور منها؛ لأنا نقول: أما في النهار فلغلبة سلطان الشمس ونوره على نور الكواكب مع زيادة أبعادها، وأما في الليل فلذهاب هذا السلطان المانع وترك الفضاء لغيره.

السادس: ما يقال في التشبيه أيضا: أن الشمس تغرب بعد طلوعها وشمس رسول الله لم تغرب بعد طلوعها إلا بعد ذهاب الذين جعلتموها تطلع وتغرب عليهم بمئات السنين.

الثامن/[٦٤]: أن نور الكواكب عندكم تابع للشمس، فإذا طلعت أخذت نورها، وإذا غربت أضاءت النجوم، وشمس رسول الله لم تُعِر الأنبياء والمرسلين من ضوئها طلعت أو غربت، بل لم يزالوا بتلك الصفة بعد طلوعها وغروبها.

التاسع: قولكم: فإذا غربت الشمس تحت الأرض.

(بحث): يقال عليه: من لكم بأنها تغرب تحتها، وإنما جاء أنها بلا قيد، التحت المذكور كما جاء أنها تجري لمستقر لها وأنها تغرب تحت العرش[1].

---

(١) أخرج البخاري في "صحيحه" باب: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾، من حديث أبي ذرٍ الغفاري-رضي الله عنه-قَالَ: كُنْتُ مَعَ =

العاشر: يؤخذ من كلامكم أن النجوم لا يرجع إليها ضوءها إلا بعد غيبوبة الشمس تحت الأرض، مع أنه يرجع إليها ضوءها؛ لالتباسها بالظلمة بالتدريج، والشمس لازالت فوق الأرض تبقى نجومها مضيئة، وهكذا غربت تحت الأرض أو لم تغرب تحتها كما هو المشاهد.

الحادي عشر: دعواكم أن الشمس إذا غربت تحت الأرض يفيض نورها بجوانب الأرض ويصعد إلى النجوم فيضيئها، ولعل ذلك لكبر الشمس على الأرض.

وهذا يقال عليه: لو كان كما قلتم لغطت الشمس وجه الأرض كله وزادت زيادة يفيض نورها من جوانب الأرض إلى أسفلها، مع أننا نراها فوقنا ونحن بالأرض، وطرفا طلوعها وغروبها مظلمان تضيء نجومها، وذلك يدل على أنها ولو كانت كبيرة على الأرض لبعدها عنها كانت الأرض أكبر منها في النظر وفي الحال والمقايسة.

الثاني عشر: لو كانت الشمس تغرب تحت الأرض لما رأيناها إلا بعد ثلاثة أشهر، وكانت هذه المدة الأرض كلها مظلمة ونجوم السماء كلها منيرة، لا أنها تغيب عن تحتها نحو اثني عشر ساعة فقط كما هو دورة الليل والنهار؛ وذلك لأن أهل الهيئة والجيولوجية في الأزمنة المتأخرة الذين يزعم أكثر الناس اليوم أن لا تحقيق كتحقيقهم، وأن لا علم كعلمهم أن الأرض تدور حول الشمس كما تدور حول نفسها[1]،

=

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَقَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟) قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ)، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨].

(١) قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "خلاصة رأينا حول دوران الأرض: أنه من الأمور التي لم يرد فيها نفي ولا إثبات لا في الكتاب ولا في السنة، وذلك لأن قوله - تعالى -: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [النحل: ١٥]. ليس بصريح في دورانها، وإن كان بعض الناس قد استدل بها عليه محتجا بأن قوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ يدل على أن للأرض حركة، لولا هذه الرواسي لاضطربت بمن عليها.

=

وبعد هذا التناقض يقولون: أنها تكون تحت الأرض فصلا كاملا من السنة، وربما كان الشتاء، ثم صاعدة إلى السماء في جانب الشمس فصلا آخر، وربما كان الربيع، ثم تكون فوقها فصلا، ربما كان الصيف، ثم تنزل من الجانب الباقي إلى أسفلها فصلا كذلك، وهكذا ذواليك.

الثالث عشر: قوله: وظاهر هذا البيت أنه صلى الله عليه وسلم مرسل

=

وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [غافر: ٦٤] ليس بصريح في انتفاء دورانها؛ لأنها إذا كانت محفوظة من الميدان في دورانها بما ألقى الله فيها من الرواسي صارت قرارا، وإن كانت تدور.

أما رأينا حول دوران الشمس على الأرض الذي يحصل به تعاقب الليل والنهار، فإننا مستمسكون بظاهر الكتاب والسنة من أن الشمس تدور على الأرض دورانا يحصل به تعاقب الليل والنهار، حتى يقوم دليل قطعي يكون لنا حجة بصرف ظاهر الكتاب والسنة إليه - وأنى ذلك - فالواجب على المؤمن أن يستمسك بظاهر القرآن الكريم والسنة في هذه الأمور وغيرها.

ومن الأدلة على أن الشمس تدور على الأرض دورانا يحصل به تعاقب الليل والنهار، قوله - تعالى -: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٧]. فهذه أربعة أفعال أسندت إلى الشمس ﴿ طَلَعَت ﴾، ﴿تَّزَٰوَرُ ﴾، ﴿ غَرَبَت ﴾، ﴿ تَّقْرِضُهُمْ ﴾. ولو كان تعاقب الليل والنهار بدوران الأرض لقال: وترى الشمس إذا تبين سطح الأرض إليها تزاور كهفهم عنها أو نحو ذلك، وثبت «عن النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال لأبي ذر حين غربت الشمس: (أتدري أين تذهب؟) فقال: الله ورسوله أعلم. قال: (فإنها تذهب وتسجد تحت العرش وتستأذن فيؤذن لها، وأنها تستأذن فلا يؤذن لها ويقال: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها). ففي هذا إسناد الذهاب والرجوع والطلوع إليها وهو ظاهر في أن الليل والنهار يكون بدوران الشمس على الأرض.

وأما ما ذكره علماء الفلك العصريون، فإنه لم يصل عندنا إلى حدّ اليقين فلا ندع من أجله ظاهر كتاب ربّنا وسنة نبينا.

ونقول لمن أسند إليه تدريس مادة الجغرافيا: يبين للطلبة أن القرآن الكريم والسنة كلاهما يدل بظاهره على أن تعاقب الليل والنهار، إنما يكون بدوران الشمس على الأرض لا بالعكس. انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٧٠/١.

للأمم السابقة الخ.

(بحث) يقال عليه: كيف يرسل الغير الموجود إلى الموجود، هذا لا يعقل ولا تحكم به عادة ولا شرع ولا نظر، صحيح ورسول الله إذ ذاك لم يكن موجودا.

الرابع عشر: قوله: فهم نواب عنه إلى آخره.

(بحث) يقال عليه: لا تصح النيابة إلا بإنابة المنيب وهاهنا لا منيب ولا إنابة، فإن قيل: ما تقولون/[٦٥] إن كان ذلك من عند الله، قلنا: هاتوا برهانكم بذلك إن كنتم صادقين.

الخامس عشر: قوله: وبهذا قال الشيخ السبكي ومن تبعه أخذا من قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة آل عمران:الآية٨١].

(بحث) يقال عليه: تطاول السبكي معروف، ولكن بعث الله من قصمه وهو ابن تيمية وأصحابه، وكفى بذلك ما ألفه فيه ابن عبد الهادي[1] من الصارم المنكي في الرد على ابن السبكي.

السادس عشر: قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة آل عمران:الآية٨١] الخ.

(بحث) يقول عليه: لا دلالة له في الآية على خصوص مقصوده؛ إذ الرسول في الآية مطلق، ولا أفهم تعيينه أنه لم يؤخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا وينصروا غيره، مع أنه مأخوذ عليه أن يؤمنوا بكل نبي وينصروه كما ينصر جميع المؤمنين، بل جميع المظلومين مهما أمكنهم ذلك واحتاجوا إلى نصرتهم، وهو ظاهر إطلاق الآية في رسول، وهو المشهور المرجح عند أكثر أهل العلم، وقد قال الله تعالى فيما يدل على

---

(١) هو شمس الدّين، مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الْهَادِي بن عبد الحميد بن عبد الْهَادِي بن يُوسُف ابْن مُحَمَّد بن قدامَة المقدسي الحنبلي، أحد الأذكياء، ولد فِي رَجَب سنة ٧٠٥هـ، قَالَ الصَّفَدِي: لَو عَاشَ كَانَ آيَة. وَقَالَ الذَّهَبِيّ فِي مُعْجَمه الْمُخْتَص: الْفَقِيه البارع الْمُقْرِئ المجود الْمُحدث الْحَافِظ النَّحْوِيّ الحاذق ذُو الْفُنُون كتب عني واستفدت مِنْهُ. وَقَالَ ابْن كثير: كَانَ حَافِظًا عَلامَة ناقدا حصل من الْعُلُوم مَا لَا يبلغهُ الشُّيُوخ الْكِبَار، وبرع فِي الْفُنُون وَكَانَ جبلا فِي الْعِلَل والطرق وَالرِّجَال حسن الْفَهم جدا صَحِيح الذِّهْن، مَات سنة ٧٤٤هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر،٦١/٥.

ذلك: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [سورة الأحزاب:الآية٧]، وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [سورة الشورى:الآية١٣].

وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [سورة التوبة:الآية٧١]، وإذا كان وجوب الإيمان على الرسل وأممهم المتقدمة برسول الله -عليه السلام- يدل على أنه مرسل إليهم، فقد وجب على رسول الله وعلينا أن نؤمن بهم كملائكة الله وكتبه وعليه، فيكونون مرسلين إلينا كذلك ولا قائل به.

السابع عشر: ما يقال فيما إذا قيل معنى إرسال النبي -عليه السلام- له هو إرسال روحه لأرواحهم في عالم الأرواح، أو قبل وجودهم في العالم الدنيوي وحيث وجدوا كان رسلهم نوابين عنهم.

أولا: أن عالم الأرواح لم يتفق عليه.

ثانيا: سلمناه ولكن الأرواح إذ ذاك لم تتكلم.

ثالثا: سلمناه ولكن إذ ذاك لم تؤت الحكمة والنبوة التي بها يتم الإرسال ولو أوتيتهما لعقلت ذلك عند بروزها إلى العالم الدنيوي، ولما كان لقوله سبحانه: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [سورة الضحى:الآية٧]، وقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ﴾ [سورة الشورى: الآية٥٢]، وقوله: ﴿لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ [سورة يونس: الآية١٦]، ولا لقوله عليه

[٦٦]

السلام: حين قال له جبريل: اقرأ: (ما أنا بقارئ)[1]، ولا لاستغرابه ذلك وخوفه ورعبه منه حتى أتت به خديجة ورقة بن نوفل كما هو معلوم؛ مصداقا مع أنه الحق الذي لا حق بعده، والصدق الذي لا صدق بعده.

فإن قيل: قد يكون نسي ذلك لطول العمر، قيل عليه: أقل ما يجاب به أن يقال: لو كان ذلك كذلك لذكره ربه سبحانه، فيقول: نسيت مع أن النور الذي اصطفاه الله، والكامل الذي اختاره الله لا ينسى كل ما علمه الله، ولو أمكن أن ينسى بعضه ولكن من تكفل الله بحفظه لا يعتريه مثل هذا.

رابعا: لو سلمنا هذا، فلم لم يعقل الأنبياء -عليهم السلام- ذلك، ولو فرضنا نسيانهم لذكرهم الله ولو عقلوا أو ذكروا لأخبروا بذلك أممهم، ونقل إلينا خبرهم أحرى من نقل أخبار لا يهتم بها كهذا.

خامسا: سلمناه ولكن لم ينقل هذا عن رسول الله بطريق صحيح، فضلا عن (التواتر) اللائق بمثله، بل ولا بإجماع الأمة، بل أنت ترى الباجوري هنا نسب نفي هذا القيل للجمهور، وإن قال الحق ما قبله وهو في عهدته وعهدة سلفه فيه.

سادسا: سلمناه ولكن لِمَ لَمْ يكتف الله سبحانه بهذه البعثة لأرواح بني آدم عن أن يأخذهم من ظهور آبائهم ويشهدهم على أنفسهم بأنه ربهم بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [سورة الأعراف:الآية١٧٢] الآية، ولكنه اكتفى بهذا عن ذاك لكون ذاك لم يثبت وجوده، فضلا عن أن يكتفي به.

ثم قال الناظم:

أكرم بخَلْقِ نبي زانه خُلُق	بالحسن مشتمل بالبِشْرِ متسم
كالزهر في ترف والبدر في شرف	والبحر في كرم والدهر في همم
كأنه وهو فرد من جلالته	في عسكر حين تلقاه وفي حشم[2]

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري باب: كيف كان بدأ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧/١)، وروره مسلم باب: بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٣٩/١).

(٢) انظر: شرح البردة ص١٠٨-١٠٩.

انتهى.

ونحن نقول عليه: خالف الناظم وأتباعه في المعنى على سبيل الإجمال ما عقدوه فيما تقدم من أن الرسل عليهم السلام لم يدانوه في خلق ولا خلق، ولا علم ولا كرم، وجعلوا هنا الزهر وما بعده يدانيه في ذلك ويشابهه، بل هذه الأشياء أقوى منه على زعمهم حينما يراعى الغالب في التشبيه من أن المشبه به أقوى في المعنى من المشبه، وما عقدوه في قوله: ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم، فقد حدوه هنا بالمعنى المتقدم وأعربوا عنه بالأفواه، وما عقدوه في قولهم: أعيا الورى فهم معناه البيت، حيث فهموا معناه بالمعنى المتقدم أنه كالزهر، وكما/[٦٧] بعده.

كما نقول في قول الأزهري: "لقد غلا، أي: تجاوز الحد من قال:

لـه همم لا منتهى لكبرها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار أجورها على البرِّ كان البرُّ أندى من البحر"[1]

إلى آخر كلامه الذي جعل هذا غلوا في حق الممدوح به، ولكن تردد في نسبة هذه الأبيات إلى حسّان في مدح رسول الله، والظاهر عنده أنها ليست له؛ لكونها لم توجد في شعره ذلك، وعلى جواز كونه القائل لها في حق رسول الله، فإنه لا غلو فيها، والحق أنها من مبالغة الشعراء، أو ذلك لا مبالغة فيه على فرض أن لو كان لرسول الله ما يجود به على البر وجاد به بالفعل لسخائه، لكان أندى من البحر، والله اعلم بما كان.

ثم قال الناظم:

لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه طوبـى لمنتشق منـه وملتثم[2]

قال الأزهري: "لا شيء من أنواع الطيب يماثل طيب التراب الذي ضم جسده صلى الله عليه وسلم، وهذا التراب الشريف تراب الأرض طوبى لمن شممه وقبله"[3]. انتهى.

قال الباجوري: "وحاصل المعنى لا طيب يساوي التراب الذي جمع

---

(١) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٣٣.

(٢) انظر: شرح البردة ص١٠٩.

(٣) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٣٥.

الجسد الشريف وهو تراب قبره صلى الله عليه وسلم. إلى أن قال: والمراد بالملتثم المعفر، موضع اللثام، وهو الوجه، وليس المراد المقبل أخذا له من الالتثام وهو التقبيل؛ لأن تقبيل القبر الشريف وكذا ما فيه من التراب مكروه، ومعلوم أن طيب التراب المذكور إنما سرى له من طيبه صلى الله عليه وسلم الذي هو أعلى أنواع الطيب، ولذا قال أنس: ما شممت عنبرا ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح النبي صلى الله عليه وسلم(1)، ثم إن أطيبية ذلك التراب يحتمل أنها باعتبار ما عند الله تعالى، وتحتمل أنها باعتبار ما عند غيره أيضا، لكن لا يدرك ذلك إلا من كشف له الغطاء من الأولياء المقربين؛ لأن أحوال القبر من الأمور التي لا يدركها إلا من ذكر، فاندلع ما يقال: لو كان التراب المذكور من الطيب لزم أن يدرك طيبه كل أحد كالمسك، فإنه يدرك طيبه كل أحد على أنه لا يلزم من قيام المعنى بمحل إدراك كل أحد له؛ لجواز انتفاء شرط أو وجود/[٦٨] مانع، وعدم الإدراك لا يدل على انتفاء المدرك، ألا ترى أن المزكوم لا يدرك رائحة المسك مع أنها فائحة به، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (القبر أول منزل من منازل الآخرة؛ فإما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار)(2)، ولاشك أن قبره صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة بل أفضلها، وقد قال أيضا عليه الصلاة والسلام: (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)(3)، وكل من

---

(1) رواه مسلم، باب: طيب رائحة النبي -صلى الله عليه وسلم- (١٨١٤/٤).

(2) الجزء الأول من الحديث عند الترمذي (١٢٠/٤/٢٣٠٨) بسند صحيح. أما الطرف الثاني من الحديث: (إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ) رواه الترمذي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إلا مِنْ هَذَا الوَجْهِ (٢٢٠/٤).
وقال العلامة الألباني : موضوع. انظر: السلسلة الضعيفة (٧٤٧/١٠/٤٩٩٠).

(3) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- (١٥٣/١٣)، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، باب: ما أعطى الله تعالى محمد -صلى الله عليه وسلم- (٣٠٥/٦)، ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، مسند أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- (٤٩٦/٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة تخريج السنة ص٣٣٩.

القبر والمنبر داخل في حكم ما بينهما، أما القبر فللخبر العام الذي ذكر، وأما المنبر فلقوله صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث: (ومنبري على حوضي)[1]، والحوض من الجنة، وإذا تقرر كون هذا المكان من الجنة، لم يبق عند العاقل المصدق بالشريعة امتراء في أنه لا طيب يعدله"[2] الخ.

(بحث) ونحن نقول عليه: أولا: قول الباجوري: وليس المراد المقبل أخذا من الالتثام وهو التقبيل؛ لأن تقبيل القبر الشريف مكروه الخ.

ينافي قول الأزهري: طوبى لمن شمه وقبّله، وهو وإن قال بعضهم: بجواز تقبيل القبور الشريفة والكتب المقدسة، ولكن ما قاله الباجوري هو الصحيح عند أهل العلم؛ درءا لما قد يترتب على ذلك من المفاسد، ولا يعارض هذا تقبيل الحجر الأسود؛ لأنه مأمور به من قبل الشرع فهو مستثنى من الخلاف.

ثانيا: قول الأزهري: هذا التراب أشرف تراب الأرض الخ.

(بحث) يقال عليه: لاشك في أن هذا التراب طيب شريف، وقد جاء أن الصحابة سألوا أبا بكر -رضي الله عنهم- عند موت رسول الله: أيدفن رسول الله؟ قال: نعم. قالوا: وأين؟ قال في المكان الذي قبضه الله فيه؛ فإن الله لم يقبض روح نبي إلا في مكان طيب[3]، ولكن أين الدليل على أنه أشرف تراب الأرض، ولم لا يكون أشرف من بعضه وكبعضه، وأشرف منه بعض آخر؛ إذ الكل محتمل، ولا يلزم من كونه طيبا أن يكون أطيب من كل طيب، بل يقال: إنه كباقي المسجد النبوي؛ لشمول ما بين بيتي ومنبري، وفي الرواية الأخرى: (القبر روضة من رياض الجنة)، ولا دلالة في أشرفية أحد هذه البقاع على بعضها في الحديث، كما أنه لا دلالة على أنه أشرف من غيره من بقاع الأرض للحديث، ولكونه مضجع رسول الله، كما يقال: بيت الله الكعبة، وترابها أشرف من البقاع المتقدمة، وقد بالغ بعضهم، كما يدل لذلك قول الناظم هنا وشارحه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه باب: في الحوض (١٢١/٨).

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٣٥.

(٣) أخرجه أبو محمد الكشي في كتابه "المنتخب من مسند عبد بن حميد" (١٤٢/١).

حتى عمموا الأشرفية لتربة قبر النبي -عليه السلام- لبيت الله الحرام، كما رأينا ذلك لبعضهم في أشرفية ليلة المولد على غيرها من سائر الليالي والأزمنة/[٦٩]، حتى على ليلة القدر، وكذا عمم أشرفية موضع مولده عليه السلام على جميع تراب الأرض إلا ما استثناه من تراب القبر الشريف، بل شرفه حتى على الجنة وربما على العرش، وقد بحثنا في أقواله هذه ورددنا إفراطه ذلك في كتابنا "الإرشاد والسداد في فضل ليلة القدر على ليلة الميلاد"(١)، ونحن نذكر هنا بعض الوجوه على سبيل الاختصار في أشرفية بيت الله الكعبة ودار الله الجنة وسرير ملك الله العرش على تراب قبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، فنقول: قد قدمنا أنه لا خلاف في شرف قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- وطيبه، ولكن لم يجيء دليل يعطيه الأشرفية على جميع ما ذكر، وعليه فلا يبقى إلا النظر فيما يدل على أشرفية البعض على البعض، فوجدنا قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- مشرفا؛ لأنه لم يقبض إلا في مكان طيب، ولكون المضجع يكتسب شرفا من الحال به، ولكونه روضة من رياض الجنة، وهذه العلل الثلاثة هناك من يزاحمها في هذا الشرف، أما طيوبة المضجع فثابتة لكل قبر من قبور الأنبياء -عليهم السلام-، وأما كونه روضة من رياض الجنة فثابت أيضا لكل قبر من قبور المؤمنين الذين صار أمرهم إلى الجنة، وأما حلول رسول الله به فكذلك قبور الأنبياء حلت فيهم الأنبياء فتشرفت بهم، وإذا قيل: يتشرف بالإضافة إلى رسول الله، حيث يقال: قبر رسول الله أيضا، قيل: هذه الإضافة أيضا موجودة في قبور الأنبياء، أما ما يدل على أشرفية بيت الله، فقد ذكر الله في كتابه بيوت رسول الله في نحو أربعة مواضع، منها ما يدل على فضلها، ومنها ما اقتضى السياق ذكرها بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الحجرات:الآية٤]، وقوله: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب: الآية٣٣]، ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٣٤]، وقوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [سورة

(١) مخطوط.

الأحزاب: الآية٣٣]، وقوله: ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [سورة الأحزاب: الآية٥٣]، ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ ﴾ [سورة الأنفال: الآية٥]، وقوله عليه السلام: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)[1]، وقال في بيوته على سبيل العموم: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [سورة النور:الآية٣٦]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [سورة التوبة:الآية١٨]، وقال: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ [سورة الجن: الآية ١٨]، وقال رسول الله: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله)[2]، وذكر من أعماله التي لا تنقطع بناء المساجد وقال: (من بنى مسجدا لله بنى الله/[٧٠] له مثله في الجنة)[3]، وقال: يقول الله تعالى: (إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي)[4]، أو كما قال، إلى غير ذلك مما ورد في فضلها على سبيل العموم، وقال الله -سبحانه- في خصوص المسجد الحرام والبيت المحرم: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [سورةالبقرة:الآية١٢٥]، وقال: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) ﴾ [سورة البقرة: الآية١٢٥]، وقال: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ [سورة البقرة:

---

(١) رواه البخاري، باب: فضل ما بين القبر والمنبر (٦١/٢).

(٢) سبق تخريجه ص١٤٨.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري، باب: من بنى مسجدا (٩٧/١)، ورواه مسلم، باب: فضل بناء المساجد (٢٢٨٧/٤).

(٤) أخرجه أَبُو نعيم من حَدِيث أبي سعيد بِسَنَد ضَعِيف: «يَقُول الله عز وَجل يَوْم الْقِيَامَة أَيْن جيراني فَتَقول الْمَلَائِكَة من هَذَا الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَن يجاورك فَيَقُول أَيْن قراء الْقُرْآن وعمار الْمَسَاجِد»، وَهُوَ فِي الشّعب نَحوه مَوْقُوفا عَلَى أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم بِإِسْنَاد صَحِيح، وَأسْندَ ابْن حبَان فِي الضُّعَفَاء آخر الحَدِيث من حَدِيث سلمَان وَضَعفه.
المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين للعراقي ١٨٠/١.

الآية١٢٧]، وجعل بيته قبلة لجميع أهل الأرض بقوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٤٤]، وقال: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [سورة البقرة:الآية١٤٩]، وقال: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [سورة البقرة:الآية ١٥٠]، وقال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [سورة البقرة:الآية١٥٨]، وقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ [سورة آل عمران:الآية٩٦-٩٧]، وقال: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ [سورة المائدة:الآية٩٧]، وقال حكاية عن إبراهيم -عليه السلام-: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [سورة إبراهيم:الآية٣٧]، وقال: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الحج:الآية٢٦]، وقال: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الحج:الآية٢٩]، وقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة قريش:الآية٣-٤]، وقال رسول الله: (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنبه كيوم ولدته أمه)[1]، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في فضل الصلاة في خصوص مسجده والمسجد الحرام كما روينا من حديث الإمام أحمد وابن حبان من طريق عطاء: (صلاة في

---

(١) اللفظ الذي أورده المصنف لم أقف له على مصدر، وإنما ورد عند البخاري بلفظ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ). صحيح البخاري، باب: قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ (١١/٣/١٨١٩).

مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا)[١]، واقتصرنا على هذا الحديث الصحيح؛ لكونه مفسر الاستثناء في الأحاديث الصحيحة وهو (إلا المسجد الحرام)، ثم نقول زيادة على ما تقدم من الآيات في المسجد الحرام: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [سورة البقرة: الآية١٩١]، ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١٧] الآية، ﴿وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ/[٧١] ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [سورة الأنفال:الآية٣٤]، ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗ﴾ [سورة الأنفال:الآية٣٥]، ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾ [سورة الحج: الآية٣٣]، ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا﴾ [سورة العنكبوت:الآية٦٧]، ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سورة القصص:الآية٥٧]، ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [سورة الفتح: الآية٢٥]، ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٩]، ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [سورة الفتح: الآية٢٧]، ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [سورة التوبة:الآية٢٨]، وسئل رسول الله: أي مسجد وضع أول؟ فقال: (المسجد الحرام)، قيل: ثم أي؟ قال: (المسجد الأقصى)[٢]، وكفارة ذكر الله للبيت الحرام وجعل حجه من قواعد الإسلام، وأن من حجه بشرطه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وأن الصلاة فيه أفضل من الصلوات في غيره حتى في مسجد رسول

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبدالله بن الزبير -رضي الله عنه- (٤٢/٢٦)، رواه ابن حبان في صحيحه، باب: ذكر فضل الصلاة في المسجد الحرام على الصلاة في مسجد المدينة بمئة صلاة (٤٩٩/٤)، قال العلامة الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (٧٢٨٨/١).

(٢) رواه البخاري، باب: قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَ﴾ (١٦٢/٤).

الله، وأنه مبارك وهدى للعالمين، وأن الله الذي حرمه دون غيره، وأن حرمة رسول الله في المدينة، وأنه بيت الله، وأن القبر الشريف قبر رسول الله والإضافة إلى الأعظم، والأفضل أعظم وأفضل وإن كانت في المعنى كلها لله، إلا أن المضاف إليه بغير واسطة أقرب إليه من المضاف بها، وقد اختلف العلماء في الأفضل أمكة أم المدينة؟ ولكن أرجح وأقوى ما تدل عليه الدلال أفضلية مكة، وقد قال بذلك الجمهور، وأجابوا عن كل ما يقتضي العكس وقدر منا الاختصار بترك كتب ذلك هنا، وإلا أجبنا عن بعض ما لم يجيبوا عنه من ذلك، كما نقول: واستثناء بعضهم قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- يأتي ما فيه،كما يقال: إن الجنة هي دار الله وغيرها دار غيره، وأنها دار جزاء أوليائه وكرامته لهم، وأنها دار النعيم المقيم والخلد الدائم، وأن من دخلها لا يجوع فيها ولا يعرى، ولا يظمؤ فيها ولا يضحى فيها، يقول الله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:الآية٢٦]، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، وفيها يقول عليه السلام: (ما بين العباد وبين أن ينظروا على ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)[١]، وفيها يشرف الرب الكريم على أهلها فيقول لهم: ((أحل عليكم رضواني فلا سخط عليكم بعده أبدا))[٢]، إلى غير ذلك من أوصافها العالية، ونعوتها السامية، التي لا تحيط بتفاصيلها الدفاتر، وإنما يحيط بها خالقها سبحانه، وإن كرمت الجنة ما كرمت وتشرفت ما تشرفت، كان عرش الرحمان الذي يكون فوقه كما قال -وهو مذهب أهل الحق- أرفع وأسنى من ذلك، وعليه فكيف تكون الدنيا بحذافيرها/[٧٢] وأنبياؤها وصالحوها وبيوتها ومساجدها وقبورها مساوية أو أعلى من الجنة! أو من قعد الصدق ومكانية فوقية الرب سبحانه، بل لو كان العكس حتى في بعض مقعد سكان هذا العالم أو

(١) رواه مسلم، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة (١٦٣/١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه باب: صفة الجنة والنار. من حديث أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه- (١١٤/٨/٦٥٤٩).

قبوره أو مقامه أو أو... [1]، لكان ذلك أفضل مما ينتقلون إليه من الجنة وقرب الله الكريم، وكانوا يستبدلون الذي هو خير بالذي هو أدنى، نعوذ بالله من ذلك ومن أن ينسب هذا الاعتقاد والقول إلى خواص أهله.

إذا علمت هذه الوجوه على سبيل الإجمال، فإليك ما قيل في الاستثناء المتقدم على قول من ذكره بعد الإتيان بلفظ بعضهم في ذلك، فنقول: قال الحافظ ابن حجر في باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة بعد ترجيحه القول بفضل مكة على المدينة ما نصه: لكن استثنى عياض البقعة التي دفن فيها النبي، فحكي الاتفاق على: أنها أفضل البقاع، إلى أن قال: قال النووي في شرح المهذب: لم أر لأصحابنا نقلا في ذلك، وقال ابن عبد البر: إنما يحتج بقبر رسول الله على من أنكر فضلها، أما من أقر به وأنه ليس أفضل بعد مكة منها فقد أنزلها منزلتها.

وقال غيره: سبب تفضيل البقعة التي ضمت أعضاءه الشريفة أنه روي: (إن المرء يدفن في البقعة التي أخذ منها ترابه عندما يخلق) رواه ابن عبد البر في أواخر تمهيده ومن طريق عطاء الخراساني[2] موقوفا.

وعلى هذا فقد روى الزبير بن بكار[3]: أن جبريل أخذ التراب الذي خلق منه رسول الله من تراب الكعبة، فعلى هذا فالبقعة التي ضمت أعضاءه من تراب الكعبة فرجع الفضل المذكور إلى مكة إن صح ذلك والله اعلم[4]، انتهى.

قال العلامة الشوكاني في نيل الأوطار بعدما نقل ورجح من تفضيل

---

(١) هكذا في المخطوط.

(٢) عطاء بن أبي مسلم، أبو عثمان الخراساني واسم أبيه ميسرة، وقيل: عبد الله صدوق يهم كثيرا ويرسل ويدلس، من الخامسة، مات سنة خمس وثلاثين، لم يصح أن البخاري أخرج له. انظر: تقريب التهذيب١/٣٩٢.

(٣) الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الأسدي المدني، أبو عبد الله ابن أبي بكر، قاضي المدينة، ثقة أخطأ السليماني في تضعيفه، من صغار العاشرة، مات سنة ست وخمسين.
انظر: تقريب التهذيب١/٢١٤

(٤) فتح الباري لابن حجر٣/٦٨.

مكة على المدينة: "وقد ادعى القاضي عياض الاتفاق على استثناء البقعة التي قبر فيها صلى الله عليه وسلم، وعلى أنها أفضل البقاع، قيل: لأنه قد روي أن المرء يدفن في البقعة التي أخذ منها ترابه عندما يخلق، كما روى ذلك ابن عبد البر في تمهيده من طريق عطاء الخراساني موقوفا، ويجاب عن هذا بأن أفضلية البقعة التي خلق منها صلى الله عليه وسلم إنما كان بطريق الاستنباط، ونصبه في مقابلة النص الصريح غير لائق، على أنه معارض بما رواه الزبير بن بكار[(١)]: أن جبريل أخذ التراب الذي منه خلق صلى الله عليه وسلم من تراب الكعبة، والبقعة التي خلق منها من بقاع مكة، وهذا لا يقصر عن الصلاحية لمعارضة/[٧٣] ذلك الموقوف لاسيما وفي إسناده عطاء الخراساني، نعم، إن صح الاتفاق الذي حكاه عياض كان هو الحجة عند من يرى أن الإجماع حجة[(٢)]. انتهى.

ونقل يوسف عبد الرزاق[(٣)] في كتابه معالم الهجرة عن السمهودي[(٤)] ما نصه: نقل عياض وقبله أبو الوليد الباجي وغيرهما الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة حتى على الكعبة.

---

(١) سبقت ترجمته ص٢٠١.

(٢) نيل الأوطار ٣٥/٥.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) أبو الحسن، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعيّ، نور الدين: مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها، ولد في سمهود (بصعيد مصر)سنة:٨٤٤هت، واستوطن المدينة، وتوفي بها سنة:٩١١ هـ، من كتبه: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، وخلاصة الوفاء، اختصر به الأول، وجواهر العقدين.
انظر: الأعلام للزركلي ٣٠٧/٤.

ونقل التاج السبكي[١] عن ابن عقيل الحنبلي[٢]: أنها أفضل من العرش.

وصرح التاج الفاكهاني بتفضيلها على السموات، قال: بل الظاهر المتعين تفضيل الأرض جميعها على السماء.

لكن قال النووي: إن الجمهور على تفضيل السماء على الأرض، أي: ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة[٣]. انتهى ما أردنا نقله منه.

ونقل الرهوني[٤] عن الأبي[٥] ما نصه: اختار ابن رشد وشيخنا أبو عبد الله[٦] تفضيل مكة، واحتج لذلك ابن رشد[٧] بأن الله سبحانه جعل فيها

---

(١) عبد الْوَهَّاب بن عَليّ بن عبد الْكَافِي بن عَليّ بن تَمام السُّبْكِيّ، أَبُو نصر تَاج الدّين بن تَقِيّ الدّين، ولد سنة ٧٢٧هـ، وَمَات فِي سَابِع ذِي الْحجَّة سنة ٧٧١هـ.
انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٢٣٢/٣.

(٢) الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، البَحْرُ، شَيْخُ الحنَابلَة، أَبُو الوَفَاء عَلِيُّ بنُ عَقِيْل بن مُحَمَّدِ بنِ عَقِيْلِ ابنِ عَبْدِ اللهِ البَغْدَادِيّ، الظَّفَرِيّ، الحَنْبَلِيّ، المُتَكَلِّم، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، وُلِدَ: سَنَةَ إِحْدَى وَثَلاَثِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ، تُوُفِّيَ بُكرَة الجُمُعَة، ثَانِي عشر جُمَادَى الأُوْلَى، سَنَةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ وَخَمْسِ مائَة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٣/١٩.

(٣) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، للسمهودي ٦٣/١.

(٤) محمد -بفتح الميم الأولى- بن أحمد بن محمد بن يوسف، أبو عبد الله الرهوني: فقيه مالكي مغربي. ولد سنة:١١٥٩هـ، نسبته إلى (رهونة) من قبائل جبال غمارة بالمغرب. نشأ وتعلم بفاس. أكثر إقامته بوزان، وتوفي بها سنة:١٢٣٠هـ.
انظر: الاعلام للزركلي ١٧/٦.

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) لم أقف له على ترجمة.

(٧) الإِمَامُ العَلاَّمَةُ، شَيْخُ المَالِكِيَّة، قَاضِي الجَمَاعَة بقُرْطُبَة، أَبُو الوَلِيْدِ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَحْمَدَ بن رشد القُرْطُبِيُّ، المَالِكِيُّ.
قَالَ ابْنُ بَشْكُوَال: كَانَ فَقِيْهاً عَالِماً، حَافظاً لِلْفقه، مقدَّماً فِيْهِ عَلَى جَمِيْع أَهْلِ عصره، عَارِفاً بِالفَتْوَى، بَصِيْراً بِأَقْوَال أَئِمَّة المَالِكيَة، نَافذاً فِي علم الفَرَائِض وَالأُصُوْل، مِنْ أَهْلِ الرِّيَاسَة فِي العِلْمِ، وَالبرَاعَة وَالفَهْمِ، مَعَ الدِّينِ وَالفَضْلِ، =

قبلة الصلاة وكعبة الحج، وبأنه صلى الله عليه وسلم جعل لها مزية بتحريم الله -سبحانه وتعالى- إياها بقوله: (إن الله حرم مكة ولم يحرمها الناس)[1].

قال: وقد أجمع أهل العلم على وجوب الجزاء على من صاد بحرمها، ولم يجمعوا على وجوبه على من صاد بحرم المدينة، ورأى جماعة أن تعلق الحدود في حرم مكة بحرمته ولا تقام فيه لقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ [سورة آل عمران:الآية٩٧]، ولم يقل أحد بذلك في حرم المدينة، وإذا كان تعظيم البقاع ليس لذواتها وإنما هو لتضعيف الحسنات والسيئات بها وكان الذنب بحرم مكة أغلظ منه في حرم المدينة كان ذلك دليلا على فضلها عليها.

قال: ولا حجة في الأحاديث المرغبة في سكنى المدينة على فضلها عليها، ثم ذكر بعض الأحاديث المرغب في ذلك وأجاب عنها، ثم قال الرهوني[2] بعد قوله، انتهى منه بلفظه معقبا عليه بعض أجوبته، إلى أن قال: في بعض ما تفضل به المدينة وهي مدفن جسده الشريف بعد موته صلى الله عليه وسلم، وهو أشرف من الكعبة ومن جميع المخلوقات، وقد

=

وَالوَقَار وَالحِلْمِ، وَالسَّمتِ الحَسَن، وَالهَدْي الصَّالِح، وَمِنْ تَصَانِيْفِهِ كِتَابُ "المُقَدِّمَاتِ" لأَوَائِل كتب المدوَّنَة، وَكِتَاب "البيَان وَالتحصيل لمَا فِي المُسْتخرجَة مِنَ التَّوجيه وَالتَّعليل"، وَاختصَار "المبسَوْطَة"، وَاختصَار "مُشكل الآثَار" لِلطَّحَاوِي، سَمِعْنَا عَلَيْهِ بعضَهَا، وَسَارَ فِي القَضَاءِ بِأَحْسَنِ سِيرَة، وَأَقومِ طرِيقَة، ثُمَّ اسْتَعفَى مِنْهُ، فَأُعْفِيَ، وَنشر كتبَه، وَكَانَ النَّاسُ يُعَوِّلُوْنَ عَلَيْهِ وَيلجؤون إِلَيْهِ، وَكَانَ حَسَنَ الخُلُقِ، سَهْلَ اللِّقَاء، كَثِيْرَ النَّفع لِخَاصَّته، جَمِيْلَ العَشْرَة لَهُم، بارّاً بِهِم.

عَاشَ سَبْعِيْنَ سَنَةً. وَمَاتَ: فِي ذِي القَعْدَةِ، سَنَةَ عِشْرِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٣٥٨/١٤.

(١) رواه أحمد في مسنده، مسند أبي شريح الخزاعي الكعبي -رضي الله عنه- (١٣٧/٤٥)، ورواه الترمذي في سننه باب: ما جاء في حكم ولي القتيل في القصاص (٢١/٤)، قال العلامة الألباني: صحيح.

انظر: إرواء الغليل في تخرج منار السبيل (٢٧٦/٧).

(٢) سبقت ترجمته ص٢٠٣.

انعقد الإجماع على أن الروضة المشرفة أفضل بقاع الأرض والسماء، فيكون ما قاربها وجاورها أفضل من غيره؛ إذ بجيرانها تغلو الديار وترخص، فتأمله بإنصاف(١). انتهى.

(تعقيب) ونحن نقول على ما كتبناه من هذه النقول مرتبين تلك المقالات على أولها إلى آخرها: أولا/[٧٤]: قول ابن حجر لكن استثناء عياض البقعة التي دفن فيها النبي فحكي الاتفاق الخ.

(بحث) يقال عليه: هذا الاستثناء عند عياض ما دليله؟ والدلائل على فضل مكة مطلقا عامة كما تقدم، لا شرط فيها ولا قيد، فعلى الآتي به بيان تخصيص ذلك العموم به لا بمجرد الآراء، وإلا قوبلت الآراءُ الآراءَ، وسلِم العموم من التخصيص، ولو سلمنا تفضيل المدينة على مكة لدلائل ذلك، لما كان لاستثناء بعضها على بعض في ذلك وجه إلا بدليله.

ثانيا: قوله: وحكي الاتفاق على أنها أفضل البقاع.

(بحث) يقال عليه: ابن حجر حكي عن عياض الاتفاق، والسمهودي حكى عنه نقل الإجماع، وقد رأينا في كتب الفقهاء وسمعنا: أن الاتفاق ينسب لأهل المذهب، والإجماع لمجتهدي الأمة، وعليه فما النقل المتبع في هذين النقلين؟ ولا يقال: كلاهما سواء؛ لأن الاتفاق أخص من الإجماع؛ ولأن الإجماع آكد حكما من الاتفاق، كما يقال: ليتَ عياض -رحمه الله- بين المتفقين منهم على رواية الاتفاق، والمجمعين منهم على رواية الإجماع حتى ينظر في الأمرين أهما حجة أم لا؟ على أننا رأينا أيضا وسمعنا أن أهل العلم يحذرون من اتفاقات ابن رشد، وإجماعات ابن عبد البر، وقد يكون ما نقل عن عياض هنا من هذا القبيل على أن هذين العالمين تركا دعواهما هنا من الاتفاق والإجماع وقالا بخلاف ما دل عند غيرهما كعياض رحم الله الجميع.

ثالثا: قوله: وقال النووي الخ.

(بحث) يقال عليه: هذا قادح فيما نقل عن عياض من الإجماع؛ إذ كيف يصح إجماع لا يحفظ فيه قول عن الشافعية وهم أصحاب النووي، فضلا عن غيرهم، كما أنه يدل على أن ما سيأتي في السمهودي عن النووي من استثناء البقعة بأي ينافي ما له هنا من الضرب على

(١) لم أقف له على مصدر.

الاستثناء، وأن ذلك الاستثناء من كلام السمهودي أو الناقل عنه وهو صاحب معالم الهجرة، كما أنه تأتي بقية في البحث عن الإجماع في الظنيات المدعى هنا وفي غير هنا.

رابعا: قوله: قال ابن عبد البر الخ.

(بحث) يقال عليه: لا بيان بعد هذا البيان إلا التعسفات والتعصبات للآراء، أو إلا بدليل قاطع البيان لا يرد من خصم وأين هو؟

خامسا: ما ذكره من سبب تفضيل البقعة من أن المرء يدفن في البقعة التي أخذ منها ترابه عندما يخلق.

(تعقيب) يقال عليه: معارضة الحافظ له أولاً أو له سلف فيها واضحة وموهنة لحديث ابن عبد البر عن عطاء وموقعة في التردد في الدليلين ومدلولهما، وما كان هكذا يحتاج إلى الاستدلال عليه حتى يثبت، لا أن يثبت/[٧٥] به غيره على تلك الصفة، وسنزيد هذا بيانا إن شاء الله.

سادسا: قول الشوكاني: وقد ادعى القاضي عياض الخ، مع قوله: نعم إن صح الاتفاق الذي حكاه عياض كان هو الحجة الخ.

(تعقيب) يقال عليه: من أين يصح وبأي شيء يصح؟ ويشير على هذا تشكيكه في ذلك بقوله: إن صح.

سابعا: قوله: كان حجة عند من يرى أن الإجماع حجة.

(بحث) يقال عليه: هذا يوهن دعوى الاتفاق؛ إذ لا يقول به إذا إلا من يقول: إن الإجماع حجة دون من لا يقول بذلك، وسيأتي ما في هذا الإجماع.

ثامنا: قوله: لأنه قد روى أن المرء يدفن في البقعة الخ.

(بحث) يقال عليه: لم لم يرو هذا في الصحيح مع أنه أمر ذو بال وشأن عظيم، وروى بمثل هذه الروايات وذلك دليل على ضعفه، وإلا فسيأتي ما يوضح هذا، وكثير من أهل العلم لا يتعمدون الوضع، وإنما يتغافلون عن بيانه، ويحول بينهم وبين ذلك صلاح رواته مع تحسينهم الظن به وبراويه.

تاسعا: قوله: إنما كان بطريق الاستنباط الخ.

(بحث) يقال عليه: بحث صحيح؛ إذ لا يقوم هذا الاستنباط الضعيف مع النص القوي لحظة، وفيه ما يدفع الإجماع المدعى أو الاتفاق؛ إذ لا يمكن دليلهما مثل هذا الاستنباط لو سلم، فكيف به وهو معارض كما

ترى.

عاشرا: قوله: على أنه معارض بما رواه الزبير بن بكار[1]: أن جبريل أخذ التراب الخ، إلى قوله: وهذا لا يقصر عن الصلاحية لمعارضة ذلك الموقوف الخ.

(بحث) يقال عليه: صحيح لا يقصر عنها لو كان وحده، فكيف وقد انضم إليه رواية عطاء له، وقد تكلم فيه من قبل أحاديثه أكثر مما تكلم في الزبير بن بكار؟، ومع وقفه أيضا يعني على الصحابي ولم يرفعه، وقد يستأنس لرواية ابن بكار وإن لم يذكر هنا رفعها ولا وقفها بأن رسول الله ولد بمكة، فالأقرب أن تكون طينته من الكعبة.

الحادي عشر: ما يقال: قد علمت ما بين رواية عطاء والزبير بن بكار من المخالفة، فهاك مخالفة أخرى لابن بكار في البقعة، ولعطاء وله في المعنى: وهي ما رواه ابن سعد[2] في شرف المصطفى، وابن الجوزي[3]عن كعب الأحبار قال: لما أراد الله أن يخلق سيدنا محمدا -

---

(١) سبقت ترجمته ص٢٠١.

(٢) أبو سعد، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوريّ الخركوشي، واعظ، من فقهاء الشافعية بنيسابور، نسبته إلى "خركوش" سكة فيها. قال ياقوت: "رحل إلى العراق والحجاز ومصر، وجالس العلماء، وصنّف التصانيف المفيدة وجاور بمكة عدة سنين، وعاد إلى نيسابور، وتوفي بها " سنة:٤٠٧هـ، من كتبه " البشارة والنذارة - خ " في تفسير الأحلام، و " سير العباد والزهاد " و" دلائل النبوة " و" شرف المصطفى " ثمانية أجزاء، وغيرها في علوم الشريعة.
انظر: الأعلام للزركلي ٤/١٦٣.

(٣) ابن الجوزي، الإمام العلامة الحافظ، عالم العراق، وواعظ الآفاق، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي، الواعظ المفسر، صاحب التصانيف السائرة في فنون العلم، وعرف جدهم بالجوزي بجوزة كانت في داره بواسط لم يكن بواسط جوزة سواها. ولد تقريبًا سنة =

صلى الله عليه وسلم- أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها، فهبط جبريل في ملائكة الفردوس/[٧٦] وملائكة الرفيع الأعلى، فقبض قبضة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من موضع قبره الشريف، وهي بيضاء منيرة، فعجنت بماء التسنيم، أي: الذي هو أرفع شراب الجنة، حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم، ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي، وفي السموات والأرض والجبال والبحار، فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمدا -صلى الله عليه وسلم- قبل أن تعرف آدم -عليه السلام-، وهاك أخرى من حيث الإفراد والتعدد، فقد روى بعضهم كما قدمناه وكتبنا عليه وغيره: أن طينة الأنبياء -عليهم السلام- التي خلقوا منها أخذت من تربة رسول الله التي أخذت منها طينته[1].

(بحث) ونحن نبيّن ما في هاتين المخالفتين فنقول: أولا: هما مخالفتان لرواية الزبير كما تقدم، كما تزيد الأخيرة على رواية عطاء بأخذ طين الأنبياء من البقعة المدنية، كما نقول: إن رواية كعب الأحبار فيها ما فيها عند الناس، ولاسيما في مثل هذا الموضع من الفضائل، كما يقال: إن في الروايتين الأوليتين أخذ التراب، وفي الثانيتين أخذ الطينة، وفرق بين التراب والطينة وإن كان أصلا لها، ولكنها انتقلت عن أصلها أو جنسها بفضل خلطها بالماء وعجنها به حتى كانت طينة، كما يقال: يؤخذ من تعليلهم المتقدم أن البقعة شُرفت بكونها الأصل والأم بجسد رسول الله، وفي حديث كعب الأحبار هذا ما يصرح بأنها شريفة في نفسها، حيث قال فيها: قلب الأرض وبهاؤها كما جاء فيه أنه عجنت بماء التسنيم، مع كونها معجونة قبل، ولم يذكرا في الروايتين الأوليتين، لا العجن الأولي ولا الثانوي.

كما يقال: ماء التسنيم الذي عجنت به، أنزل من الجنة إلى الأرض فعجنت به فيها أم ارتقت الطينة إلى الجنة فعجنت فيها؟ كل ذلك يحتاج

=

عشر وخمسمائة أو قبلها. انظر: تذكرة الحفاظ،الطبقة السابعة عشرة ٩٢/٤، ووفاته سنة:٥٩٧هـ ببغداد.
انظر: الأعلام للزركلي ٣١٦/٣.

(١) الوفا بتعريف فضائل المصطفى، لابن الجوزي ٢/١.

إلى وحي يسفر عنه، ويخالف ما في الروايتين المتقدمتين، كما أن الطواف حول الكائنات مخالف لهما، ولاسيما حول العرش المفيد بأن الملائكة فاقت العرش بها، ومن يحيط بالعرش إلا الله على أن مذهب الحق أن الله فوق عرشه بذاته، وعليه فحين كانت الملائكة تطوف بها فوقه الشامل له حوله ماذا كانت تفعل مع الرب سبحانه؟ أليس من المحال أن تخرق ذاته وتسير فيها؟ أم ليس من المحال أن تزاحمه فوق سرير مملكته؟ إلى غير ذلك من اللوازم لهذه المقالة.

نعم، عند من ينفي/[٧٧] فوقية الرب على عرشه(١) يقول: ما شاء الله، كما أن وقت خلق جسد رسول الله بعد آدم -عليه السلام- بألوف السنين، وعليه فكيف تعرفه الملائكة -عليهم السلام- قبل آدم -عليه السلام- وقد عرفته وسجدت له قبل بمضي ما لا يعلمه إلا الله من

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وَمَنْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ: يَزْعُمُ أَنَّ الْعَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ إلَى التَّأْوِيلِ. وَيَكْفِيك دَلِيلًا عَلَى فَسَادِ قَوْلِ هَؤُلَاءِ: إنَّهُ لَيْسَ لِوَاحِدِ مِنْهُمْ قَاعِدَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ فِيمَا يُحِيلُهُ الْعَقْلُ بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الْعَقْلَ جَوَّزَ وَأَوْجَبَ مَا يَدَّعِي الْآخَرُ أَنَّ الْعَقْلَ أَحَالَهُ. فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ عَقْلٍ يُوزَنُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؟ فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ حَيْثُ قَالَ: " أَوَكُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَدَلِ هَؤُلَاءِ ". وَكُلٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ مَخْصُومٌ بِمَا خُصِمَ بِهِ الْآخَرُ وَهُوَ مِنْ وُجُوهٍ: - (أَحَدُهَا بَيَانُ أَنَّ الْعَقْلَ لَا تُحِيلُ ذَلِكَ. وَ (الثَّانِي أَنَّ النُّصُوصَ الْوَارِدَةَ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ. وَ (الثَّالِثُ أَنَّ عَامَّةَ هَذِهِ الْأُمُورِ قَدْ عُلِمَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِهَا بِالِاضْطِرَارِ كَمَا أَنَّهُ جَاءَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ. فَالتَّأْوِيلُ الَّذِي يُحِيلُهَا عَنْ هَذَا بِمَنْزِلَةِ تَأْوِيلِ الْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ فِي الْحَجِّ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَسَائِرِ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّبُوَّاتُ. (الرَّابِعُ: أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ يُوَافِقُ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ؛ وَإِنْ كَانَ فِي النُّصُوصِ مِنْ التَّفْصِيلِ مَا يَعْجِزُ الْعَقْلُ عَنْ دَرْكِ التَّفْصِيلِ وَإِنَّمَا يَعْلَمُهُ مُجْمَلًا إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْوُجُوهِ. عَلَى أَنَّ الْوُجُوهَ الْأَسَاطِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْفُحُولِ: مُعْتَرِفُونَ بِأَنَّ الْعَقْلَ لَا سَبِيلَ لَهُ إلَى الْيَقِينِ فِي عَامَّةِ الْمَطَالِبِ الْإِلَهِيَّةِ. وَإِذَا كَانَ هَكَذَا فَالْوَاجِبُ تَلَقِّي عِلْمِ ذَلِكَ مِنْ النُّبُوَّاتِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَمِنْ الْمَعْلُومِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاَللَّهِ شَهِيدًا وَأَنَّهُ بَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ أُمُورِ الْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/٢٨.

الأزمنة؟ وهذا كله ينبئك على عدم صحة ما قيل في ذلك.

الثاني عشر: قد نزيدك بيانا على هذا البيان وهو ما يقال: إن هذه الدعوى مخالفة للكتاب، حيث ينص في غير ما آية على أن الإنسان الأول مخلوق من تراب، وإن الثاني وهلم جرا إلى ما لا يعلم إلا هو مخلوق من نطف الآباء قال سبحانه: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ [سورةالطارق:الآية٥-٧]، وقال: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَـٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة المرسلات:الآية٢٠-٢١]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ﴾ [سورة المؤمنون:الآية١٢-١٤]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ما ذكرناه، ومخالف للسنة، حيث تقول على لسان رسول الله: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك)[1]، وتقول: (إن الله تعالى وكل بالرحم ملكا يقول: أي ربي نطفة، أي ربي علقة، أي ربي مضغة)[2] الحديث، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على ما ذكرناه. ومخالف للعادة المعروفة لكل أحد من أن الولد يتخلق من ماء أبيه المصبوب في رحم أمه مع منيها دون غيرهما، ومخالفة للحس؛ إذ لا يرى في النطفة تراب ولا طين من مبدأ تطورها إلى تجننها، ولا جسم يدخل ذلك في رحم المرأة من فمها الأعلى ولا الأسفل.

ولو قيل: إن ذلك يتكفل به الملك الذي لا يرى، لقيل: إن الملك نفسه يقول كما تقدم: (أي ربي نطفة أي رب علقة)، ولا يقول: أي ربي ترابا

---

(١) أخرجه ابن عبدالهادي في كتابه المحرر في الحديث (٦٥٦/١/١٢١٦) وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢٤٢٣/١).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند أنس بن مالك -رضي الله عنه- (٢٠١/١٩)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب: المرأة تضع سقطا (٦٩٢/٧)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٣٧٦/١).

أو طينا ولا يتعرض لذلك، وقد بين عليه السلام: أن عظام الجنين من مني الرجل ولحمه من مني المرأة، وعليه فما المخلوق من الطين أو التراب إذ ذاك؟ وما كيفية إلقاء التراب في النطفة والطين فيها؟ وما الجواب عن معارضة هذا لهذا كما يقال في كيفية التخلق على زعمكم أن النور المنتقل في الأصلاب يشارك الطين والمني في الرحم؟ أيكون الخلق من/[٧٨] جميعها أم من بعضها فقط؟ وهذا الإبهام لا يناسب الشرع ولا الطبع، ولا يقال: إن النطفة من خلاصة المأكولات نبات على التراب، كلنا نقول بها كذلك، ولكن لا يطلق عليها التراب أو الطين شرعا، ولا لغة، ولا عرجا، كما أن التراب المدعى تخلق الخلق من النطفة، ومنه ليس بنطفة ولا أخذ من نطفة بل من بقعة الأرض.

الثالث عشر: ما يزيد لهذا بيانا وهو أن هذه القاعدة ليست مطردة؛ إذ كثير من الناس يقبر في المياه وبطون الوحوش والكلاب والطيور، ويحرق بالنار، وتمزقه الرياح، وأمثال ذلك، فهل في هذه القبور تراب أو طين تتخلق منه تلك الأجسام، ثم ترجع بعد موتها إلى محل ترابها؟، وقد يدفن ببلد واحد الملايين من الموتى فيكون ترابهم مشتركا في تلك البقعة، كما أنه على هذه القاعدة ينبغي أن يوجد من خلق من أجزاء الأرض كلها بالدليل مدفونا في كلها على سبيل التعدد، أو تمزق الأجزاء على حسب تلك الأتربة، وهل آدم -عليه السلام- إذ خلق من التراب الطيب والخبيث وغيرهما وشيء من ذلك لم يثبت.

الرابع عشر: مما يدفع ما رواه الزبير بن بكار، وقول من قال: إن طينة الأنبياء كلها من موضع قبر رسول الله خاصة أنه لا قبر لنبي مع قبر رسول الله ولا بإزائه، ولا أن رسول الله دفن بالكعبة كما تدل لذلك الكلية المذكورة، فتأمله بإنصاف ترى وهن هذه الدعوى، كما نقول: يؤخذ من هذه الدعوى أن البقعة التي دفن فيها رسول الله تشرفت بكونها أصلا له، فحازت بذلك ما حازه من أشرفية على جميع الكائنات.

وهذا يقال عليه. أولا: معارض لما تقدم عن كعب الأحبار من أنها لا تحتاج إلى تشريف زائد على ما لها؛ إذ هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها.

ثانيا: سلمنا احتياجها لذلك على ما قيل فيها، ولكن لا نسلم لزوم ما للفرع للأصل من شرف وغيره، وقد ولد الأنبياء -عليهم السلام- على القول الحق من الكفار، كما لا يلزم أن يكون للفرع ما للأصل، وقد ولد الأنبياء -عليهم السلام- الكفار والفجار، كالعكس والله يخرج الحي من

الميت والميت من الحي، والطيب من الخبيث والخبيث من الطيب.

نعم، إذا ثبت الدليل الذي لا يرد في شيء من ذلك فعلى الرأس والعين، والذي ثبت هنا أن قبر النبي -صلى الله عليه وسلم/[٧٩]- طيب كما تقدم عن أبي بكر -رضي الله عنه-، والزيادة على هذه الطيوبة إلى الأطيبية على جميع الكائنات، أما بالنص فلم تثبت، وأما بالإلزام المتقدم فقد تقدم ما فيه، كما يحتاج ذلك القول أولا: إلى إثبات أن رسول الله أشرف الكائنات كلها، والمتفق عليه من ذلك هو أشرفية على الثقلين، وأما غيرهما فمحل خلاف، وقد تقدم رجحان الدلائل الدالة على عدم ثبوت تلك الأشرفية له عليه السلام عليها، أي: مما هو كالملائكة، ثم إثبات قياس تلك البقعة على ما قيل فيه، وقد تقدم كما أنه يلزم على هذا القياس وهذه الدعوى بتسليمها أن تلك البقعة أشرف مما خلق الله حتى الكعبة والجنة والعرش وقد تقدمت الإشارة إلى رده، ويأتي مزيد بيان له.

الخامس عشر: ما نقله يوسف بن عبد الرزاق عن السمهودي من أن عياضا وأبا الوليد الباجي نقلا الإجماع على تفضيل البقعة الشريفة حتى على الكعبة، يقال عليه: تقدم ما فيه ويأتي ما في إجماعهما على ذلك.

السادس عشر: قوله: ونقل السبكي عن ابن عقيل الخ.

يقال عليه: إن كان دليله ما تقدم، لقد تقدم ما فيه وإن كان غيره فأين هو؟ وهل الذي سهل لهؤلاء هذا القول مخالفة الحق وأقوال سلفهم حتى الأشعري في أن الله ليس فوق عرشه، وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه، وهذه طامة تعرضنا لها في غير هذا الموضع، وإلا فكيف يكون مقعد الصدق وفوقية الرب سبحانه لعرشه أشرف منها قبر نبي -عليه السلام- وبقعة مضجعه!.

السابع عشر: قوله: وقال التاج الفاكهاني الخ.

يقال عليه: يؤخذ منه أن البقعة المذكورة أفضل من الجنة، كما يدل على أفضليتها على العرش كما نقله السبكي فما تقدم؛ لأن السموات تطلق على كل الطبقات العالية الشاملة للعرش وغيره في الإطلاق العام، ولا دليل هنا على التخصيص، كما أن الجنة فيها قولان: قول يقول: إنها في السموات السبع، وسماء عرضها كعرض السماء والأرض، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [سورة آل عمران:الآية١٣٣]، وقال: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الحديد:الآية٢١]، وقول يقول: إنها

فوق السموات وتحت العرش، والأول الظاهر؛ إذ أرواح الأنبياء والرسل في السموات، وجدهم/[٨٠] فيها رسول الله ليلة الإسراء وهم في الجنة، كما دلنا عليه الأخبار، وبالأحرى من أرواح الشهداء الذين هم في الجنة بلا ريب، وهذا يدل على أن تلك البقعة أحسن من تلك الجنة، وهو مخالف للدلائل الصريحة في أنه لا أفضل من الجنة إلا أن تكون فوقية الرحمن لعرشه.

وفي حديث سمرة عند البخاري أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (فصعدا) -يعني جبريل وميكائيل- به الشجرة (فأدخلني دارا لم أر قط أحسن منها)، فلما سألهما عنها قالا له: تلك الجنة دار عامة المؤمنين[1] الحديث. وكيف يخبر الله عنها بأنها الحسنى وغيرها أحسن منها، ويكون الرسول إذ ذاك انتقلت روحه إلى أدنى من قبره؟ كما يحصل ذلك الانتقال بجسمه وروحه حينما ينتقل الكل لدار السلام وجنة الفردوس، ويكون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين يسأل الوسيلة سائلا ما هو أدنى مما كان فيه بروحه وجسده، ثم خالفه فيه الجسد وحده، وأطم من هذا قوله: بل الظاهر المتعين تفضيل الأرض جميعها على السماء الخ.

لرد هذه النصوص الصريحة في أفضلية الجنة، ولكون الله سبحانه يدعونا إلى ما هو أدنى، ويخبرنا بأنه الأرفع والأسنى تعالى الله عن ذلك، ويكون أهل الأرض السائلون الله الجنة والراحلون إليها مستبدلين الذي هو أدنى بالذي هو خير.

الثامن عشر: قوله: قال: النووي: إن الجمهور إلخ.

يقال عليه: ليت الإجماع ادعى في هذا لا في عكسه، وقول الجمهور هذا هو الحق الذي لا حق بعده، ولا يغرنك في ذلك كثرة الأفكار والأوهام والأجوبة الباردة.

---

(١) هذا الحديث رواه الشيخ بالمعنى دون النص؛ والحديث بنصه هو: (فصعدا بي في الشجرة، وأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال وشيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل، فيها رجال وشيوخ وشباب...، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين). الحديث رواه البخاري، باب: ما قيل في أولاد المشركين (١٠٠/٢).

التاسع عشر: قوله: أي ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة.

يقال عليه: أي هنا تحتمل أنها من كلام النووي، وتحتمل أنها من كلام الناقل عنه، وهذا أصوب؛ لأنه تقدم عن النووي أنه قال: لم أر نقلا لأصحابنا في ذلك، ولم يذكر هذا الاستثناء هنالك، ولو سلمنا أنه من كلامه كان معارضا بما عورض به غيره.

العشرون: ما نقله الرهوني عن الأبي عن ابن رشد: من الحجج على فضل مكة على المدينة صحيح، ويزاد على ما قدمناه في بعضها حيث لم يستحضره هنالك، أقول: وما استثنى البقعة هو ولا الأبي ولا شيخه ابن عرفة كما ترى، وعليه فأين الاجتماع؟ ويؤيده ما تقدم عن ابن عبد/[٨١] البر وغيره.

الواحد والعشرون: قول الرهوني في بعض ما تفضل به المدينة مكة وهو مدفن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إلى أن قال: وهو أشرف من الكعبة ومن جميع المخلوقات إلخ.

يقال عليه: هذا تصريح منه كغيره بأن البقعة أفضل من العرش والجنة والملائكة والأنبياء والمرسلين وكل خلق الله، بل ربما عموم قوله: يدخل في ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويالها من دعوى لا تكاد توجد لها بنية، ولا يكاد ينقضي العجب من قولها وقائلها.

الثاني والعشرون: قوله: وقد انعقد الإجماع على أن الروضة المشرفة أشرف بقاع الأرض الخ.

يقال عليه بعدما قيل فيه: أولا: يلزم من قوله هذا أن يكون الينبوع والجحفة[1] وكل ما قارب المدينة أفضل من بقاع الأرض جميعا؛ من السماء والجنة وكل المخلوقات، ولو تأمله بإنصاف لما فاه بما لم يحط بعلمه.

الثالث والعشرون: قوله: وقد انعقد الإجماع.

يقال عليه: أي إجماع -يعني هو والسبكي وعياض وغيرهم- مع أن

---

(١) الينبوع: مفردها: ينبع: هو حصن به نخيل وماء وزروع.
انظر: معجم البلدان ٤٥٠/٥.
والجحفة: ميقات أهل الشام في الإحرام، واسمها مَهيعة، سميت جُحُفة؛ لأن السيل اجتحف أهلها.
انظر: كتاب الجبال والأمكنة والمياه ٨١/١.

الإجماع المتفق عليه الإجماع في القطعيات، أو إجماع الصحابة في التوقفيات، وما سواهما في الإجماع في المظنونات لا يثبت عند المحققين، فضلا عن أن يكون حجة عندهم، قالوا: لو سلم ثبوته لما كان معصوما من الخطأ، ومن يقع منه الخطأ ليكون إجماعه حجة، والخطأ ليس بضلالة، فلا ينافي قوله عليه السلام: (إن أمتي لا تجتمع على ضلالة)[١]، وفي إجماع هؤلاء وجعله حجة يقول الإمام أحمد: من ادعى الإجماع فقد كذب، لعل الناس قد اختلفوا، هذه دعوى بشر المريسي والأصم من المعتزلة، ولكن لا يقول: لا أعلم الناس اختلفوا أو لم يبلغه، قال بعضهم: نقل هذا في المسودة، ونقل المروزي عند أنه قال: كيف يجوز للرجل أن يقول: أجمعوا، إذا سمعتهم يقولون: أجمعوا فاتهمهم، لو قال: إني لا أعلم مخالفا كان أحسن، قال في المسودة: وكذلك نقل أبو طالب عنه أنه قال: هذا كذب ما علمه أن الناس مجتمعون، ولكن يقول: لا أعلم فيه اختلافا، فهو أحسن من قوله: إجماع الناس، وكذلك نقل عنه أبو الحارث: لا ينبغي لأحد أن يدعي الإجماع، لعل الناس اختلفوا[٢]. انتهى/[٨٢].

وقال أبو محمد بن حزم[٣] بعد كلام في الإجماع: ونحن إن شاء الله مبينون كيفية الإجماع بيانا ظاهرا يشهد له الحس والضرورة وبالله

---

(١) رواه ابن ماجة، باب: السواد الأعظم (١٣٠٣/٢)، رواه عبد بن حميد في مسنده، مسند أنس بن مالك -رضي الله عنه- (٣٦٧/١)، قال العلامة الألباني: ضعيف. انظر: السلسة الضعيفة (٤٣٥/٦).

(٢) المسودة في أصول الفقه ٣١٥/١.

(٣) أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم "الحزْمية". ولد بقرطبة سنة:٣٨٤هـ،انتقد كثيرا من العلماء والفقهاء، فتمالأوا على بغضه، وأجمعوا على تضليله وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل الى بادية ليلة (من بلاد الأندلس) فتوفي فيها سنة:٤٥٦هـ، أشهر مصنفاته: "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، وله " المحلى" في الفقه، و" جمهرة الأنساب "، و " الناسخ والمنسوخ"، و "حجة الوداع" غير كامل، و " ديوان شعر ".
انظر: الأعلام للزركلي٢٥٤/٤.

التوفيق، فنقول: إن الإجماع الذي هو الإجماع المتيقن ولا إجماع غيره يصح تفسيره ولا ادعاؤه بالدعوى، لكن ينقسم إلى قسمين: أحدهما: كل ما لا يشك فيه أحد من أهل الإسلام في أن من لم يقل به فليس مسلما، كشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وكوجوب الصلاة الخمس، وكصوم شهر رمضان، وكتحريم الميتة والدم ولحرم الخنزير، والإقرار بالقرآن، وجملة الزكاة، فهذه أمور من بلغته فلم يقر بها فليس مسلما، فإذ ذلك كذلك، فكل من قال بها فهو مسلم، فقد صح أنها إجماع من أهل الإسلام.

والقسم الثاني: شيء شهده جميع الصحابة من فعل رسول الله، وتيقن أنه عرفه كل من غاب عنه -عليه السلام- منهم كفعله في خيبر، إذ أعطاها يهود بنصف ما يخرج منها من زرع، أو ثم يخرجهم المسلمون إذا شاؤوا، فهذا لاشك عند كل أحد في أنه لم يبق مسلم في المدينة إلا شهد الأمر أو وصل إليه، يقع في ذلك الجماعة من النساء والصبيان والضعفاء، ولم يبق بمكة والبلاد النائية مسلم إلا عرفه وتسربه على أن هذا القسم من الإجماع قد خالفه قوم بعد عصر الصحابة، وهما منهم وقصدا إلى الخير وخطأ باجتهادهم فهذان قسمان للإجماع لا سبيل إلى أن يكون الإجماع خارجا عنهما ولا أن يعرف إجماع بغير نقل صحيح إليهما ولا يمكن أحدا إنكارهما وما عداهما فدعوى كاذبة وبالله التوفيق، ومن ادعى أنه يعرف إجماعا خارجا من هاذين النوعين فقد كذب على جميع أهل الإسلام ونعوذ بالله العظيم من مثل هذا(١)، انتهى.

أقول: وتقييد كلام الإمام أحمد بكلام أبي محمد هذا أحسن ما يقيده به، كما نقول: دعوى إجماع علماء الأمة المسلمة الإنسانية في زماننا هذا الذي تقاربت فيه الديار، وتلاقت فيه العلماء، وطبقت كتبهم الأرض من إعصار ما يدعى فضلا عن دعوى ذلك في الأزمنة الغابرة التي تباعدت فيها الأقطار، وانقطع فيها غالبا لقي العلماء لبعضهم بعضا، فضلا عن دعوى إجماع الأمة الإسلامية الإنسية والجنية، فإنه لا يمكن عادة/[٨٣] قبل اليوم وحتى اليوم؛ إذ لا يحيط أحد بما لعلماء الإنس من المؤمنين فيما سبيله الظن، فضلا عن الإحاطة بما عند علماء الجن، وعليه فالإجماع الظني الذي فرعه إجماع هؤلاء قد علمت ما فيه مع

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١٤٩/٤.

دليله المظنون لأهله، مع عدم مخالفة غيرهم لهم، فكيف بإجماع هؤلاء الذي لم يستند على ظن لم يخالف؟ بل على استنباط قد يخالف المقطوع به فضلا عن غيره؟ فتأمل ذلك، ترى ما للقوم في هذا المقام، والله الموفق للصواب.

ثم لنرجع إلى كلام الباجوري فنقول عليه قوله: وحاصل المعنى لا طيب يساوي التراب الذي جمع الخ.

يقال عليه أولا: هذا العموم في كلامه وكلام الأزهري يقتضي دخول طيب النبي -عليه السلام- وطيب الجنة، وهو معارض بما سيأتي.

ثانيا: قوله: يساوي التراب الذي جمع الخ.

يقال عليه: ظاهر العبارة يقتضي نفي مساواة الطيب المذكور للتراب المذكور، وهذا لا يحتاج إلى النص عليه لما بينهما من التباين؛ إذ التراب غير الطيب، فلا شك وإن كان عنده على تقدير مضاف، أي: طيب التراب، كان التصريح به أولى إن لم يكن أوجب مما يوقع في الالتباس، ويبين أن المراد المضاف المذكور قوله الآتي: ومعلوم أن طيب التراب إنما سرى له من طيبه -صلى الله عليه وسلم- الخ.

ثالثا: قوله: إنما سرى له من طيبه -صلى الله عليه وسلم- الخ.

يقال عليه: هذا مناف لما تقدم من أن عموم العبارة في النفي تشمل طيب النبي -صلى الله عليه وسلم- وغيره؛ لأن الوصف العارض للموصوف المستعار من غيره لا يقوي قوته فضلا عن أن يعوقه، اللّهم إلا أن يكون لدليل لا يرد، وهنا لا دليل كذلك على ثبوت هذا الطيب لذلك التراب، وإنما الثابت له الطيوبة في نفسه كما تقدم، وفرق بينها وبين الطيب العارض له، وقد يرافق الشيءُ الشيءَ أو يلاصقه ولا يثبت لأحدهما وصف الآخر بذلك الانضمام، فقد كانت قبور المشركين في المحل الذي بني فيه مسجد رسول الله وهو طيب، كما دفنوا بمكة المشرفة ولم ينلهم من ذلك شرف، وقد تزوج بعض الأنبياء -عليهم السلام- بالخائنات ولم يصبهم من خيانتهن شيء[1]، وقد أكلت السباع

---

(١) الخيانة هنا في الدين لا في العرض، قال ابن كثير -رحمه الله-: "﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: في الإيمان، لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدَّقاهما في الرسالة.

=

والطيور بعض أجسام الصالحين ولم يصبها من ذلك نفحة صلاح، وقد يصيب/[٨٤] الرفيق من رفيقه شيئا حسنا ولكن لا يساويه في ذلك، فأزواج الأنبياء -عليهم السلام- وإن نلن شرفا من صحبتهم لم يساوينهم في ذلك الشرف، وكذا لو فرضنا أن نبية عليها السلام كمريم[1] تزوجها مؤمن غير نبي، لتشرف برفقتها، ولكن لا يساويها في نبوتها وكمالها، وقد يساويه ويفوقه، كالتلميذ يتعلم من الشيخ حتى يكون مثله أو فوقه في العلم، ولكن على كل هذه المحصولات دلائل، وعليه فإن الدليل على ثبوت الطيب لذلك التراب، ثم على مساواته للمقتبس منه، ثم على مجاوزته في ذلك الدال عليها عموم العبارة، قيل: وبالجملة فكل ما ذكر من تفضيل لا يقع إلا بالدليل.

رابعا: قوله عن أنس رضي الله عنه: ما شممت عنبرا ولا مسكا الخ.

يقال عليه: هذه العبارة وإن كانت عامة النفي للشم فمفيدة بما شمه أنس، أو يمكن شمه له في حياته، فلا تصدق على عطر الجنة ومسكها، وإلا كان ما في الدنيا من الطيب أرفع من طيبها وهذا مخالف النصوص.

خامسا: قوله: ثم إن أطيبية ذلك التراب يحتمل الخ.

يقال عليه: فيه بحث وهو إذا كان من طيب رسول الله فقد علم لله سبحانه ولا لغيره، وإن لم يكن منه فمن أعلمه بأن هناك طيبا على

=

انظر: تفسير ابن كثير ١٧٠/٨.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: وَأَبُو مُحَمَّدٍ مَعَ كَثْرَةِ عِلْمِهِ وَتَبَحُّرِهِ وَمَا يَأْتِي بِهِ مِنْ الْفَوَائِدِ الْعَظِيمَةِ: لَهُ مِنْ الْأَقْوَالِ الْمُنْكَرَةِ الشَّاذَّةِ مَا يَعْجَبُ مِنْهُ كَمَا يَعْجَبُ مِمَّا يَأْتِي بِهِ مِنْ الْأَقْوَالِ الْحَسَنَةِ الْفَائِقَةِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ: إنَّ مَرْيَمَ نَبِيَّةٌ، وَإِنَّ آسِيَةَ نَبِيَّةٌ، وَإِنَّ أُمَّ مُوسَى نَبِيَّةٌ. وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ وَالْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَأَبُو الْمَعَالِي وَغَيْرُهُمْ: الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي النِّسَاءِ نَبِيَّةٌ، وَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ دَلَّا عَلَى ذَلِكَ: كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ ﴾ [المائدة: ٧٥]، ذَكَرَ أَنَّ غَايَةَ مَا انْتَهَتْ إلَيْهِ أُمُّهُ: الصديقيةُ وَهَذَا مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

انظر: مجموع الفتاوى ٣٩٦/٤.

الصفة المتقدمة لا يعلمه إلا الله، وليس بنبي حتى يوحى إليه بذلك.
سادسا: قوله: ويحتمل أنه باعتبار ما عند غيره الخ.
يقال عليه: لا يسلم أن الروائح وغيرها لا يعلمها إلا المقربون، بل قد يمنح الله علمها لغيرهم من الفجار والمؤمنين، بل والحيوانات، فلقد وقع الزلزال في زمننا ونحن نكتب سطور هذا الكتاب في مدينة وهي أكادير[١] بسوس، جعل عاليها سافلها، وأتى على جل ما فيها إن لم نقل كله، ولقد جاءت الأخبار المشهورة بأن بقرب الزلزال بساعات جعلت كلاب تلك المدينة أو بعضها تنبح على أربابها وتسير هاربة من بين أيديهم، كأنها تريد الفرار من المدينة، ثم تعود إليهم بتلك الصفة، فما شعروا بشيء حتى أخذوا، وربما كان من الكلاب فيما نظن بلوغه إلينا قد تفلت من تلك الكارثة بما ألهمه الله، حتى فر بنفسه طالبا النجاة.
سابعا: ما يقال: إذا لم يعلم بذلك إلا من كشف له/[٨٥] الغطاء من الأولياء ومن أعلمكم ومن تبعكم إذا بذلك؟
فإن قلتم: أنفسكم لاتصافكم بذلك، أو ما تصف به من زمانكم. قلنا: ليست دعاويكم بحجة على أقوالكم حتى تدعموها ببينة.
ثامنا: لم لا يكون الصحابة ممن يشاهد ذلك؟ والوصف بالمغربية والولاية أولى بهم من غيرهم، وإذا شهدوا ذلك انتشر عنهم بكل من رواءهم، وحينئذ لا محل للتردد ولا الإلتباس.
تاسعا: قوله: لأن أحوال القبر الخ.
يقال عليه: معلوم أن أحوال القبر عجيبة محيرة للعقول، ولكن ليست بمستحيلة، ولا تقصر مشاهدة عجائبها على المغربين وغيرهم، بل ربما شهدت لضعاف العقول أكثر من أقويائها، فلقد حدثنا من قوم وبالأخص من والدنا -قدس الله روحه في الجنة- بعجائب وغرائب وقعت لهم وله

---

(١) أكادير أو أقادير: مدينة من مدينتي تِلمسان -بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة-، وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة. والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب، واسمها تافرزت، فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس. واسم القديمة: أقادير، يسكنها الرعية. فهما كالفسطاط والقاهرة من أرض مصر. ينظر: معجم البلدان ٤٤/٢.

مع أصحاب القبور والموتى لم يمهلنا الوقت لذكرها هاهنا[1]، وبهذا تعلم ما الصفة بهذه الجملة بعد.

عاشرا: كون ذلك لا يعلمه إلا من ذكر، ينافي كون ذلك مكتسبا من طيب رسول الله الحال فيه، كما صرح به من قبل.

الحادي عشر: قوله: فاندفع ما يقال الخ.

بحث: يقال عليه: من تأمل وأنصف علم أنه لم يندفع ذلك.

الثاني عشر: قوله: وعدم الإدراك لا يدل على انتفاء المدرك، ألا ترى أن المذكور الخ.

(بحث) يقال عليه: مسلم عدم الانتفاء بعدم الإدراك، ولكن ما يصح إدراكه لوجود شرطه وانتفاء مانعه يلزم من عدم إدراكه عدمه، وقوة الشم لم يعترها من القائمين بذلك المحل، والواردين عليه قديما وحديثا آفات كالزكام، فلم لا يدل عدم إدراكهم على عدم المدرك والزكام بمعنى القصور عن درجة المقربين والصالحين آفات للقوة المدركة للمعاني والحكم لا للمشمومات الحسية، ولو حصل الزكام المناسب لقوة الشم لواحد لما كان للكل ولا دائما حتى يكون علة لعدم إدراك الكل.

الثالث عشر: قوله: وقد قال عليه السلام: (القبر أول منزل من منازل الآخرة فإما روضة من رياض الجنة)[2] الخ.

(بحث) يقال عليه: صدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ذلك، كما صدق في قوله: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)[3]،

---

(١) أن ما يجري للموتى في قبورهم من عذاب دلت عليه أدلة شرعية، كحديث: (فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه). رواه مسلم في صحيحه، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار (٤/٢٧٦٧/ ٢١٩٩). فحكاية مثل هذه القصص إنما هي من باب الإستئناس لا التقرير.

(٢) سبق تخريجه ص١٩٢.

(٣) سبق تخريجه ص١٩٥.

كما صدق في قوله: (إذا مررتم برياض الجنة/[٨٦] فارتعوا)[1]، وهي كل محل يعبد فيه الله ويتعلم فيه توحيده وما يجب له ولغيره وهو شامل لكل البقاع الدنيوية المتصفة بذلك كما أن القبر يشمل ذلك.

الرابع عشر: قوله: ولاشك أن قبره روضة الخ.

(بحث) يقال عليه: كما لاشك أن ما قال فيه ذلك كذلك، ولكن اختلف الناس في معنى (من الجنة)، فقيل: ذلك جنة الآن وهو مردود؛ لأن أوصاف الجنة العالية التي لا يحصيها إلا خالقها لا تتصف بها هذه الأمكنة.

وقيل: إنها تنقل إلى الجنة، وهذا أيضا يقال عليه: قد جاء في كتاب الله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [سورة إبراهيم:الآية٤٨]، وإذا بدلت لم يبق للعبد أنقل، وإذا قيل باستثنائه، احتيج إلى دليل في شدة القوة يخصص ذلك التبديل بهذه الأماكن، كما يقال: الجنة قد كملت بأرضها وزخارفها وبساتينها وبما فيها، بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وما كان هكذا كيف يحتاج إلى أن يكمل ببقع أو بقعة من الأرض إلا أن يكون على ذلك دليل لا يرد، فعلى الرأس والعين وأين هو؟ والصحيح الذي لا يكاد يشك فيه أن ذلك على سبيل المجاز[2]، بمعنى أن عمارها يصيرون بسبب عمارتها إلى الجنة العالية، وبهذا يرتفع الإشكال، ويدخل في عمومه كل رياض من رياض الدنيا، ويكون قوله عليه السلام إذا لم يحمل على منبر مستقبل، (ومنبري على حوضي)[3] معناه أنه يصير بالحافين به، والمستمعين من خطيبه

---

(١) رواه أحمد في المسند، مسند أنس بن مالك -رضي الله عنه- (٤٩٨/١٩)، ورواه الترمذي في سننه (٤١٢/٥/٣٥٠٩)، وكلا الروايتين ضعفهما الإمام الألباني في السلسة الضعيفة (٢٩٠/٣-٢٣٣/٦).

(٢) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: "وبالغ في إيضاح منع المجاز في القرآن الشيخ أبو العباس ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم -رحمهما الله تعالى-؛ بل أوضحا منعه في اللغة أصلا، والذي ندين الله به، ويلزم قبوله كل مصنف محقق أنه لا يجوز إطلاق المجاز في القرآن مطلقًا".
انظر: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز ٦/١.

(٣) سبق تخريجه ص١٩٢.

والعاكفين لعبادة ربهم عنده إلى الحوض الذي من شرب منه لم يظمأ أبدا.

كما أن قوله عليه السلام: (ما بين بيتي ومنبري)، يشمل ظاهرا وتعليلا كل مسجد القديم وما زيد فيه، كما يشمل جميع بيوت أزواجه بحمل بيت المفرد على عمومه بالإضافة إليه، وهو الموافق للتعليل، وهي عبادة الله عز وجل التي عمت كل المساجد كما عمت كل البيوت فتأمل ذلك.

وقوله: بل أفضلها الخ.

(بحث) يقال عليه: كل ما تقدم من الأبحاث التي تناسب البحث فيه، كما يقال عليه: لم يصح دليل قط بأن في الدنيا حتى من البقاع المشرفة ما هو أفضل من الجنة أو بقاعها، بل يلزم على ذلك أن روح الرسول -عليه السلام- المنتقلة إلى الفردوس، والوسيلة إنما انتقلت إلى جنة أدنى من جنة القبر/[٨٧] والجسد، بل إذا انتقل الجسد معها لم ينتقلا إلا على أدنى مما خلفه وراءهما، وهذا لا يحمل قوله بعاقل، فضلا عن عالم، كما لا ينافي ما قلناه طيوبة القبر ولا ما فيه.

الخامس عشر: قوله: وإذا تقرر الخ.

(بحث) يقال عليه: لاشك في أنه إذا كان القبر روضة من رياض الجنة لكل مؤمن فضلا عن رسول الله، جاء ما هو مروي عن رسول الله من أنه يفتح لصاحب القبر في قبره فتحا يدخل عليه منه طيب الجنة وروحها وريحانها، وعليه فإذا استدل على أطيبية ذلك التراب على كل طيب ولو من الجنة، كان في ذلك خلف؛ إذ الطيب الداخل إلى القبر يحتاج إلى دليل بأنه خلال التراب واتصف به، وإذا ثبت ذلك احتيج إلى دليل يجعله في التراب أطيب من نفسه فضلا عن أطيبيته من نفسه، فضلا عن أطيبيته من أصله، مع أنه يحتمل المجاز وأن الله خلق روحا وريحانا يشبه ما في الجنة، فأدخله على صاحب القبر، ولا يكون هذا كما في الجنة، مع أنه لو سلم خروجه من الجنة لتغير عن صفته التي يكون بها في الجنة؛ إذ كل ما خرج منها إلى الدنيا لا يبقى على حاله، وقد قالوا: ما في الدنيا مما معناه في الجنة ليس له من ذلك إلا الأسماء على أن طيب الجنة يشم من مسيرة خمسمائة عام ولم يقيد بشام خاص، وهذا الطيب عندكم قلتم: تارة لا يعلمه إلا الله، وتارة قلتم: إلا المقربون من الأولياء.

السادس عشر: كون الطيب هو الداخل إلى الروضة من الجنة، أو

مما يريد الله، مناف لما تقدم لكم من أن المؤثر في التراب هو جسد رسول الله إلا أن تزعموا الاشتراك في ذلك فتحتاجون إلى الدليل عليه.

السابع عشر: وبما قررناه تعلم ما في قوله الذي ختم به: في أنه لا طيب يعدله.

الثامن عشر: هاهنا إشكالان ينبني أحدهما على الآخر؛ أما الأول فقوله عليه السلام: (ما بين قبري ومنبري)[1]، يقال عليه: علمه عليه السلام بأن قبره في بيته، وإخباره به في حياته ينافي ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [سورة لقمان:الآية٣٤]، وهو من الخمس التي ذكر القرآن والرسول أنها لا تعلم إلا الله، ولم يجيء دليل لا يرد في أنها على ذلك الحال إلى يوم القيامة، وإذا أجيب بأن الله علمه هذه الجزئية من تلك الخمس، فمع تسليمه يترتب عليه/[٨٨] الإشكال الثاني، وهو ما يقال: لو كان ذلك معلوما عند رسول الله لما تردد أصحابه -وهم الجم الغفير- يوم جنازته عليه السلام في دفنه، وفي أي مكان يدفن، ولعلموا من علمه وعلمهم بعلمه ذلك أنه يدفن في بيته، ولما احتاجوا إلى استفتاء أبي بكر أين يدفن؟ فقال: في الموضع الذي قبضه الله فيه، فإن الله لم يقبض روح نبي إلا في مكان طيب، ولما احتاج أبو بكر إلى هذا الجواب، بل يقول: في بيته كما علمناه منه وعلمتموه، ولم يحضرني الآن حل لهاذين الإشكالين إلا بأن رواية (قبري) ضعيفة لا تقوم لحجة (بيتي) ولا لخمس لا يعلمهن إلا الله، أو هي من تصرفات الراوي، حيث جاءت الروايات المشهورة (بيتي)، ولكن لما كانت الروايات بعد وفاته والقبر ببيته أضاف هذا الراوي القبر على البيت والبيت على القبر.

ثم قال الناظم بعد ما تقدم:

أبان مولده عن طيب عنصره ... يا طيب مبتدء منه ومختتم[2]

إلى آخر الأبيات الدالة على ما وقع عند مولده وبعض سيرته بعده.

ونحن نقول عليه على سبيل الإجمال: قد قسمنا ما يتعلق بذلك في

---

(١) سبق تخريجه ص١٩٢.

(٢) انظر: شرح البردة ص١١٠.

كتبنا[١] مع الحجوجي[٢] وغيره وغيره إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما دل الدليل الصحيح على وجوده فمسلم تسليم الرضا والمحبة وقبول الحجة، وما دل الدليل[٣] على نفي صحته فمردود بذلك الدليل وغير مقبول ولا مسلم، وما لم يدل دليل[٤] على صحته ولا على نفيه ففي عهدة قائله، وهذا التقسيم يجزأ منه ما أمكن جريانه هنا، والسلام.

ثم قال الناظم:

أقسمت بالقمر المنشق أن لـه من قبله نسمة مبرورة القسم[٥]

قال الباجوري على هذا البيت ما معناه: أنه أقسم بالقمر، والشرع ناه عن القسم بغير الله، وأجاب بأن مراده برب القمر إلى آخره[٦].

(بحث) وهذا يقال عليه: هذا المراد لا يدفع الإيراد؛ إذ لو سلم كل ظاهر غير مسلم بدعوى التأويل والحذف مثلا، وأن ذلك هو المراد من قائله لما توجه الاعتراض على شيء بتلك الصفة؛ إذ لكل قائل ذلك أو مجيب عنه أن يدعي تلك الدعوى كما ادعاها بعضهم في قول الحلاج[٧]:

---

(١) وهو: المختار عند الإعلام في الحكم على السيكرو بالحرام (مخطوط).

(٢) محمد بن محمد الحجوجي الإدريسي الحسني الفاسي: مؤرخ رجال الطريقة التجانية، وشيخها في عصره. من أشراف فاس. ولد سنة:١-٢٩٧هـ، وتعلم بها. وانتقل إلى دمنات (من قرى الأطلس) فانقطع في زاوية التجانية بها إلى أن توفي سنة:١٣٧٠هـ.
انظر: الأعلام للزركلي ٨٤/٧.

(٣) هذا القسم الثاني.

(٤) هذا القسم الثالث.

(٥) انظر: شرح البردة ص١١٣.

(٦) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٤٥.

(٧) هو الحسين بن منصورالحلّاج البيضاوي ثم الواسطي أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط، وصحب الجنيد، والنوري، وغيرهما، وكان من أهل الشطح، وقد اختلف فيه الناس ما بين مكفّر له، ومعتقدٍ ولايتَه، قتل سنة تسع وثلثمائة.
انظر: طبقات الصوفية، للمناوي ٦٨/٢-٧٦.

أنا الله، أي: معبود، بجعل الكلام جملتين ودعوى الآخر في قول فرعون/[٨٩]: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة النازعات:الآية٢٤]، أي: عبد ربكم بحذف المضاف، ونحن وإن حسنا الظن بمثل الناظم بأنه لا يقصد إلا ذلك، ولكن أين القصد من اللفظ، وبالألفاظ تدفع الالتباسات والأوهام، كما أن قول الباجوري وإن جرت عليه عادة الأدباء، يقال عليه: عادة الأدباء وضيف النظم لا يجيز المنهي عنه شرعا، وقال الأزهري: "إن للقمر المنشق شبها بقلبه صلى الله عليه وسلم في انشقاق كل منهما مرتين إلى آخره"[1].

(بحث) يقال عليه: إخباره بأن كلا منهما انشق مرتين لا يظهر؛ لأن القمر إنما انشق مرة والقلب الشريف انشق أربعا، وعلى تقدير أن الأزهري راعى أن المرتين هما الصحيحتان لقيل عليه: ينبغي له هذا التقييد؛ لإزالة الالتباس، ويبقى عليه الاعتراض على المرتين في القمر، إلا أن يقال: المراد بهما الفلقتان، فيقال عليه: تقدم أن المراد لا يدفع الإيراد، كما أن إزالة الالتباس بواضح العبارة كما يقال في إتمام الجواب: بأنه أراد المرتين المضافتين إلى القلب الشريف الفلقتين، كما أراد بهما ذلك في القمر أن إطلاق المرتين على الفلقتين في الموضعين وفي غيرهما ليس بمعروف ولا مناسب هنا.

ثم قال الناظم بعد أبيات:

ما سامني الدهر ضيما واستجرت به ... إلا ونلت جوارا منه لم يضم
ولا التمست غنى الدارين من يده ... إلا استلمت الندا من خير مستلم[2]

(شرح) قال الباجوري بعد ذكر معنى البيت الأول من غير مخالفة للنظم: "قوله: ما ضامني هو والذي بعده فائدتهما أن من كان مسجونا أو خائفا من سلطان، وداوم على قرائتهما سبع عشر مرة بعد كل صلاة، فإن الله يفرج عنه همه، ويجعل له من أمره مخرجا"[3].

وقال في معنى البيت الثاني: "قوله: غنى الدارين، أي: داري الدنيا

---

(١) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٤٥.

(٢) انظر: شرح البردة ص١١٤.

(٣) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٤٧.

والآخرة، والمعنى في الأولى بالكفاية، وفي الثانية بالسلامة من العذاب.
وقوله: من يده، أي: من نعمته، فالمراد من اليد هنا النعمة، وقيل: المراد منها الذات الكريمة"[1]، إلى أن قال: "وإنما كان صلى الله عليه وسلم خير مستلم منه؛ لأنه لا يرد سائله وبيده خير الدنيا والآخرة.
فإن قيل: إخباره عن نيل غنى الدنيا/[٩٠] منه صلى الله عليه وسلم صحيح؛ لأنه مشاهد في الحس بخلاف إخباره عن نيل غنى الآخرة منه صلى الله عليه وسلم، فإنه غير مشاهد في الحس، فكيف يصح إخباره عنه؟
أجيب: بأنه مشاهد بقوة يقين الإيمان"[2]. انتهى.
وقال الأزهري مختصرا للمعنى: "ومعنى البيتين: ما نالني ضيم واستجرت بالنبي -صلى الله عليه وسلم- إلا كنت نائلا جوارا محترما، ولا طلبت من فضله غنى في الدنيا بالكفاية، وفي الآخرة بالسلامة، إلا كنت آخذا العطاء من غير مطل منه، فإنه لا يرد سائله"[3]. انتهى.
ما قاله شارحاه (تعقيب)، ونحن نقول عليه وعليهما: أولا: الخاصية المذكورة للباجوري يقال عليها ما قيل في أخواتها المتقدمة، وقد أكثر منها الشيخ الباجوري دون غيره كالأزهري، ولعله لم يطلع على هذا الكنز إلا هو، والله اعلم.
وثانيا: ما يقال على معنى البيت الأول: أن أصحاب رسول الله ومن كانوا معه كانوا يستجيرونه ويستنصرونه على ما ينزل بهم من كيد الأعداء وظلم الظلمة، فكان يجيرهم وينصرهم على قدر طاقته، وما يمكنه من ذلك فيما جعل الله له من ذلك، أما ما يختص به الله سبحانه فليس لهم في ذلك إلا طلب الدعاء لهم من الله في تفريج ذلك ودفعه عنها، فإن شاء فعل وإن شاء ترك، والكل لحكمة، لا كل ما سألوه منه يقع، لا فيما جعل الله له في يده ولا في غيره؛ إذ قد لا يتمكن من بعض الأول، وقد لا يريد الله في الثاني لحكمة كما تقدم، ويوضح ذلك أنهم قد نزلت بهم الآفات والمصائب من الأعداء والدهر وبالخاصة رسول الله،

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٤٨.
(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٤٨.
(٣) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٤٨.

وقد قتلوا وخرجوا من ديارهم وأموالهم، ووقع بهم ما ملئت به الدفاتير من ذلك، وعليه فإن كانوا سألوا دفع ذلك من رسول الله ولم يدفع عنهم؛ بل ولا عنه، فقد دل ذلك على أن البوصيري -رحمه الله- حظي بالقبول والرضى، وقبول الدعاء والإجابة، بما أراد من كشف كل ضيم، وحصول كل جوار وحامية قاهرة منهم، وهذا من تأمله استحيا أن يسمعه فضلا عن أن يقول به، وإن لم يسألوه ذلك لجهلهم بصفة جواره القاهر المحيط، الذائد كل ملمة كان الشيخ أعلم منهم بذلك، وفيه ما فيه/[٩١]، وإن كان زهدا منهم في ذلك، فلقد أعان الأكثر منهم إن لم نقل كلهم على الإلقاء بنفسه إلى التهلكة، وعلى قتله وتشتيت شمله وحلول الضيم به وبعشيرته، وذلك لا يجوز ما أمكن، كان الشيخ أطوع منهم لله ولرسوله، حيث لم يزهد فيما أوجب عليه، أو استحب منه على أن رسول الله نفسه لم يخل حاله من كيد الظالمين وضيم الدهر حتى لقي ربه، فلعله يقدم على نفسه وعلى أصحابه جلالة الشيخ البوصيري.

ويتساءل السائلون لم ولم؟

ثانيا: ما يقال على البيت الثاني: إن الله قد أعطى لرسوله ما أراد من الأرزاق الدنيوية، قلّت أو كثرت في نفسها، فكان ينفقها في سبيله على نفسه وأهله، وكل من احتاج إليه سائلا أو غير سائل بقدر ما أعطي وطاقته، وفضل ما بقي على من قدمه الله فيها، وكان لا يخيب محتاجا، ولا يرد سائلا، وقد لا يعطي ويرد السائل؛ لعدم تمكنه من ذلك، وقد رد الأشعريين حين سألوه أن يحملهم، فقال: (والله لا أحملكم) ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [سورة التوبة: الآية٩٢]، ثم أعطاهم بعد حينما يعطى، وقال للذي سأله كما في الترمذي: (ليس عندي شيء ولكن اتبع علي، فإذا جاءني شيء قضيته)[١]، وقال لأبي هريرة حين شكى إليه العزوبة: (جف القلم بما أنت لاق فاختص أو در على ذلك)[٢]، إلى غير هذا مما يطول بنا ذكره.

---

(١) رواه الترمذي في الشمائل المحمدية (٢٠١/١). قال العلامة الألباني-رحمه الله-: ضعيف مختصر الشمائل (١٨٥/١).

(٢) رواه البخاري، باب: ما يكره من التبتل والخصاء (٤/٧).

كما أنه كان أسخى الناس، فكان يعطي المائة من الإبل، والوادي من الغنم حينما يتيسر له ذلك، ويعطي بإذنه التمر والتمرتين وشقها، فقد أعطت عائشة -رضي الله عنها- للمرأة ولم تجد إلا ذلك، تمرة للمرأة فقسمتها بين بنتيها[1] كما في الصحيح، وقال عليه السلام: (اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة)[2]، ورد من سأله ما لا يجوز سؤاله كمسيلمة الكذاب وقريش حين سألوه التناصف في العبادة والنبوة، إلى غير ذلك مما يطول بنا ذكره.

وأما ما لم يجعله الله في يديه بتمامه كغنى الدارين، فكانوا يسألون منه الدعاء لتيسر ذلك لا غير، أما أسبابهما فكان يدلهم عليها، ويبين لهم ما يوصلهم إليهما، ولم يثبت أن أحدا من أهله أو أصحابه أو هو بنفسه عليه السلام حصل له/[٩٢] غنى الدارين بمجرد دعاء رسول الله، لا بعمل لهما كما تقتضيه مقالة الناظم من حصول ذلك لنفسه بمجرد استيجاره به والتماسه ذلك منه.

ثالثا: هذا كله في حياته عليه السلام التي لم يدركها الناظم، والتي يجوز فيها سؤاله النصر والجوار وغنى الدارين بالمعنى المتقدم، وأما بعد وفاته فسؤال رسول الله إن كان عما في يده ويجوز في حياته فهاهنا لا يمكن عادة؛ لأنه انتقل إلى دار الرحمة، والسنة أن لا تسأل الدعاء ولا الشفاعة بها إلا من حي، وإلا ما ترك الصحابة سؤال رسول الله واستبدلوا به سؤال عمه العباس يوم الاستسقاء بعد وفاته، وهكذا جرت سنتهم.

نعم، على مذهب أهل البدع المخففين لها اسأل ما شئت، من حي أو

---

(١) عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ)، رواه مسلم باب: فضل الإحسان إلى البنات (٢٠٢٧/٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري، باب: طيب الكلام (١١/٨)، وباب: صفة الجنة والنار (١١٥/٨)، ورواه مسلم، بَابُ: الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ (٧٠٤/٢).

ميت، أو حيوان أو جماد، وقد يزاد لهذا توضيح عند قول الناظم:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي، البيت

على أنه من لنا بأن رسول الله يقبل منه هذا السؤال سلمناه، ولكن من لنا بأن الله يقبله، وإذا قبله فما هو نوعه بالنسبة إلى غنى الآخرة، وقد يكون الشفاعة بعد الأهوال العظام، أو بعد النار، وأي غنى هذا في الآخرة.

وإن كان عما ليس في يده، كالمثال المذكور، فأحرى أن لا يسأل من رسول الله في هذه الحالة إذا كان لا يسأل منه في حياته إلا الدعاء بذلك والشفاعة من عند الله فيه.

رابعا: مع هذا كله زعم الناظم -رحمه الله- أن سؤاله حاصل بالفعل من رسول الله، مع أن هذا الأمر لا يسأل إلا من الله؛ لأنه يختص به دون غيره، والناظم لم يقيد السؤال ولو بحرف بأنه شفاعة من رسول الله فقط إلى الله تعالى.

خامسا: قول الباجوري: فإن إخباره عن نيل غنى الدنيا الخ.

(بحث) يقال عليه أولا: من شاهده سلمناه، ولكن نرى الشارحين هنا اختلفا، فالأزهري قيد بالكفاف، والباجوري أطلق، وإطلاق الباجوري يوافقه إطلاق الناظم وإطلاق العادة؛ لأنه ورد (منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال)[1]، وعليه فمن لنا بأن البوصيري أشبعه غناه وأخرجه من حكم هذه الكلية/[٩٣]؟.

سادسا: قوله: بخلاف إخباره عن نيل غنى الآخرة إلى منتهى جوابه.

(بحث) يقال عليه: لعل البوصيري أقوى يقينا وإيمانا من مثل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، حيث لم يشاهد غنى الآخرة بيقينه ذلك،

---

(١) رواه البزار في مسنده بلفظ: (مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ، طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا)) (١٤٨/١١/٤٨٨٠)، مسند عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١١٢٥/٢)، وأما اللفظ الذي أورده الشيخ/النتيفي: (طالب علم وطالب مال) لم أقف عليه.

واستبدله بقوله: يا ليت الأمر فكاكا لا لنا ولا علينا[١]، وهكذا كانت سيرة الصحابة والسلف الصالح-رضي الله عنهم- والخاشعين من الخلف؛ إذ كل منهم لم يقطع بأنه شاهد غنى الآخرة بالمعنى المتقدم أنه له بلا ريب.

سابعا: سلمنا هذه المشاهدة الأولى والثانية، ولكن من لنا بأنها بخصوص الالتماس المذكور لا بأسباب غناها؟ وهي الأسباب الدنيوية والأخروية.

ثامنا: إذا سلمنا أن الصحابة وأمثالهم حكمت لهم قوة إيمانهم بغنى الآخرة فلم نسلم له ذلك بتلك المشاهدة الدالة على إحاطته بما هنالك، وإنما نسلمه لهم بطريق العلم، ولبعضهم بطريق الظن القوي.

تاسعا: قول الأزهري: ولا طلبت من فضله غنى في الدنيا بالكفاية وفي الآخرة الخ.

يقال عليه: فيه مخالفة للناظم؛ إذ يقر بأنه محصل على غنى الآخرة، والسلامة قاصرة من الغنيمة التي هي الغنى التام.

عاشرا: قوله: فإنه لا يرد سائله.

يقال عليه: تقدم أنه إذا اقتضى الحال رد سائله فيما هو بيده، فكيف بما لم يجعله الله في يد أحد كما هنا؟.

الحادي عشر: ما أخبر به الناظم يترتب على مذهب القائلين من أن الله جعل مطلق التصرف في الكون بيد رسول الله، يعطي من شاء، ويمنع من شاء، ويغني في الدارين من شاء، ويقْضي فيهما من شاء، وهذا فيه ما تقدم وما تلت من أنه خروج عن التوحيد والعلم ومخالف للشرع، ويدل لما قلناه قول الباجوري في تفسير يده: أي: من نعمته، فالمراد باليد هنا النعمة[٢]، وقيل: المراد منها الذات الكريمة.

---

(١) بهذا اللفظ الذي أورده الشيخ/ النتيفي لم أقف عليه، وإنما الذي وقفت عليه كان بلفظ "حَسْبُنَا آلَ عُمَرَ الْكَفَافُ، لَا لَنَا وَلَا عَلَيْنَا"، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، باب:إسلام عمربن الخطاب رضي الله عنه (٢٨٩/١).

(٢) قال أبو الحسن الأشعري -رحمه الله-: "يقال لهم: لم أنكرتم أن يكون الله تعالى عنى بقوله: (بيدي) يدين ليستا نعمتين؟

فإن قالوا: لأن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة.

=

الثاني عشر: قد أتى المصنف بما لا يكاد ينقضي منه العجب، حيث أخبر بأنه استجار برسول الله فأجاره من كل ضيم، والتمس منه غنى الدارين فمنحه إياهما، وأخبر عن الأنبياء والرسل أنهم التمسوا من رسول الله ما التمسوا، فلم يحصلوا منه على جلالة أقدارهم، ورافع منزلتهم، وكثرة عددهم، وكون ملتمسهم رحمة للعباد، فلم يحصلوا من ذلك إلا على قدر النقطة من البحر، والرشفة من الديم، مع أن هذا كما تقدم مزر به وبهم -عليهم السلام-، وحاشاهم من ذلك/[٩٤]. كما أن هذا يؤذن بوجاهة الناظم وعظمة قدره عنده عليهم، وذلك من أقبح اللوازم وأسفل المقالات.

ثم قال الناظم:

تبارك الله ما وحي بمكتسب ولا نبي على غيب بِمُتَّهم[1]

قال الباجوري بعد نفيه اكتساب النبوة: "ومثل الوحي الولاية فليست

=

قيل لهم: ولم قضيتم أن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة؟ وإن رجعونا إلى شاهدنا، أو إلى ما نجده فيما بيننا من الخلق فقالوا: اليد إذا لم تكن نعمة في الشاهد لم تكن إلا جارحة.

قيل لهم: إن عملتم على الشاهد وقضيتم به على الله تعالى فكذلك لم نجد حيا من الخلق إلا جسما لحما ودما فاقضوا بذلك على الله - تعالى عن ذلك - وإلا كنتم لقولكم تاركين ولاعتلالكم ناقضين.

وإن أثبتم حيا لا كالأحياء منا فلم أنكرتم أن تكون اليدان اللتان أخبر الله تعالى عنهما يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين، ولا كالأيدي؟

وكذلك يقال لهم: لم تجدوا مدبرا حكيما إلا إنسانا ثم أثبتم أن للدنيا مدبرا حكيما ليس كالإنسان، وخالفتم الشاهد ونقضتم اعتلالكم فلا تمنعوا من إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين من أجل أن ذلك خلاف الشاهد.

انظر: الإبانة عن أصول الديانة، للأشعري ١/١٣٦.

"وهذا القول الذي ذكره الأشعري في الإبانة ونصره ذكره في كتاب المقالات الكبير الذي فيه مقالات الإسلاميين ومقالات الطوائف غير الإسلاميين وكتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين أنه قول جملة أصحاب الحديث وأهل السنة".

انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية ٣/٣٥٥.

(١) انظر: شرح البردة ص١١٥.

مكتسبة أيضا، بل بفضل يؤتيه من يشاء"[1]. إلى أن قال في شرح: "ولا نبي على غيب بمتهم، ولا يرد قوله تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [سورة الفتح:الآية٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الشرح:الآية٢]، ونحو ذلك؛ لأن ما يقع منهم من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، فإن المقرب أعلى درجة من البار، فإذا فعل البار حسنة يراها المقرب سيئة، ومثلوا ذلك بما إذا تصدق البار برغيف وأبقى عنده رغيفا آخر، فإن هذا عنده حسنة، لكن يراها المقرب سيئة، فكون الأولى عنده أن يتصدق بالرغيفين معا. إلى أن قال: وأما ما صدر من إخوة يوسف -عليه الصلاة والسلام- فلا يرد؛ لأنه قد اختلف في نبوتهم، فعلى القول بعدم نبوتهم لا إشكال، وعلى القول بنبوتهم فيؤول ما صدر منهم بما أولت به قصة آدم. إلى أن قال: وأما قصة داود -عليه الصلاة والسلام-، وهي: أنه خطر بباله أنه إن مات وزيره في الحرب تزوج بزوجته لما علم من حسنها، فأرسل الله إليه ملكين في صورة رجلين اختصما إليه، إلى آخر القصة المذكورة في سورة (ص)، فلا ترد أيضا[2]؛ لأن ما وقع منه ليس معصية، لكنه غير لائق بمقامه، ولذلك عوتب عليه، وبكى حتى نبت العشب من دموعه"[3]. ثم ذكر كلاما عن القسطلاني[4] في هذه القصة ورده، وهو جدير بالرد، إلى أن قال: "وهذا البيت والذي بعده فائدتهما الكتابة للمصروع بين عينيه، والكتابة في خرقة زرقاء وتجعل فتيلة ويحرق طرفها بالنار، وتجعل تحت أنف المصروع، فمتى حصل الدخان في أنف المصروع صاح، فيخرج ويمحي الذي بين عينيه،

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٤٩.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله-: "قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذٌ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديثٌ يجب اتباعه".
انظر: تفسير ابن كثير ٦٠/٧.

(٣) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٤٩-٥٠.

(٤) أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني. انظر: وفيات الأعيان ابن خلكان ١٩٠/١، وتوفي سنة ٦٣٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٠٤/١٦.

فيذهب الصارع ولا يعود أبدا، وإذا خرج العارض فاكتب البيتين حرزا مع شيء من القرآن وعلقهما على المصاب، فإنك ترى العجب"[1] انتهى.

(بحث) وهذا يقال عليه أولا: قوله: ومثل الوحي الولاية فليست مكتسبة أيضا الخ.

لعل الولاية التي جعلها كالنبوة هي ولاية الحمقاء والمعتوهين وضعفاء العقول وجهالة طلاب الدنيا بادعاء الولاية، وهم/[٩٥] أنواع؛ منهم من يشتغل بهتك عوراته، ومنهم من لا يتحرى النجاسات، ومنهم لا حياء له حتى يفعل الفواحش بمحضر من الرائين، ومنهم ومنهم...[2]، ولهم أسماء مختلفة بحسب اصطلاح عبادتهم من الدهماء فيهم فيسمون تارة بالمجاذيب، وتارة بالبهاليل، وتارة بأهل الله، وتارة بالسائحين وهكذا.

وقد رأينا منهم من نسأل الله أن يقلل عددهم ولا يكترثون بالشريعة ولا توزن أعمالهم بها عند عبادهم، وقد ذكر الشعراني[3] منهم طائفة على حسب تكريمهم واعتقادهم لإهانتهم كوحش الذي أخبر أنه مقيم ببيت الخنا ولا يترك أحدا يخرج منه حتى يقضي وطره من الفاحشة غير أنه هو محفوظ من ذلك، وإنما يتعرض لبعض البدو ممن يكون له أتان فليزمه بإمساك رأسها ثم يقضي وطره منها.

وقد أكثر من وصف هؤلاء وحقا هذه الولاية ليست بمكتسبة بالأعمال الصالحة، وإنما هي موصوفة لهم من شيخهم إبليس، وضعف عقولهم وعقول المعتقدين لهم، أما ولاية الله فلا تكون إلا مكتسبة، وقد

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٥٠.

(٢) هكذا وجد في المخطوط.

(٣) عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشعراني، أبو محمد: من علماء المتصوفين. ولد في قلقشندة (بمصر)سنة:٨٩٨هـ، وتوفي في القاهرة سنة:٩٧٣هـ، له تصانيف، منها: (الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية) و (أدب القضاة)و (الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر).
انظر: الأعلام للزركلي ١٨٠/٤.

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [سورة يونس: الآية٦٢-٦٣]، أفليس الإيمان والتقوى إلا أعمالا تكتسب بها الولاية، وهكذا كانت ولاية الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ففرق بين الولايتين، كما أن الاكتساب هو الفرق بين الولاية والنبوة.

وثانيا: قوله في الجواب عن استغفار الأنبياء من ذنوبهم بعد عصمتهم: إن ذلك إنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين الخ.

(تعقيب) يقال عليه: الحسنة لا تكون سيئة إلا بما تنتقل عنه منها إلى غيرها كالقصود الفاسدة، وعليه فحسنات الأبرار مشتركة بينهم وبين المقربين، بل منها صعد المقربون إلى صفة التقريب، حيث ضموا إليها ما يزيدها حسنا، ويكثر أفرادها، وإلا فأي دليل حكم على تلك الأعمال المشتركة كالصلاة والصيام، وقس على ذلك حسنات بالنسبة إلى هؤلاء، وسيئات بالنسبة إلى غيرهم، كما أنه أي دليل جاء عن المقربين من الصحابة وغيرهم تبرؤوا من تلك الحسنات وعدوها سيئات تجب منها التوبة المؤدي/[٩٦] إلى التناقض، وهو حسنات مطلوبة سيئة مبغوضة، والجواب عن استغفار الأنبياء عن ذنوبهم هو ما تقدم من أن المراد بتلك الذنوب فتن الدنيا وأهلها وأشغالها ومصائبها ومباحثها والسهو والغفلة، إلى غير ذلك مما يورث في القلوب غينا لا كغين الذنوب المحرمة، ولا هي كهي، ومن ذلك الخطأ في الاجتهاد كما قدمنا ذلك.

نعم، على مذهب بعض أشياخكم من المتصوفة الذين يوجبون على التلميذ أن يغتسل من عمله ويتوب منه ليقبلوه يصح هذا المعنى؛ لأن الأعمال الأولى عندهم حسنات الأبرار، وهي عند هؤلاء المقربين من الشيوخ سيئات، والسيئات تجب التوبة منها، وهو مذهب مخالف للشرع؛ لأن الكافر إذا أسلم على خير في أيام كفره يثاب عليه ولا يطلب بالتوبة منه، فضلا عن المسلم يريد خيرا، فلا يطلب منه التبري من الخير الحاصل له قبله.

ثالثا: قوله: ومثلوا ذلك بما إذا تصدق البار برغيف وأبقى عنده رغيفا آخر الخ.

(بحث) يقال عليه: لا أقرب إلى الله في الأمة المحمدية بعد رسول الله من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وكان أكثرهم في أكثر أحوالهم يتصدقون ببعض أموالهم، وغالبا يقوى أكثرها ومنهم رسول الله، وما

كان أحد منهم ندم من تصدق بالقليل ولو الرغيف وترك أرغفة أو أكثر، وبعد ذلك منه سيئة تطلب التوبة منها، وهذا متواتر عنهم كشمس على عالم، وقد يكون من أقرب المقربين، منهم من يتصدق بالقليل ويبقي الكثير لنفسه وعياله؛ لئلا يذهب غناه ويصبح عالة على غيره، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا صدقة إلا عن ظهر غنى)[1]، وأبو بكر حين تصدق بجميع ماله والمؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة كانت لهم أسباب يحصلون بها ما يدفع عنهم أن يكونوا عالة على غيرهم، وما ثبت عنهم أنهم عابوا على من لم يعملوا كعملهم، ولا عدوا ذلك منه سيئة تطلب منه التوبة، فافهم ذلك وفقني الله وإياك للصواب.

رابعا: قوله: وما صدر عن إخوة يوسف الخ.

(بحث) يقال عليه: جوابه عنهم إذا حكم بنبوتهم بأنهم تأولوا ذلك كما تأول آدم -عليه السلام- يقال عليه: ما أفسده قياسا/[٩٧]؛ إذ الحاصل منه أن يقال: إنهم نسوا عهد أبيهم في أخيهم وأن يلقوه في غيابات الجب، كما نسوا ما يقع بأبيهم من الحزن عليه، وكيف يتصور هذا النسيان منهم وهم يباشرون بجماعتهم ما يزعم نسيانه، ولاسيما مع اتفاقهم بعد قول بعضهم: ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ ﴾ [سورة يوسف:الآية٩] على أن يلقوه في غيابات الجب.

كما يقال: وكيف يصح تأويل هذه الأمور الصادرة منهم بأنه يستحب تركها فقط مع أنها من الكبائر؟ وعليه فما الجامع بين تأويل آدم وتأويل هؤلاء، بل لا جامع إلا كونهم ليسوا بأنبياء في هذه الحالة وبعدها.

خامسا: قوله: وأما قصة داود عليه السلام إلى آخره.

(بحث) يقال عليه: قال بعض المحققين: لا دليل على كل ما قيل في داود من ذلك عليه السلام، ولا في كون الملائكة تسوروا عليه المحراب واختصموا إليه في شأن النساء ليذكره ما فعل، وإنما الواقع هو أن خصمين تسورا المحراب، واختصما إليه في نعاجهما، وحكم لهما بالحق

---

(١) رواه البخاري، باب: تأويل قول الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ ﴾ [النساء: ١١] (٥/٤).

وهي واقعة لا تعلق لها بغيره، وقوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [سورة ص:الآية ٢٤]، لا تعلق لها بما قيل فيه، وإنما هو ظن منه أن هذا الملك الذي أعطاه الله فتنة ابتلاه الله به واختبره، فاستغفر من ذلك وخر لله راكعا، فغفر الله له ذلك، وأخبره بأن له عنده زلفى وحسن مآب بملكه وغيره. وعليه فأي تعلق في الآية بما ألصقه به الإسرائيليون وأتباعهم.

ثم ذكر الباجوري خاصية لهذين البيتين: وأنهما يكتبان في خرقة زرقاء وتجعل فتيلة ويحرق طرفها بالنار وتجعل تحت أنف المصروع، فمتى حصل الدخان في أنف المصروع صاح، فيخرج صارخا، ويمحي الذي بين عينيه فيذهب الصارع ولا يعود أبدا، وهذا يقال فيه ما قيل فيما قبله من الخواص المتقدمة التي يزاد عليها ما يقال: جربوا ففي التجريب علم الحقائق.

ثم قال الناظم في معجزة القرآن أبياتا منها قوله:

آيات حق من الرحمن مُحْدثة قديمة صفة الموصوف بالقدم[1]

ونحن نقول عليه: قد ذكر شارحاه ما تيسر ذكره لهما، وزاد الباجوري قوله/[٩٨]: "والحاصل أن الألفاظ التي نقرؤها لها دلالتان: دلالة بالوضع: وهي التي اعتبرها العلامة أبو قاسم[2] بأن المدلول بهذه الدلالة مساو للمدلول الذي تدل عليه الصفة القديمة.

ودلالة بالالتزام العرفي لا العقلي، وهي التي اعتبرها السنوسي[3] وغيره من المتقدمين، فإن المدلول بهذه الدلالة هو الحجة القديمة فكل من

---

(١) انظر: شرح البردة ص١١٧.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني، من جهة الأم، أبو عبد الله: عالم تلمسان في عصره، وصالحها، ولد سنة: ٨٣٢هـ، وتوفي سنة:٨٩٥هـ.
انظر: الأعلام للزركلي١٥٤/٧.

المسلكين صحيح كما في حواشي الكبرى[1] "[2] انتهى.

ونحن نقول عليه: ما نقله عن ابن قاسم من أن معنى ألفاظ القرآن دالة على معان مساوية للكلام النفسي القديم.

يقال عليه: (بحث) المساوي ليس هو نفس المساوي له مع أنه على القول الحق هنا أن المعنى مساو لذلك المعنى، كما أن ما حكاه عن السنوسي من أن دلالة ألفاظ القرآن دالة على الكلام النفسي[3] ليس على إطلاقه بأن النفسية منه ما دل عليه القرآن، ومنه ما دل عليه غيره، ومنه ما لا علم لنا بالدال عليه، والأحسن أن يقال على مذهب الجاعلين القرآن مخلوقا دالا على كلام الله النفسي أن يقال فيه: إنهما -أي: القرآن ومعناه النفسي- دالان اجتمعا في الدلالة على بعض كلام الله، وهذا مذهب من يقول: إن الله موصوف بالكلام النفسي القليل ولا يوصف باللفظ، والكتب المنزلة من عنده كالقرآن محدثات مخلوقات، كالناظم ومن تبعه من متأخري الأشعرية وغيرهم.

وقيل: إن الكلام النفسي مستغنى عنه بالعلم، كما أن اللفظ لا يتصف به الباري؛ لحدوثه، والكتب المنزلة كالقرآن محدثات مخلوقات، وهو مذهب المعتزلة[4].

وقيل: إن الله موصوف بالنفسي واللفظ في القديم والحديث، وهو مسلم في النفسي وفي اللفظ لا نعقله؛ لأنه إن كان خطابا للغير فلا غير في القديم، وإن كان مجرد كلام الله مع نفسه أو إخباره بشؤونه فلا يعقل كلام إلا بعد المتكلم به، فيصل الكلام حادثا، ولا حادث في القدم.

---

(١) وتسمى: حاشية على شرح السنوسي. ومؤلفها/ الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي من بني (يوسي) بالمغرب الأقصى. تعلم بالزوائية الدلائية. ولد سنة:١٠٤٠هـ، وتوفي سنة:١١٠٢هـ.
انظر: الأعلام للزركلي ٢٢٣/٢.
قلت: وكلا من الحاشية والشرح في عقيدة الأشاعرة.

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٥٤.

(٣) سبق الكلام على هذه المسألة وهو وصف الله بالكلام النفسي في ص١٥٠_١٩٠.

(٤) انظر: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على بشر المريسي ٥٢٤/١-٥٧٠.

وقيل: إن الله موصوف بالكلام النفسي في الأزل وما لا يزال كما هو موصوف باللفظ فيما لا يزال، وهذا هو الحق[1]؛ إذ جاء في الأخبار الصحيحة: أن الله يتكلم بالصوت، وأنه كلم عباده، ويكلمهم ما يشاء، ولا يعقل ذلك إلا باللفظ والصوت، وإن انتفت المماثلة بين ألفاظنا وأصواتنا وألفاظه وأصواته، ولا يضر اتصاف الله إذ ذاك بمثل هذه الحوادث؛ لأن الحوادث إذا كانت من متعلق صفات/[٩٩] المعاني كالقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام لا ينفي حدوثها كونها صفات لله، وإلا انتفت تلك الصفة عنه تعالى الله عن ذلك، وهذه الدعوى أظهر وأخف وأحكم بالدليل مما يلزم الله سبحانه من البكم أو السكوت الدائم مع القدرة على الكلام، تعالى الله عن كل نقص، كما أن الدعوى بأن ما سمعه الأنبياء -عليهم السلام- من كلام الله النفسي؛ إذ رفع عنهم الحجاب حتى سمعوا لا تصح؛ لأن مكان الصفات النفسية للشيء لا يرفع عنه إلا إن انقلبت ماهيته، فالحجاب ورفعه لا يجعل النفسي جهريا ولا سريا؛ إذ لا تأثير له في ذلك من الوجهين، وعلى مذهب هؤلاء القرآن كلام الله لفظا ونفسيا وإن أداه التالي له فما أداه إلا بذلك اللفظ وذلك المعنى، وإن كان أحدث في ذلك صوته وتلاوته لا غير، كما أن القرآن منه ما هو قديم المعنى حديث اللفظ ولكن بالمعنى المتقدم الغير المخرج له من صفة الرب وكلامه سبحانه، كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [سورة البقرة:الآية٢٥٥]، آية الكرسي وكقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [سورة الإخلاص: الآية١-٢] الآية، ومنه ما هو حديث المعنى واللفظ، كما مثل به الباجوري بقوله: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾ [سورة القصص: الآية٨]، وقوله سبحانه: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [سورة المجادلة: الآية١] الآية، والكلام في هذا البحث طويل جدا قد ملئت به دفاتير علم الكلام، وكثر فيه الجدال بين أهله، وقد بحثنا بعض الأبحاث في خلال ذلك الميدان حين كتبنا ما كتبناه على علم

---

(١) سبق الكلام على هذا، وهو إثبات الشيخ للكلام النفسي واللفظي لله ص١٦٠.

الكلام في "الإرشاد والتبيين في البحث مع شراح المرشد المعين"[1]، واقتصرنا الآن على هذه الجملة وإننا نظن مع اختصارها أنها مفيدة.

ثم قال الناظم بعد أبيات في صفة آيات القرآن:

إن تتلوها خيفة من حر نار لظى   أطفأت حر لظى من وردها الشيم[2]

انتهى.

ونحن نقول عليه: ما ذكره من إطفاء القرآن العظيم للظى عمن استحقها بتلاوته مقيد بالعمل به، لا بمجرد التلاوة، كما جاءت بذلك/[١٠٠] الأخبار الصحيحة، وقوله عليه السلام: (اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه)[3]، محمولة على الذين عملوا به أو خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، لا على من ترك العمل به بالكلية.

ثم قال الناظم بعد أبيات:

سريت من حرم ليلا إلى حرم   كما سرى البدر في داج من الظلم
وبت ترقى إلى أن نلت منزلة   من قاب قوسين لم تُدْرَك ولم ترم
وقدمتك جميع الأنبياء بها   والرسل تقديم مخدوم على خدم
وأنت تخترق السبع الطباق بِهم   في موكب كنت فيه صاحب العلم
حتى إذا لم تَدَعْ شأوًا لمستبق   من الدنوِّ ولا مرقًى لمسُتنم
خفضت كل مقام بالإضافة إذ   نوديت بالرفع مثل المفرد العلم
كيما تفوز بوصلٍ أيِّ مستتر   عن العيون وسرٍّ أيِّ مكتتم
فحزت كل فخار غير مشترك   وجزت كل مقام غير مزدحم
وجَلَّ مقدار ما أوتيت من رتب   وعزَّ إدراك ما أوليت من نعم[4]

قال الباجوري في شرح البيت الأول بعد كلام: "وقيل: لأن الله لما محى آية الليل وجعل آية النهار مبصرة، انكسر خاطر الليل فجبر أن

---

(١) مخطوط.

(٢) انظر: شرح البردة ص١١٧.

(٣) رواه مسلم، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٥٥٣/١).

(٤) انظر: شرح البردة ص١٢١-١٢٣.

أسري فيه بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك قيل: افتخر النهار على الليل بالشمس، فقيل: لا تفتخر فإن كانت شمس الدنيا تشرق فيك، فسيعرج بشمس الأرض في الليل إلى السماء، وقيل: لأنه سراج، والسراج إنما يوقد في الليل، وقيل: لأنه سمي بدرا في قوله تعالى: ﴿طه﴾ [سورة طه:الآية١]، فإن الطاء بتسعة والهاء بخمسة وذلك أربعة عشر فكأنه تعالى قال: يا بدر وهذا يناسب قول الناظم كما سرى البدر"[١]. انتهى بعض كلامه.

(بحث) ونحن نقول عليه ما قاله في علة الإسراء ليلا: من أن الليل لما محا الله بعض نور قمرها انكسر خاطرها.

(تعقيب) يقال عليه: أولا: هذا يحتاج إلى دليل، ولو انفتح باب قبول مجرد الدعوى بلا بينة لادعى الخلائق ما ادعوا، ولكن قال رسول الله: (لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم، ولكن البينة على المدعي، واليمين على من أنكر)[٢]، وأين دليله على دعواه؟.

وثانيا: يحتاج/[١٠١] إلى بيان الوقت الذي وقع فيه سبب انكسار خاطر الليل ولا يعلمه إلا الله.

ثالثا: من له بأن الليل والنهار أعطي الحياة والعقل والنطق والغيرة كغيرة الضرائر حتى تيسرت لهم هذه المحاورة.

رابعا: قوله: مجبر بأن أسري فيه بمحمد الخ.

(بحث) يقال عليه: هذا مخالف لعلة إسرائه الذي صرح به القرآن بقوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ [سورة الإسراء:الآية١].

خامسا: قوله: ولذلك قيل: افتخر النهار على الليل بالشمس.. الخ.

(بحث) يقال عليه بعدما قيل: إنها وإنه ليسا بحيين عاقلين، ومن ادعى أن الله قادر على أن يصفهما بالصفتين حتى يقع منهما ما قيل، قيل: ليس كل مقدور عليه واقعا.

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٦٢.

(٢) رواه البيهقي في السنن الصغير، باب: البينة على المدعي، واليمين على من أنكر (١٨٨/٤)، قال الإمام النووي في الأذكار (١ /٣٥٢): هو حسن بهذا اللفظ، وبعضه في الصحيحين.

سادسا: قوله: فسيعرج بشمس الأرض في الليل إلى السماء.
(بحث) يقال عليه: هذا الافتخار قد يجيب عنه الخصم وهو النهار بأن شمسي شمس الدنيا كلها التي منها الأرض، ومقابلها عندكم إنما هو شمس الأرض كما يفتخر بأن شمسه ظاهرة للإشراق، وعامة لكل من قابلها دون شمسكم، كما يقول: إن شمسي دائمة دائبة على سيرها ما تحرك الفلك، وشمس أرضكم تحركت ليلة واحدة على أن هذا ينافي ما زعموه من أن رسول الله كل شيء لمن نوره حتى نور الشمس والقمر، وكل حركة في الكون بإذنه، وهذا البحث منا مجاراة لهذا الافتخار المزعوم، وإلا فنحن نفضل شمس الهداية التي منح الله لرسوله على كل شمس.
سابعا: قوله: والسراج إنما يوقد الليل.
(بحث) يقال عليه: لا مفهوم لليل؛ إذ يوقد في كل ظلام ولو نهارا.

ثامنا: قوله في قوله: ﴿ طه ﴾ [سورة طه:الآية١].
(تعقيب) يقال عليه: ما أنزل الله الكتاب وأرسل الرسول إلا للبيان، وقد قال: ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ ﴾ [سورة الزخرف:الآية٢]، وقال: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [سورة النحل:الآية٤٤]، وهو منزل للعامة والخاصة، وأي بيان لهم في هذه الرموز الخفية التي يرجع معناها إلى حساب الجمل التي يقال: الطاء تسعة، والهاء خمسة، ثم يقصد بذلك الرمز إلى هيئة البدر ليلة الرابع عشر من الشهر، ونداء الرسول بـ يا بدر، وما الحاجة بالبيان إلى هذا الغموض وهذه المجازات المركب بعضها على بعض بعد خفائها من أضعف الأقوال عند/[١٠٢] المفسرين تسمية رسول الله بـ طه، كما نقول: قد اختلف الناس في الإسراء؛ فقيل: مناما، وقيل: بالانسلاخ الروحي، وقيل: يقظة وهو مذهب الجمهور، أما الانسلاخ الروحي، فلا دليل عليه كما يخالف الأول والثاني[1]، وقد بحثنا في رده في غير هذا

(١) قال أبو جعفر الطبري -رحمه الله-: "والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله حمله على البراق حين أتاه به، وصلى هنالك
=

الموضع، وأما دعوى المنام فهو للظواهر النصوص الدالة على اليقظة البعيد تأويلها بالمنام ولاسيما قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النجم:الآية١٣]، لما ورد اعتراض عليه من العقلاء موحدين أو ملحدين، ولكن الجواب حينئذ على مقتضاه ظاهر النصوص من وجوه:

الأول: ما يقال: إن هناك من يقطع مسافات كهذا العالم في أقل من لحظة كالفكر وكالبصر، فإن الأول يسير في تلك اللحظة وإلى ما يصوره منتهى لحركاته، كما أن البصر يقطع ذلك عند مبتدئ نظره إلى منتهى ما يبصره في لحظة أو أقل منها، ولكن الخصم يعيب عن هذا بأن ذلك يتصور فيما لا ظفرة فيه، أي: في الذي لا يقطع المسافة بين مبتدأه ومنتهاه، بل يحصل المنتهى عند المبدئ والإسراء ليس كذلك، بل فيه مواقف واستفتاحات وترددات وذهاب ورجوع وتحصيل غائبات واستنباط معلومات ومراجعات ومكالمات، وهذا ينافي كونه لا ظفرة فيه.

الثاني: ما يقال: إن الله قادر على أن يزيد في سرعة الأجسام السريعة كما يخلق فيها ذلك ابتداء.

الثالث: إن الله قادر على أن يقارب بين طبقات السماوات وما فيها وما فوقها حينما يريد ذلك.

الرابع: أن الأبعاد التي ذكر أهل الهيئة منكم، لاسيما المتأخرون الشاسعة جدا التي ينبئ عنها ما قالوا في سير ضوء الشمس ليست بيقينية؛ لأن الله لم يظهرهم على ذلك حتى يتيقنوا حسابه ومواهيه وسيره، وهذه الأجوبة الثلاثة كما تصلح كلها أن تكون جوابا للمعترض تستقل كل واحد منها أو اثنان بجوابه.

كما نقول: إنهم اختلفوا في الإسراء، فقيل: كان في الليلة كلها إلا قليلا منها، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: أربع، والأول الصحيح.

=

بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات، ولا معنى لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلا على نبوّته، ولا حجة له على رسالته".

للاستزادة انظر: تفسير الطبري عند قوله سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ ١٧/٣٥٠.

وأغرب ابن السبكي فقال: في لحظة، واعتل لذلك بأن الله قادر على أن يطيل الزمان القصير وأن يقصر الطويل، قال: وقد وقع ذلك لبعض أوليائه. انتهى معناه/[١٠٣].

ونحن نقول عليه: أولا: سلمنا قدرة الله على ذلك، ولكن لا يلزم من كون الشيء مقدورا أن يكون واقعا مع أن الواقع والوارد خلافه.

ثانيا: سلمنا قدرة الله على ذلك، ولكن من جهتين، بمعنى أنه يقصر الزمان عند قوم ويطيله بنفسه عند آخرين لأسباب وحكم، فقد أطال زمان أهل الكهف ثلاثمائة سنين وتسعا، وقصره في حق أهل الكهف منهم حتى قالوا: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [سورة الكهف:الآية١٩]، وكذلك يقع لأهل القبور حينما يفيقون منها مع طول زمان من تركوه وراءهم من أجيالهم إلى يوم القيامة، وكذلك يقع بكثير من أهل النشور حتى يمر بهم ما هو مقدار خمسين ألف سنة وعند الله قريب كما قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝﴾ [سورة المعارج:الآية٦-٧]، وكذلك يكون قريبا عند أهل السعادة.

أما قصر الزمان وطوله بالنسبة إلى شخص فمن المحال؛ إذ يجتمع تناقض حينئذ، وهو قصار لا قصار وطول لا طول، وقد يقصر الزمان بالشخص لخروجه من دائرة حسه وفكرة عقله، حتى ربما يلد الأولاد ويمكث الزمان الطويل عند الناس وهو عنده زمان قليل قد لا يمكنه ما فعل فيه، وقد يعكس ذلك، ولكن ذلك نادر ومن الجهتين كما تقدم، كما نقول: اختلف النص هل صلى رسول الله ليلة الإسراء بالنبيين وربط البراق ببيت المقدس حينما وصل إليه في ابتداء سيره أو بعد رجوعه من المعراج غداة يومه، أو هما معا، أو لم يمر على بيت المقدس، والقائلون بالصلاة اختلفوا فقيل: الركعتين اللتين كان يصليهما بالعتمة، وقيل: مطلق النافلة، وقيل: هذه الصلاة إنما هي دعاء والصلاة تطلق على الدعاء، أما الفرائض فلا تدخل هنا؛ لأنها إنما فرضت في العالم الأعلى وابتدأت بمكة غداة المعراج كما هو معروف، وحديث الإمام مسلم أن

رسول الله قال: (عرض علي الأنبياء)[1]، وذكر فيه أنهم قدموه للصلاة، فيحتمل أن يكون في بيت المقدس حين الذهاب، أو حين الرجوع، أو حينهما، أو في السماء، أو في وقت آخر؛ لأن الحديث وقع بالمدينة، وقد أيدنا القول: بأنها الثناء على الله والدعاء بأبحاث ذكرناها في كتاب "الاستفاضة في أن النبي لا يرى بعد وفاته يقظة"[2].

وقال الباجوري في قوله: وبت ترقى الخ. بعد كلام في رقيه عليه السلام/[١٠٤]: "وهكذا إلى السماء السابعة، ثم إلى الكرسي، ثم إلى سدرة المنتهى، ثم إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، ثم الرفرف وهو سحابة خضراء، فصعد عليها إلى ما شاء الله تَعْالى، وهذا المكان هو الذي أعده الله للخطاب وفرض الصلوات، وإلا فالله تعالى منزه عن المكان.

وقوله: إلى أن نلت منزلة غاية لما قبله، أي: إلى أن أعطيت مرتبة في القرب، وقوله: من قاب قوسين بيان للمنزلة لكن في العبارة قلب، والأصل من قاب قوسين، إلى أن قال: وكذلك بينه صلى الله عليه وسلم وبين المولى، فبينهما غاية القرب، لكن المراد هنا القرب المعنوي، إلى أن قال: فقوله: ولم ترم بالبناء للمجهول أيضا، أي: لم يرمها غيرك، ولم يطلبها للعلم، بأنها ليست إلا لك، وفي هذا البيت إشارة إلى قصة المعراج وقد ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة النجم:الآية٨-٩]، وقد علمت حاصلها"[3].

ثم قال الباجوري: في قوله: وقدمتك جميع الأنبياء الخ: "عطف على قوله: سريت الخ أيضا، ثم إنه يحتمل أن المراد التقديم في الرتبة والمكانة كما يدل عليه قوله: تقديم مخدوم على خدم وذلك؛ لأن الله تعالى قد أطلعهم على منزلته صلى الله عليه وسلم بالوحي في مدة حياتهم، كما

---

(١) رواه مسلم، باب: الإسراء برسول الله -صلى الله عليه وسلم-إلى السماوات وفرض الصلوات (١٥٣/١).

(٢) مخطوط.

(٣) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٦٣.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨١]الآية، ويحتمل أن المراد التقديم في الحس والخارج كما يدل عليه ما روي: من أنه حشر له جميع الأنبياء والرسل ليلة الإسراء، وصلى بهم في المسجد الأقصى بعد أن أثنى كل على ربه بما هو أهله، وكان صلى الله عليهم وسلم آخرهم في ذلك، فأثنى على الله بما ألهمه له، فقال إبراهيم عند ذلك: بهذا فضلكم محمد، وذلك كان قبل المعراج على المشهور"[1]. ثم ذكر خلافا في حضور الأنبياء هل بأرواحهم فقط أو بأجسادهم؟ وأن الظاهر الأول مستثنى من ذلك عيسى وإدريس فإنهما بالجميع[2]. انتهى.

وقال الباجوري: في ترقيه عليه السلام إلى قوله: ما شاء الله.

(بحث) يقال عليه: لم توجد في ذلك روايات صحيحات في ترقيه إلى الكرسي كما قال فضلا عن ترقيه إلى العرش كما قال غيره، ويدل لذلك قول البغدادي[3]:

إلى العرش والكرسي أحمد قد دنا ونورهما من نوره يتــلألأ[4]

وإنما يوجد في ذلك بعض الروايات تشبه الحكايات، بل أشبه بالموضوعات إن لم نقل: موضوعات/[١٠٥] يقينا، وقد ذكر بعدها الحلبي[5] في سيرته وغيره التي منها أنه ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [سورة النجم: الآية

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٦٣.

(٢) انظر: حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٦٤.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) هذا البيت من الشعر لم أقف له على مصدر.

(٥) إبراهيم بن محمد بن خليل الطَّرَابُلُسي ثم الحلبي، أبو الوفاء، برهان الدين: عالم بالحديث ورجاله، من كبار الشافعية. أصله من طرابلس الشام، ومولده سنة:٧٥٣هـ، ووفاته سنة:٨٤١هـ في حلب،يقال له: البرهان الحلبي، وسبط ابن العجمي من كتبه (نور النبراس على سيرة ابن سَيِّد الناس - خ) مجلدان، و (نقد النقصان في معيار الميزان) و (التبيين لأسماء المدلسين).

=

٨]، عند العرش مع اختلافها في مرجع ضميرها إلى الله أو جبريل أو محمد، أو من هذا هذا أو هذا لهذا[١]، ومنها أن الله نادى محمدا -عليه السلام- نداءات، وكلمه بكلمات تنظر هنالك، وأنه صور له أبا بكر بإزاء العرش فكلمه ليزيل بذلك وحشته بلغاته.

كما يقال عليه: الذي يظهر من الأحاديث الصحيحة والقرآن أن رسول الله وصل إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السابعة، وقيل: مبدؤها من السادسة وتنتهي في السابعة، كما تنتهي بها الجنة، والرفرف بإزائها بعض، وبعض أنهار الجنة تتفجر منها، ولا نهر في الدنيا من أنهار الجنة، والنيل والفرات إنما اشتركا مع نهرين منها في التسمية، والسماوات كلها جنة، وقد تزيد عليها، كما ذكر الله ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [سورة آل عمران:الآية١٣٣]، وقال: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة الحديد:الآية٢١].

قال بعض المحققين: فهما جتنان، ومعلوم أن أرواح الشهداء والمؤمنين في الجنة، وهم في السماء، وليسوا بأكمل من أرواح الأنبياء، حتى يكونوا في غيرها، بل هم أولى بها، وقد وجدهم رسول الله في السموات، فدل ذلك على أنها الجنات، كما أن عبارته تدل على أن سدرة المنتهى فوق الكرسي، وهو مع قول بعضهم: إن أصلها تحت الكرسي، وفروعها ممتدة إلى العرش، وقول بعضهم: إنها محمولة على أكتاف حملة العرش، فزادهم ثقالها على ثقال العرش، لا دليل على ذلك فضلا عن أن يصح ويترك له غيره، بل المعروف والمأخوذ من دلائل الشريعة أن الكرسي فوق سدرة المنتهى، بل يسعها ويسع السموات كلها، والعرش سقف العالم كله، وأعظم منه وأشد إحاطة به، والله سبحانه أعلى من كل ذلك وأعظم، ومحيط بكل شيء.

=

انظر: الأعلام للزركلي ٦٥/١.

(١) قال الحلبي -رحمه الله-: "وذكر بعضهم أن ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ الآية، عبارة عن تقريبه تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم، فالضمير في ﴿دَنَا﴾ إلى آخره يعود إلى الله تعالى، وهو معنى لطيف". انظر: السيرة الحلبية ٣٢٩/١.

كما يقال في قوله: وهذا المكان هو الذي أعده الله للخطاب وفرض الصلوات الخ.

(بحث) يقال عليه مع قول غيره له: من أنبأكم بهذا؟ وأي دليل يسفر لكم عنه مع أن لخطاب الله مقامات لا يحصيها إلا هو سبحانه؟ وأمكنة فمنها: أنه يخاطب ملائكته في جميع مملكته وفي كل مكان كانوا فيه، ومنها: الجنة فإنه يخاطب أهلها؛ كرامة لهم، وفيها خاطب آدم/[١٠٦] وحواء -عليهم السلام-، ومنها: جبل الطور، فقد جعله مكانا لخطاب موسى -عليه السلام-، ومنها: منى فقد نادى إبراهيم بقوله: ﴿يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ [سورة الصافات:الآية١٠٤-١٠٥]، ومنها: مكان أيوب -عليه السلام- حين سأل ربه كشف الضر، فاستجاب له وناداه: ((يا أيوب ألم أغنك عن هذا)) في قصة الجراد الذهبي[١]، ومنها: العالم الأخروي حين يخاطب الله عباده في المحشر والمنشر: ﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ [سورة الرحمن:الآية٣٣]، ومنها: خطابه لكل أحد، ولا يكون المخاطب إلا في مكان، وقد قال رسول الله: (ما من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان)[٢]، إلا ما استثني بالدليل.

وقوله: فرض الصلوات الخ.

(بحث) يقال عليه: لا دليل على أنها لم تفرض إلا في هذا المكان الذي عينه دون غيره، وإنما الدليل الصحيح يخبر بأنها فرضت على رسول الله من ربه في ذلك العالم، ثم لم يزل فرضها يخفف منه بالمراجعات، على أن فرض غير الصلوات كالصيام والزكاة والحج وغيرها فرضت بالمدينة، كما قد يقال: ذلك فيما فرض الله على النبيين

---

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ)، رواه البخاري، باب: قول الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ (١٥١/٤).

(٢) رواه البخاري، باب: كلام الرب عزوجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (١٤٨/٩). واللفظ فيه: (ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان).

والمرسلين،كما يقال في قوله: والله منزه عن المكان.

(بحث) حقا منزه عن المكان العالمي، وأما فوق العالم والعرش فهو العلي الأعلى، فلو نزه عن تلك الجهة سميت مكانا أو لم تسم، لكان غير موجود إلا في الأذهان، وما أجاب به مثل الغزالي[1] عن هذا المذهب ظاهر أنه من تهافته، وقد رددناه على أهله بأبسط رد في كتاب "الإرشاد والتبيين في البحث مع شراح المرشد المعين"[2]، على أن هذا الاعتقاد منكم يبطل قولكم:إن رسول الله رأى ربه، وإن الناس سيرونه يوم القيامة، وأنه دنا فتدلى إليه؛ إذ هذه الأوصاف لا تكون إلا من موجود موصوف بها وبغيرها، ولا موجود إلا في جهة، كما حققنا هذا في بعض كتبنا "كنظر الأكياس في الرد على جهمية البيضاء وفاس"[3].

كما يقال في قول الناظم: إلى أن نلت منزلة من قاب قوسين.

(بحث) يقال عليه أولا: المنزلة من قاب قوسين هي لجبريل لا لرسول الله؛ لأنه هو الذي ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة النجم:الآية٨-٩]، من رسول الله كما يقال عليه: هذه المنزلة كانت لمن كانت ليست مرتبة على هذا الترقي، وفي الإسراء وإنما هي لأفق مكة، حيث يقول الله فيها: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ/[١٠٧] ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ [سورة النجم:الآية٥-٩]، ويدل

---

(١) زين الدين أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدِ بن مُحَمَّدِ بن مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الطُّوْسِيّ، الشَّافِعِيّ، الغَزَّالِي، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، وَالذَّكَاءِ المُفرط أَلَّف كِتَاب "الإحياء"، وكتاب "الأَرْبَعِيْنَ"، وَكِتَاب "القِسطَاس"، وَكِتَاب "مَحكّ النَّظَر".قُلْتُ: قَدْ أَلَّفَ الرَّجُلُ فِي ذَمِّ الفَلاَسِفَة كِتَاب "التهَافت"، وَكَشَفَ عوَارهُم، وَوَافقهُم فِي موَاضِعِ ظنّاً مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ حقٌّ، أَوْ مُوَافِقٌ لِلملَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ بِالآثَار وَلاَ خِبْرَةٌ بِالسُّنَنِ النَّبويَّة.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٤.

(٢) مخطوط.

(٣) مخطوط.

لذلك قوله سبحانه بعدها: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة النجم:الآية١٣-١٤]؛ إذ لو كان ذلك في الترقي المذكور عند سدرة المنتهى لاحتيج إلى بيان المنزلة الأخرى.

فإن قيل: هناك أيضا فلم يقله ولا قلتموه، وإن قيل: بأفق مكة، قيل لكم: لم يسم الله هذه نزلة أخرى، وإنما سمى النزلة الأخرى الواقعة عند سدرة المنتهى، ولم يذكر فيها القوسان ولا قابهما، ولا الدنو ولا التدلي، حتى لو ذكر من البعض لما كان معنى هذه الآية، ولاحتاج إلى دليل لا يرد عليه، كما أن الرؤية من رسول الله في الموضعين لجبريل على صورته الملكية لا للرب سبحانه على القول الصحيح عند أهل العلم، وقد ردوا زيادة شريك في حديثه أن ذلك للرب سبحانه، وادعى المحققون منهم: أن ما ذكر في ذلك من الحديث ليلة الإسراء موضوع على أنكم إذا هدمتم أصل هذا الحكم فأي فائدة لكم في إثباته؟، وهي أنكم قلتم: لا رب في مكان عال ولا سافل، وإسراء رسول الله إلى الملكوت الأعلى ومراجعته ربه كل ذلك إنما وقع في فضاء لا رب به.

وثانيا: قوله: وكذلك بينه صلى الله عليه وسلم وبين الله فبينهما غاية القرب الخ.

(بحث) يقال عليه: فيه تناف مع الاستدراك بعده؛ إذ القرب المعنوي حاصل لكل مؤمن مع ربه من الملائكة وغيرهم ،وإذا نافيتم القرب الحسي هنا لم تبقوا لرسول الله خصوصية في ذلك القرب، كما يقال: القرب والبعد نسيان للبعيد والقريب، فلا يصح وجودهما ولا إطلاقهما عند انتفاء المنسوبين إليه.

وقوله: لم يرمها غيرك ولم يطلبها للعلم بأنها ليست إلا لك الخ.

(بحث) يقال عليه أولا: قد فاقت الملائكة هذه المنزلة، وقد كان جبريل -عليه السلام- كما أخبرنا الله بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة التكوير:الآية١٩-٢١]، وقد كان هو الرسول لرب العالمين، فكيف يبعده منه ويحصل بينه وبينه مانعا غير مانع الألوهية وصفاتها، وبهذا يرد قول من قال: إن جبريل قال لرسول الله لما وصل إلى هذا/[١٠٨] المقام :(إنك يا محمد إذا تقدمت اخترقت، وإذا

تقدمت احترقت)[١]؛ إذ كيف يحترق من هذه صفته؟ وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة الزمر:الآية٧٥]، وقال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الحاقة:الآية١٧]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [سورة غافر:الآية٧]، وقد وصل رسول الله إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام، ولمن تكون هذه الأقلام إلا إلى الملائكة الكاتبين، وهم إذ ذاك فوق المستوى، وقد قال رسول الله: (ألا إني أجد أخي موسى متعلقا بساق العرش)[٢] الحديث، وقوله: وقد ذكرها الله بقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾ [سورة النجم:الآية٨] الآية.

(بحث) يقال عليه: هذا تحريف الكلم عن مواضعه التي كادت أن تجمع عليها الأمة؛ لورود الأحاديث الصحيحة بها؛ إذ قوله: ذلك سبحانه في دنو وتدل جبريل إلى رسول الله بأفق مكة لا بالمعراج، إلا ما قيل مما قدمنا رده عن المحققين والحفاظ، وقول الأزهري: "ولازلت ترقى إلى أن نلت منزلة قريبة من الحضرة القدسية مقدار قاب قوسين، وهذه المنزلة لم يصل إليها أحد من الأنبياء غيرك، ولم يطلبها لعزة مكانها"[٣] انتهى.

(بحث) ونحن نقول عليه (أولا): ذكره قاب قوسين في هذا الترقي تقدم ما فيه من أن ذلك خبر عما وقع في أفق مكة.

وثانيا: قوله: حضرة القدس، يقال عليه: حضرة من إن كان الله، فأنتم تنكرون وجوده اللازم له بقولهم: لا داخل العالم ولا خارجه إنكار

---

(١) لم أقف له على مصدر وإنما من وضع الصوفية والله أعلم.

(٢) قال صلى الله عليه وسلم: (فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ: ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي) رواه مسلم باب:من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم. (١٨٤٣/٤)، أما لفظ العلامة النتيفي-رحمه الله- لم أقف عليه.

(٣) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٦٣.

حضرته هناك، وإن كانت حضرة غيره فمن هو؟

وثالثا: قوله: وهذه المنزلة لم يصلها الخ.

يقال عليه: عدم العلم بالشيء لا ينفي وجوده، وهذا سيدنا إبراهيم الخليل -عليه السلام- في السماء السابعة، فأي دليل أتانا بأنه لم يتحرك من مكانه إلى أعلى منه أو إلى محاد له، وقد قال الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [سورة الأنعام:الآية٧٥]، ولا دليل على أن هذه الإراءة مقصورة على ما بعدها من آيات ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ ﴾ [سورة الأنعام:الآية٧٦] الآية، فالأولى بالقائل أن يقول: هذه المنزلة خاصة برسول الله في علمنا.

رابعا: قوله: ولم يطلبها لعزة مكانها، يقال عليه أولا: من له بأنه لم يطلبها أحد، ومن يدري ما كان فيما ستر عنا من الغيب.

ثانيا: قوله: لعزتها حقا، هي عزيزة وغيرها عزيز أيضا/[١٠٩]، ولكن من نص على أن منع الغير منها لتلك العلة سلمناه، ولكن لم وصل إليها جبريل والملائكة ومن لا نعلمه؛ إذ لم يأت دليل من الله ولا رسوله على أن ذلك الحمى ممنوع إلا من الرسول -عليه السلام-، كما أننا لا نسلم أن رسول الله ارتقى رقيا خرج به من الجنة، بل جاء ما يبين أنه لم يصل إلى منزلة في الجنة وقتئذ، ويدل له ما في صحيح البخاري عن سمرة أن جبريل وميكائيل -عليهما السلام- قالا له لما سألهما تفسر رؤيته: (ارفع رأسك فقال: فرفعت رأسي، فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذلك منزلك، قال: دعاني أدخل منزلك، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته دخلت منزلك)[1]، وهذا وقع بالمدينة بعد الإسراء بزمان.

قول الباجوري: إنه يحتمل أن المراد التقديم في الرتبة الخ.

يقال عليه: التقديم في الرتبة والمكانة ليس من الأنبياء له، بل هو من الله تعالى.

وثانيا: الاستدلال بآية ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [سورة آل عمران:الآية٨١]، لا ينهض دليلا للشارح على ذلك التقديم؛ إذ الرسول هناك

---

(١) رواه البخاري، باب: ما قيل في أولاد المشركين (١٠٠/٢).

الصحيح أنه ليس بمخصوص بواحد كما تقدم البحث في ذلك، كما أن الميثاق في الآية على النصرة والإيمان لا على التقديم في الرتبة.

وثالثا: هذا التفسير لكلام الناظم لي مناسبا للموضوع؛ إذ الموضوع للإسراء، والتقديم المناسب له التقديم في الصلاة.

وقوله: ويحتمل أن المراد التقديم في الحس والخارج.

(بحث) يقال عليه: قد تقدم أن هذا هو المناسب للموضوع، غير أن فيه ما يحتاج إلى دليل يصححه في قوله عن إبراهيم -عليه السلام-: (بهذا فضلكم محمد)[1]، وما ذكره من الخلاف في حضور الأنبياء بالأرواح والأجسام أو بالأرواح فقط.

(بحث) يقال عليه: المؤيد هو الثاني بما أيدناه به في كتابنا "الاستفاضة"[2] في أن النبي لا يرى بعد وفاته يقظة، كما أن استثناءه من الخلاف إدريس وعيسى -عليهم السلام-، وأن حضورهما بهما مرتب على رفعهما إلى السماء حيين، وهو في إدريس ضعيف، وفي عيسى مشهور، ولكن الراجح خلافه، وينبئ على قوله هذا فيهما دعوى الاستثناء من قاعدة كل ميت يقبر في المكان الذي أخذت منه تربته؛ إذ لا خبر لهما في السماء فيه تلك التربة، أو دعوى أن عيسى -عليه السلام- سيرجع/[١١٠] إلى الأرض، ثم يموت فيدفن على وفق تلك الكلية.

وقول الناظم: تقديم مخدوم على خدم.

(بحث) يقال عليه: الصواب تقديم من له الحق في التقديم على غيره؛ إذ رسول الله إذ ذلك هو رسول الوقت والكل تابع له حينئذ، فتقديمه للصلاة هو أحق به كالسلطان يكون مع رعيته، ورب المنزل مع أضيافه، وإن شاء وأقدموا الغير، ولو كانت القصة في نبوة موسى -عليه السلام- مثلا، لكان أحق بالتقديم وليس هو من باب تقديم مخدوم على خدم المؤذن بأن الأنبياء -عليهم السلام- بمنزلة خدمه وحشمه، ولاسيما مع اعتقاد هؤلاء كغيرهم أن الفضل الذي بيدهم إنما هو مستعار منه، وكمال من كمالاته.

وقوله: في موكب كنت فيه صاحب العلم.

---

(١) رواه البزار في مسنده، مسند أبي حمزة أنس بن مالك (٨/١٧).

(٢) مخطوط.

يقال عليه: صريح بعض أحاديث الإسراء أنه كان مع جبريل -عليهم السلام- فقط، كما قال: (فانطلقت أنا وجبريل)[١]، إلا أن يكون الموكب يطلق على الاثنين لغة، فيسلم للناظم، كما أن قوله: صاحب العلم، أي: صاحب الفضل بمحمد على خلاف في الأفضلية بين الملائكة والرسل كما تقدم.

وقال الباجوري على قوله: حتى إذا لم تدع شأوى لمستبق الخ (بحث) : "وحاصل المعنى: أنه صلى الله عليه وسلم لم يزل يصعد إلى مقام للقرب، فلم يترك فيه غاية من القرب لطالب السبق، ولم يترك درجة لطالب رفعة، وذلك المقام هو أعلى مقامات القرب، وهو المعبر عنه فيما تقدم بقاب قوسين"[٢]. انتهى.

(بحث) ونحن نقول عليه: أولا: قوله: لم يترك فيه غاية من القرب لطالب السبق الخ.

يقال عليه: لو جاءنا من الله ورسوله ما يدل على هذا دلالة صريحة لكان على الرأس والعين، وحين لم يجيء فمن التوحيد أن الله لا يعجزه شيء، وأن الحكم له لا لغيره.

وعليه، فيمكن إن لم يقع أن يصل غير النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى هذه الغاية وهذه الدرجة، كما يمكن أن يزيد هو وغيره عليهما.

قوله: وذلك المقام هو أعلى مقامات القرب وهو المعبر عنه بقاب قوسين الخ.

(بحث) يقال عليه: تقدم ما في قاب قوسين، كما تقدم أن هذا القرب الأعلى ممن وجوابه.

وقول الناظم: خفضت كل مقام بالإضافة الخ/[١١١].

(تعقيب) يقال عليه: ليته عبر بجميل العبارة، وهو أن يقول: نصبت كل مقام؛ لأنه إذا كانت له الرتبة العالية وهي الرفع فليترك للرسل -عليهم السلام- واسطة الإشكال وهو النصب، لا أن يصف مقاماتهم بأسفل الإشكال وهو الخفض.

كما أن قال في شرح هذا البيت بعد كلام: "وإياك أن تعتقد أن غيره

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، مالك بن صعصعة الأنصاري (٢٧١/١٩).

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٦٥.

صلى الله عليه وسلم من الأنبياء ليس متصفا بالكمال؛ لأن ذلك كفر، فالواجب عليك أن تعتقد أنهم متصفون بالكمال لكن نبينا أكمل"[١]. انتهى.

(بحث) ونحن نقول عليه: في الأمثال السائرة "أقر الخصم وارتفع النزاع"، ولكن أقر هنا ولم يرتفع النزاع؛ إذ لا يرتفع إلا إذا أقر الخصم بأن ما وقع منه في حق الأنبياء خطأ منه أو جهل، تاب إلى الله منه، وإذا لم يقع منه هذا، فقد سلم النقصان في الأنبياء الذي قدمه هو وغيره، ودعوى أن ذلك ليس بنقصان تقدم ما يرده من أنه إذا لم يكن ذلك نقصانا في حقهم، فلا نقصان فيه إلا إذا وصفوا بصفة أسفل الخلائق، حاشاهم وحاشا كل مؤمن، فضلا عن عالم من ذلك.

وقال الباجوري على قوله: كيما تفوز بوصل أيَّ مستتر عن العيون وسرّ أيّ مكتتم، بعد كلام: "وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة النجم:الآية١٠]، كما يدل على ذلك حديث عائشة -رضي الله عنها- حيث قالت: "يا رسول الله ما الذي أوحى إليك ربك؟" قال: (﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة النجم:الآية١٠]، قال: (يا عائشة! أتدرين أن تعلمين ما لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل ولا نبي ولا ملك مقرب؟)، فقلت: أسألك بأبي بكر إلا ما أعلمتني فقال: (إني لما كنت قاب قوسين قلت: اللّهم إنك عذبت الأمم بعضهم بالحجارة، وبعضهم بالمسخ، وبعضهم بالخسف، فما أنت فاعل بأمتي؟ فقال: ((أنزل عليهم الرحمة من عنان السماء، وأبدل سيئاتهم حسنات، ومن دعاني منهم لبيته، ومن سألني أعطيته، ومن توكل علي كفيته، وفي الدنيا أستر على العصاة، وفي الآخرة أشفعك فيهم، ولولا أن الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما عاتبت أمتك))، ولما أردت الانصراف قلت: يا رب لكل قادم من سفرة تحفة، فما تحفة أمتي؟ قال الله: ((أنا لهم ما عاشوا، وأنا لهم إذا ماتوا، وأنا لهم في القبور، وأنا لهم في النشور))[٢]، كذا في بعض الشروح. وذكر

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٦٥.

(٢) لم أقف له على أصل في كتب السنة، ولعله من وضع المتصوفة، وظاهر الحديث واضحٌ ببطلانه، وحكم عليه الشيخ التنيفي بالوضع. انظر: ص٢٧٨.

جمع/[١١٢] من الشراح ما نصه: وهذا السر مأخوذ من حديث (علمني ربي ليلة الإسراء علوما شتى، فعلم أخذ علي كتمانه، وعلم خيرني فيه، وعلم أمرني أن أبلغه)[١].

قال علي رضي الله عنه: فكان يشير إلى أبي بكر وعمر وعثمان وإلي ما خير فيه، لكن لم يوقف على أصل لذلك في كتب الحديث"[٢]. انتهى، الباجوري.

وروي عن كعب الأحبار أو مثله أن الله قال لرسوله ليلة الإسراء: ((إن الجنة محرمة على الأنبياء وأممهم حتى تدخلها وأمتك))[٣] أو كما قال.

ونحن نقول عليه أولا: قوله: وهذا مأخوذ من قوله الخ.

يقال عليه: تقدم أن الآية في أفق مكة لا في الإسراء، وارتقاء رسول الله المعلل بهذه العلة وغيرها.

ثانيا: هذا الوحي هو من جبريل إلى عبده، أي: عبد الله، لا من الله بلا واسطة جبريل، كما يدل عليه سياقكم كما أنه في أفق مكة.

ثالثا: قوله: يا عائشة أتريدين أن تعلمي الخ.

يقال عليه بعد تسليم: إن عائشة صدر منها ذلك السؤال: كيف لا يعلمه جبريل مع أنه الذي جاء به إلى رسول الله، وغيره ضعيف أو كاذب، ولو سلمناه لما لزم أن لا يعلمه جبريل ولا غيره.

رابعا: قوله: وسألتك بأبي الخ.

يقال عليه: كيف تسأله بأبيها دون أن يراعى قدرها، وأبوها وإن زاد في حب رسول الله شرعا، فقد جمعت هي بين حبه لها شرعا وطبعا.

خامسا: قوله: إني لما كنت قاب قوسين قلت: اللهم الخ.

يقال عليه: تقدم ما في قاب قوسين من أنها في أفق مكة لا في أفق

---

(١) انظر: روح البيان، عند قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾ ٢٠٨/٤. وحكم النتيفي على هذا الحديث بالوضع فيما يأتي ص٢٧٨.

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٦٦.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، باب: ما أعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم (٣٢٧/٦)، ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم (٣٤٠/١).

السموات، هذا الصحيح.

سادسا: قوله: اللّهم إنك عذبت الأمم الخ.

يقال عليه: إنزال الله رحمته على عباده موجود في كل زمان وإن تفاوتت، وتبديل السيئات حسنات ليس على إطلاقه فيهم ولا في غيرهم، وإنما هو لمن تاب، كما جاء في آية ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ [سورة الفرقان:الآية٧٠]، ولو ورد دليل لتخصيص هذا بالتائبين من الأمة لقيل، وكذا من دعاه لباه، ومن سأله أعطاه، ومن توكل عليه كفاه في كل أمة، وستره على العصاة عام كذلك، وقد لا يلبي ولا يعطي ولا يكفي ولا يستر لحكم وأسباب قدرها سبحانه في كل من عباده، وكذا الشفاعة ثابتة لكل نبي وغيره من الشفعاء، وإن تكاثرت في حق بعضهم كرسول الله وعمت منه في بعضها، وقد جاء في الخبر الصحيح: أن الله لم يرفع عن هذه الأمة إذاقة بعضهم بأس بعض، وأن يلبس/[١١٣] بعضهم شيعا، كما هو قادر على أن يبعث عليهم عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم[(١)].

وقد جاء في الخبر أن المسخ يقع في هذه الأمة كما جاء في بعض الأخبار، وإن قيل فيها ما قيل: إذا فعلت أمتي خمسة عشرة خصلة حل بها البلاء، فذكرها وختمها بقوله: (فليرتقبوا عند ذلك خسفا أو مسخا أو

(١) اللفظ بالنص: قَالَ عَمْرٌو: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ: (أَعُوذُ بِوَجْهِكَ)، ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ: (أَعُوذُ بِوَجْهِكَ)، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ: (هَاتَانِ أَهْوَنُ، -أَوْ أَيْسَرُ-). رواه البخاري باب: في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ (١٠١/٩).

ريحا حمراء)[1].

وبالجملة فهذا الحديث لم تثبت صحة سنده ولا متنه -أعني: حديث عائشة المذكور-، وعليه فمؤاخذة الله لمن يؤاخذه من هذه الأمة ليس مجرد عتاب من حبيب لحبيبه كما أفصح به آخر.

سابعا: قوله: قال الله: (أنا لهم ما عاشوا) الخ.

يقال عليه: أما مطلق معية الله مع عباده بعلمه وقدرته وتصرفه، فلا يخلو منها جيل ولا أمة ولا فرد ولا جماعة في الحياة والممات وفي القبور والنشور، ولذلك من يستحق الرحمة رحم، ومن يستحق العذاب عذب منهم كلهم، وأما معيته مع أوليائه وأحبابه بالقرب والرحمة والفضل والنعمة بعامة أيضا، وإن تفاوتت بحسب أعمالهم وفضل الله عليهم.

ثامنا: قوله: وهذا السر مأخوذ من حديث: علمني ربي الخ.

يقال عليه: هذا الحديث موضوع عند أهل العلم، وقد تعرضنا للبحث فيه قبل هذه الكتابة.

تاسعا: قوله: قال علي: كان يسر إلي وإلى عمر إلى آخره.

يقال عليه: المبني على الموضوع ظاهر الوضع، ويوضحه أنه لا سند لعلي صحيح في ذلك، كما أنه مخالف لما روي في الصحيح عن علي -رضي الله عنه- أنه قيل له: "أخصكم رسول الله أهل البيت بشيء؟ قال: لا إلا ما في هذه الصحيفة، وفهم أوتيه رجل في كتاب الله"[2]، أو

---

(١) رواه الترمذي، باب: ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف (٤٩٤/٤)، وأخرجه ابن الأثير في جامع الأصول في أحاديث الرسول (٤١٠/١٠)، وقال العلامة الألباني في (السلسلة الضعيفة): ضعيف الإسناد (٣١٢/٣).

(٢) ورد الحديث بلفظين عند البخاري بلفظ:

أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لاَ وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي القُرْآنِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ»، قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: «العَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَأَنْ لاَ يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ» رواه البخاري، باب:فكاك الأسير (٦٩/٤).

-ولمسلم بلفظ:

=

كما قال، والصحيفة فيها أحكام شرعية معروفة عند الصحابة والأمة، وذلك بمعنى أنه لم يخصنا بشيء، ويدل لهذا أن الباجوري نفسه قال: "لكن لم يوقف على أصل لذلك في كتب الحديث"[١]. انتهى.

بيد أنه يقال له: ولم أطلت هنا بما لا أصل له؟ فكأن من حقك رفضه لا كتبه، كما أقول في رواية كعب الأحبار المذكورة: الحديث لم تثبت صحته سلمناه، ولكن ليس على إطلاقه، بل دخل الجنة الأنبياء ومؤمنو أممهم، وأولهم آدم وحواء -عليهم السلام- قبل بعثة رسول الله بزمان طويل، والأكثر أن ذلك لأرواحهم، وقد قيل في بعضهم/[١١٤]: بأجسادهم كما تقدم، وليست الجنة إلا السموات وما فوقها، وهي مساكين أرواحهم منذ ما انتقلوا من هذه الدار.

نعم، إن قيد ذلك بيوم القيامة، فيقال عليه: جاء في حديث البخاري (فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته)[٢]، وقد رأيت لبعضهم في تفسير هذا الحديث عن القرطبي: أن أول من يدخل الجنة رسول الله، ثم الأنبياء، ثم الأمة المحمدية ثم ثم ...[٣]، فتظهر الأولية حينئذ بهذا الاعتبار.

ثم قال الناظم:

فحزت كل فخارٍ غير مشترك وجزت كل مقام غير مزدحم
وجلَّ مقدار ما أوتيت من رتب وعز إدراك ما أوليت من نعم[٤]

=

عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: سُئِلَ عَلِيٌّ، أَخَصَّكُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ؟ فَقَالَ: مَا خَصَّنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ لَمْ يَعُمَّ بِهِ النَّاسَ كَافَّةً، إِلَّا مَا كَانَ فِي قِرَابِ سَيْفِي هَذَا، قَالَ: فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً مَكْتُوبٌ فِيهَا: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ سَرَقَ مَنَارَ الْأَرْضِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا» رواه مسلم باب:تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله (١٥٦٧/٣).

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٦٦.

(٢) رواه البخاري: باب: فضل السجود (١٦٠/١).

(٣) هكذا وجد في المخطوط. ولم أقف على هذا التفسير.

(٤) انظر: شرح البردة ص١٢٣.

وقال الباجوري: "وحاصل المعنى: فبسبب ما نلت من تلك المرتبة جمعت كل ما يفتخر به من الفضائل المختصة بك، وعبرت وتجاوزت كل رتبة غير مزدحم فيها؛ لأنه لا يصل إليها غيرك"[1]. انتهى.

(تعقيب) ونحن نقول عليه وعلى كلام ناظمه: إن كان المقصود بكل فخار وكل مقام ما اختص به رسول الله فواضح، ولكن ليس ذلك بخاص به، بل كان رسول وملك قل وغيرهما يختص بما خصه الله به من الفخارات والمقامات والعلوم والفوائد، وهذا ما يظهر من كلام الشارحين، حيث زاد لفظتي مختص ومستقل وإن كان معناه ما يظهر من كلام الناظم: وأنه لا يشاركه أحد في كل الفخارات والمقامات التي أوتيها، كان ذلك معارضا لما قدمناه في قوله: ولم يدانوه في علم ولا كرم، كما أن قوله: وعز إدراك ما أوليت من نعم، يقال عليه: ليس ذلك على الله بعزيز، ولا جاء عن الله ورسوله أن ذلك وإن كان لا يؤتاه أحد، والنصوص التي جاءت تؤذن بأن الله فضل رسوله على الثقلين؛ فضلا منه ورحمة، ولو شاع لفعل ما شاء؛ إذ لا معقب لحكمه، ولا راد لإرادته.

ثم قال الناظم بعد أبيات كثيرة لا تعلق لبحثنا بها:

إن آت ذنبا فما عهدي بمنتقض من النبي ولا حبلي بمنصرم
فإن لـي ذمـة منـه بتسميتي محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم[2]

قال الأزهري: "معنى البيتين: إن عدت بعد توبتي وأتيت ذنبا، فإني أرجو غفرانه، فإن نقضي/[١١٥] التوبة لا ينقض عهدي من النبي، ولا يقطع سبب الوصلة به، فإن لي أمانا منه بسبب تسميتي باسمه الشريف، وارتكاب الذنب لا يقطع التسمية، فإنه أكثر الناس وفاء بالعهد"[3]. انتهى.

(نقد) ونحن نقول عليه: أولا: اقتصرنا على كلام الأزهري هنا؛ لوضوحه وموافقته لظاهر الناظم دون كلام الباجوري في المعنى؛ لما فيه من التخليط وخفاء المعنى.

ثانيا: ما حمله الأزهري عليه من نقض التوبة بالذنب لا دليل على

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٦٦.

(٢) انظر: شرح البردة ص١٣١.

(٣) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٨٠.

تخصيصه بهذا الحمل، بل يشمل ذلك ذنب التائب وغير التائب، والعلة مناسبة للكل.

ثالثا: ما يقال لقائل هذا ومسلمه: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ [سورة البقرة:الآية٨٠]، وعهد رسول الله هو عهد الله ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة البقرة:الآية٨٠]، ولو صح قولكم هذا، لصح عن رسول الله من غير تردد ما معناه أني متكفل لمن تسمى بمحمد أو أحمد مثلا، أن لا ينقض العهد بيني وبينه، ولا تنقطع الوصلة بيننا كذلك بسبب تلك التسمية، وهذا لا يوجد، ومن زعم وجوده فليذكره، وعدم ذكره له عند الحاجة إليه دليل على نفي علمه به.

رابعا: قوله: وهو أوفى الخلق بالذمم.

(بحث) يقال عليه: نعم أوفاهم بالذمة والجوار فيما أقدره الله عليه، لا فيما لم يكن في طاقته.

خامسا: يترتب هذا على ما قبله من أن رسول الله تكفل بذلك الجوار وتلك الذمة، ولكن أين المفصح بذلك منه؟

أقول: وقد ذكر الباجوري بعد كلام ما نصه: "وقد جاء في ذلك أحاديث؛ فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يوقف عبدان بين يدي الله فيأمر بهما إلى الجنة، فيقولان: ربنا بما استاهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة؟ فيقول الله: عبداي ادخلا الجنة فإني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد أو محمد)[1]، وعن جعفر بن محمد: (إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ألا ليقم

---

(١) رواه ابن الجوزي، وقال: هذا حديث لا أصل له.انظر: الموضوعات (١٥٧/١) رواه السيوطي، وقال: موضوع. وَصدقَة لَا يُحتج بِهِ؛ يقلب الْأَخْبَار، (قلتُ) قَالَ الذَّهَبِيّ: الآفة فِيهِ من شيخ ابْن بكير وَهُوَ الذَّرَاع كَذَّاب، قَالَ: وَصدقَة وَأَبوهُ لَا يعرفان.
وَقَالَ فِي اللِّسَان: قَالَ الْخَطِيب: صَدَقَة روى عَنْهُ أَحْمَد بْن عَبْد الله الذِّرَاع أَحَادِيث مُنكرَة وَالْحمل فِيهَا عَلَى الذِّرَاع، وَصدقَة شيخ مَجْهُول.
انظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة٩٧/١.

من اسمه محمد فيدخل الجنة كرامة لاسمه صلى الله عليه وسلم)[١]، وفي لفظ آخر (ينادى يوم القيامة يا محمد فيرفع رأسه في الموقف فيقول الله: أشهدكم أني غفرت لكل من اسمه على اسم محمد)[٢]، وعن أبي أمامة: (من ولد له مولد فسماه محمدا تبركا كان/[١١٦] هو ومولده في الجنة)[٣]، رواه صاحب الفردوس[٤]، وعن علي بن أبي طالب قال: (ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدس الله ذلك المنزل مرتين)[٥]، وبالجملة فالتسمية باسمه صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الله بن بكير البغدادي الصيرفي (المتوفى: ٣٨٨هـ) في كتابه (فضائل التسمية بأحمد ومحمد)، ونقل الملا علي القاري في "الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة" ١/ ٤٠٧ عن الصنعاني قوله: الأحاديث التي تروى في التسمية بأحمد لا يثبت شيء منها.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ؛ لكن وقفت ما بنحوه، ما أخرجه السيوطي في كتابه اللآلئ المصنوعة في الأحاديث المرفوعة ٩٧/١: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا محمد! قم فادخل الجنة بغير حساب، فيقوم كل من اسمه محمدٌ فيتوهم أن النداء له، فلكرامة محمدٍ لا يمنعون).
قال السيوطي: هذا معضل، سقط منه عدة رجال، والله أعلم.

(٣) رواه ابن الجوزي في الموضوعات (١٥٧/١)، وقال: فِي إِسْنَادِهِ هَذَا الْحَدِيثِ مَنْ قَدْ تُكُلِّمَ فِيهِ، وقال العلامة الألباني: موضوع، السلسلة الضعيفة (٣١٩/١).
لم أقف على هذه الرواية في مسند الفردوس.

(٤) شهردار ابن شِيْرَوَيْه بنُ شَهْرَدَارَ بنِ شِيْرَوَيْه بنِ فَنَّاخُسْره، الإمام العالم المحدث المفيد، أبو منصور ابن الحَافِظِ المُؤَرِّخ أَبِي شُجَاع الدَّيْلَمِيّ الهَمَذَانِيّ، مِنْ ذُرِّيَّة الضَّحَّاك بن فَيْرُوْز الدَّيْلَمِيّ -رَضِيَ اللهُ عنه. أَجَازَ لَهُ عَامَ مَوْلِدِهِ بِاعْتِنَاء وَالِدِهِ أَبُو بَكْرٍ بنُ خَلَفٍ الشِّيْرَازِيّ، وَأَبُو مَنْصُوْرٍ المُقومِيّ سَنَة٤٨٣.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٤٣/١٥.

(٥) أخرجه: أبو عبدالله البغدادي الصيرفي في كتابه فضائل التسمية بأحمد ومحمد ١٦/١، نقل الملا علي القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ١/ ٤٠٧ عن الصغاني، قوله: الأحاديث التي تروى في التسمية بأحمد لا يثبت شيء منها.

أمر مندوب إليه"[١] انتهى.

(نقد) ونحن نقول عليه: أولا: هذه الأحاديث المذكورة هنا كغيرها في هذا المعنى موضوعة.

قال ابن الجوزي في الأول: موضوع، وصدقة بن موسى لا يحتج به، يقلب الأخبار[٢].

قال السيوطي: قال الذهبي: الآفة فيه من شيخ ابن بكير، وهو الذي رام كذاب ضال، وصدقة وأبوه لا يعرفان.

قال الخطيب: صدقة بن موسى روى عنه أحمد بن عبد الله الذراع أحاديث منكرة والحمل فيها على الذراع وصدقة شيخ مجهول، وقال في الثاني: معضل، سقط منه عدة رجال[٣].

أقول: ورواية جعفر بن محمد مرسلة، ففيه العضل والجهل والإرسال، وقال في الثالث: في إسناده من تكلم فيه.

قال السيوطي: قلت: هذا مثل حديث ورد في الباب وإسناده حسن، ومكحول من علماء التابعين وفقهائهم، وثقه غير واحد، واحتج به مسلم في صحيحه، وبرد بن سنان يروي له البخاري في الأدب والأربعة، ووثقه ابن معين والنسائي، وضعفه ابن المديني، وقال أبو حاتم: ليس بالمتين وقال مرة: كان صدوقا قدريا، وقال أبو زرعة: لا بأس به والله أعلم[٤]. انتهى.

قلت: في هذا الحديث ما قال ابن الجوزي في إسناده من تكلم فيه، كما أن فيه مخالفة لقوله سبحانه: ﴿يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْـًٔا﴾ [سورة لقمان:الآية٣٣]، وإذا كان لا إجزاء بالعمل الصالح ولو بلغ ما بلغ فكيف به بمجرد التسمية؟ وقول السيوطي: في سنده مكحول وهو من علماء التابعين وفقهائهم، يقال عليه: ليس الآفة من

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٨١.

(٢) الموضوعات ١/١٥٧.

(٣) اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة١/٩٧.

(٤) اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة١/٩٧.

مكحول وإنما هي من غيره، كما أن قوله: برد بن سنان الخ.

يقال عليه: توثيق ابن معين له مقابل بتجريح غيره له، والمجرح مقدم على المعدل كما يقال في قول السيوطي: هذا مثل حديث ورد في الباب وإسناده حسن.

(بحث) يقال عليه: إذا استحسنته وجعلته حجة، فلم لم تسم نفسك محمدا أو أحمدا، أو ولدك إن لم تسمه كذلك، حيث فاتتك الفرصة في تسمية نفسك بذلك مع أنها لا تفوت؛ إذ قلب الأسماء إلى أحسن منها/[١١٧] ربما كان حسنا، وكيف لا يدفع العاقل عن نفسه الكلف والمشاق العظيمة في الدنيا والعذاب في الآخرة بشيء بسيط؟، ونسبة الحديث من الباجوري إلى صاحب الفردوس فيها أن صاحبه يروي الموضوعات كما تقدم. وقال في الرابع في أحاديث المائدة التي معناها معنى حديث على هذا وإن اختلفت العبارات موضوعة، وأطال في ذكر وضاعها، وبعض بحث السيوطي معه ضعيف، ومع ضعفه يقال عليه ما قيل له في ذكره الحديث المذكور بإسناد حسن، وكذا ذكر حديث: (من ولد له ثلاثة أولاد فلم يسم أحدهم محمدا فقد جهل أو جفا، وإذا سميتموه محمدا فلا تسبوه)[1] الخ.

وذكر وضع ذلك كله، ثم ذكر وضع ما في معنى هذا أيضا لا نطول بذكره، وقد وقع منا البحث في بعض الأحاديث الزائدة على هذا في هذا المعنى محدث الملائكة الطائفين بالبيوت الزائرين لكل شخص فيها اسمه محمد أو أحمد في كتاب "الإرشاد والتبيين"، فلنقتصر على هذا البحث فهو كاف.

ثانيا: صحة هذا المعنى وترتب ما ترتب عليها بجعل التكاليف الشرعية مقصورة على غير من تسمى بهذين الاسمين وذلك باطل.

---

(١) قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ. قَالَ الْمُصَنِّفُ: قُلْتُ: قَالَ يَحْيَى، وَأَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الْعُمَرِيُّ كَذَّابٌ. وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ: يَرْوِي الْمَوْضُوعَاتِ عَنِ الأَثْبَاتِ؛ أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات١/١٥٤.
قال العلامة الألباني: موضوع. انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٨٤٨/١).

ثالثا: لو صح هذا لبادر الذي جاء عنهم إليه، وما سقناهم إليه، وهم أعلم وأعقل منا، وأسبق إلى التيسير والتعرض إلى فضل الله ورخصته، وسموا أنفسهم وأولادهم بتلك الأسماء، ولكننا رأينا رسول الله سماه بعد النبوة إبراهيم ولم يسمه محمدا ولا أحمد، ورأيناه وعليا وفاطمة -عليهم السلام- سموا أولادهم حسنا وحسينا ومحسنا، وما بادروا إلى ذلك الفوز العظيم، ورأينا جعفرا -رضي الله عنه- سمى ابنه عبد الله، ولا مانع من أن يقلب الخلفاء الأربع أسماءهم إلى هذا الاسم الذي تنال به السعادة في الدنيا والآخرة بدون عمل، كما يكون البحث مع شارحي البردة حيث لم يسميا أنفسهما بذلك الاسم، بل أحدهما سمي خالدا والآخر إبراهيم، ولا يقال: إن ذلك من الآباء؛ لأنا نقول: إذا كان هذا الاسم مشهورا بهذه المزية في الإسلام، فكيف يخفى على أبويهما سلمناه ولكن ما المانع من تجديد التسمية.

رابعا: لم لم يثبت هذا الفضل لمن سمي بعبد الله وعبد الرحمن/[١١٨] وهذا في كل الأسماء المضافة إلى الله، مع أنه إذا صح حديث (خير الأسماء ما عبد وما حمد)[١]، كان ذلك متساويا فيهما.

خامسا: دعوى الباجوري أن التسمية بهذين الاسمين مستحبة.

(بحث) يقال عليه: لا يناسب ذلك هذا الفضل العظيم، وإنما المناسب له الإيجاب؛ إذ الإنسان غالبه غير قوي على التكاليف، وتركها ينزل به العذاب والمصائب من ربه، ودفاع الإنسان عن نفسه ما يضره واجب عليه، وهو هنا إما بالعمل الصالح -وقليل ما هم- وإما بهذين الأمر الهيّن، وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما[٢].

ثم قال الناظم:

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه   أو يرجع الجار منه غير

---

(١) قَالَ السُّيُوطِيُّ لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ. انظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (١٩٣/١). قال العلامة الألباني: لا أصل له.انظر: السلسلة الضعيفة (٥٩٥/١).

(٢) رواه البخاري، باب: إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله (١٦٠/٨).

محترم[1]

(بحث) وهذا يقال عليه: ذلك فيما جعله الله في يده لا في غيره، وإلا فقد قال له: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦]، وقاله له: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [سورة آل عمران:الآية١٢٨].

ثم قال الناظم بعد:

ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه وجدته لخلاصي خير ملتزم[2]

قال الباجوري بعد كلام: "وتقدير البيت: وجدت النبي -صلى الله عليه وسلم- في الزمن الذي ألزمت فيه أفكاري مدائحه خير ملتزم لخلاصي من جميع الشدائد التي تصيبني. إلى أن قال: وإنما كان صلى الله عليه وسلم خير ملتزم لخلاصه من الشدائد؛ لأنه وفى بخلاصه منها على أحسن الوجوه وأتمها، وأشار المصنف بذلك إلى الداء الذي أصابه وهو داء الفالج والعياذ بالله تعالى منه، وكان هو السبب في إنشاء هذه القصيدة.

فإنه لما أصيب به عملها فرأى النبي -صلى الله عليه وسلم- في النوم ومسح بيده الكريمة عليه، فعوفي، فلما استيقظ قال له بعض أصحابه الصالحين: أسمعني القصيدة التي مدحت بها النبي -صلى الله عليه وسلم- فلقد سمعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل مثل القضيب"[3].

ثم قال الناظم:

ولن يفوت الغنى منه يدًا تربت إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم

ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت يدا زهير بما أثنى على هرم[4]

قال الباجوري بعد كلام: "وإنما لم يفت الغنى منه صلى الله عليه

(١) انظر: شرح البردة: ص١٣١.

(٢) انظر: شرح البردة: ص١٣٢.

(٣) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٨٢.

(٤) انظر: شرح البردة: ص١٣٢.

وسلم اليد المذكورة؛ لعموم الغنى منه صلى الله عليه وسلم لجميع الأيدي التي تكون كذلك، ومنها يد الناظم وقد استدل/[١١٩] على ذلك بقوله: إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم، ووجه الاستدلال بذلك أنه كما يشاهد محسوسا أن الحيا بالقصر الذي هو المطر ينبت الأزهار جمع زهر. إلى أن قال: مع كونها ليست مظنة النبات؛ لعدم استقرار الماء عليها لعلوها، كذلك صلى الله عليه وسلم ينيل الغناء من ليس مظنة الغناء وهو اليد التي تربت، وإنما أنبت الحياء الأزهار في الأكم مع أنها مظنة عدم النبات بسبب عدم استقرار الماء عليها، وسرعة إعذاره عنها؛ لعمومه حتى للأكم، والتشبيه المذكور إنما هو على سبيل التقريب، وإلا فهو عليه الصلاة والسلام لا يحيط بحقيقة كماله إلا الله تعالى"[١].

وقال في قوله: ولم أرد زهرة الدنيا الخ: "لما كان قوله: ولن يفوت الغناء الخ، يوهم التعريض بطلب شيء من حطام الدنيا، دفع هذا التوهم بقوله: ولم أرد زهرة الدنيا الخ، أي: وإنما أردت الغناء منه في الآخرة بالشفاعة في المذنبين"[٢].

ثم ذكر كلاما لم يحتج إلى ذكره إلى أن قال في شأن هرم: "هو أحد أجواد العرب، وكان أحد ملوكهم، وهو ابن سنان بن حيان[٣]، وكان يصل زهيرا بالصلاة الجزيلة الخارجة عن العادة، فقد حلف أنه كلما مدحه أعطاه غرة عبدا أو أمة أو قيمتها، وأنه كلما سلم عليه يعطيه كذلك"[٤]، إلى أن قال: "وكل هذا لم يرده الناظم؛ إجلالا لمدحه صلى الله عليه وسلم عن ذلك؛ إذ لا يتوسل بالعظيم إلا لنيل عظيم"[٥] انتهى.

وقال الأزهري: "معنى الأبيات الثلاثة: ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٨٢-٨٣.

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٨٣.

(٣) هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري، من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، من أجود العرب في الجاهلية، يضرب به المثل، توفي سنة ٦٠٨م.
انظر: الأعلام للزركلي ٨٢/٨.

(٤) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٨٣-٨٤.

(٥) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٨٤.

وجدته خير ملتزم لخلاصي من كل مكروه، وعطاه لا تفوت يد صغير ذي فاقة، فإن المطر إذا نزل إلى الأرض عم الصالح منها وغير الصالح، وأنبت الدياجين والأزهار على رؤوس المنازل وأطراف الروابي، وأنا على فقري ومسيس حاجتي ما أريد على مدحه شيئا من حطام الدنيا مثل ما حصل لزهير من هرم بن سنان بسبب ثنائه؛ حيث مدحه لحطام الدنيا الفانية، وإنما أريد الشفاعة من وزر البضاعة، وأقول: يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به الخ"[١]. انتهى.

ونحن نقول عليه: أولا: ما حكاه الناظم من أنه منذ ألزم أفكاره مدائحه عليه السلام إلا وهو يجد خير ملتزم لخلاصه من الكروب والنوائين، وشبه عموم خلاصه ولم يفت/[١٢٠] الغناء منه لعمومه يدا من الأيدي التاربة التي منها يده بالمطر بعمومه نفعه يقع على الأرض الصالحة للنبات وعلى غير الصالحة كر وسرا سربا[٢].

يقال عليه أولا: ما جعله الله تعالى في يده من ذلك كان يوصله إلى أهله على قدر طاقته وإمكانه وهو في ذلك غير بخيل على من تناله نعمته وما لم يجعله في يده فحكمه إلى ربه وذلك في الدنيا، وأما بعد وفاته فكل إلى خالقه ومتولى أمور عباده خلافا لما يقتضيه كلام الناظم هنا وتابعه.

ثانيا: ما يقتضيه كلام الناظم وشارحه من أنه حصل له بذلك الخلاص من كل النوائين والكروب والغناء في الدنيا والآخرة.

يقال عليه: هذا لا يتفق لأحد من الناس وحتى عباد الله الصالحين لو خلصوا من كروب الآخرة وحازوا كل نعمة لهم فيما لم يحصل لهم ذلك بتمامه في الدنيا.

ثالثا: ما يقال: تشبيه هذا العموم بعموم المطر المنبت للأزهار، يقال عليه: ليس بتمام في المشبه به؛ إذ هناك آكام وروابي وقيعان لا تنبت نباتا فضلا عن الأزهار ولو نزل ما نزل بها من المطر.

رابعا: قول الباجوري: والتشبيه المذكور إنما هو على سبيل التقريب وإلا فهو صلى الله عليه وسلم لا يحيط بحقيقة كماله إلا الله تعالى.

---

(١) انظر: شرح الأزهري مع حاشية الباجوري ص٨٣-٨٤.

(٢) هكذا وجدت في المخطوط، وليست واضحة كتابةً ولا معنى.

يقال عليه: تقدم ما فيه عند دعواهم عدم حصر كمالاته عليه السلام.

خامسا: قول الباجوري: ولما كان قوله يوهم التعريض بطلبه دفع هذا التوهم بقوله: ولم أرد زهرة الدنيا الخ.

يقال عليه: هذا بعد تسليمه بما فيه ما تقدم له من قوله: ولا التمست غنا الدارين من يده إلا استلمت الندى من خير مستلم، على أنه يقال له: أراد ذلك أو لم يرده أنه حصل على ما لم يحصل زهير من هرم على معشار عشره، وهو غنا الدنيا والآخرة وغنا الدنيا من زهرتها.

سادسا: ما ذكروا هنا من أنه أراد الغناء في الآخرة بالشفاعة في المذنبين. يقال عليه: كونه حائزا للغناء في الآخرة منه عليه السلام، ومخبر بذلك في حياته ينافي أن يكون من المذنبين إذ ذاك المحتاجين للشفاعة.

سابعا: قوله: إذ لا يتوسل لعظيم إلا لنيل عظم، يقال عليه: فقد توسل فيما تقدم به لغناء الدنيا، بل جاوز جواز سؤال الأعظم سبحانه الشيء التافه والعظيم/[١٢١] والأعظم، وكذلك الرسل -عليهم السلام-، فما المانع أن لا يسئل من الأعظم إلا العظيم أو الأعظم؟.

ثامنا: قول الباجوري: وأشار المصنف بذلك إلى الداء الذي أصابه الخ. يقال عليه: هذا ينافي كون خلاصي المذكور من كل مكروه.

تاسعا: قوله في إنشاء هذه القصيدة: فإنه لما أصيب الخ.

يقال عليه: هذا ينافي في كونه إنما أنشأها ابتغاء غنا الدار الآخرة، وهو الشفاعة كما تقدم؛ إذ قد يكون هذا وذاك بلا حصر في أحدهما.

عاشرا: قوله: فرأى النبي -صلى الله عليه وسلم- في النوم فمسح بيده الكريمة عليه إلى آخره.

يقال عليه: تقدم أن هذه الأحوال بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- من خصائص التصرفات الإلهية، ولكن الله لطيف بعباده، فقد يوصل إليهم نعمه، ويدفع عنهم نقمة سألوها أو لم يسألوها، توسلوا بغيره له أو لم يتوسلوا، وعليه فلا مانع أن يشفي الله سبحانه ضر البوصيري كغيره الذي لا كاشف له إلا هو، ولكن بأسباب منها الظاهرة كما هو معلوم ومنها غيرها، وقد يجعل في ذلك واسطة شخصية أو واسطة مثالية كأن تتمثل له للمريض الملائكة أو بعضهم، فيمسح عليه مناما أو يقظة فيبرأ بإذن الله، وقد يمثل له متوسل به كالنبي -عليه السلام- فيعمل

معه ذلك العمل، أو من يظنه أنه النبي، وهذا الأمر كله من الله[1]، وإلا فالنبي -عليه السلام- لا تفارق روحه الوسيلة والجنة، كما لا يفارق جسده روضته الشريفة، ويمكن أن يمثل الله المتوسل به أو الناصح لغيره ولو كان من غير الأحياء بمثال روحه في شكل يتراء الرائة مع علم الممثل بذلك، والله غالب على أمره، كما أن الشياطين قد يتمثلون للمتوسل والسائل حينما يشفى وتقضى حاجته بمن توسل به أو سأله؛ إضلالا له واستدراجا لغيره في ذلك الاعتقاد الفاسد من أن غير الله حيا أو ميتا صالحا أو طالحا يتصرف فيما لا يقدر عليه إلا الله.

الحادي عشر: قوله عن بعض أصحابه: أسمعني القصيدة التي مدحت بها النبي -صلى الله عليه وسلم- الخ.

يقال عليه: هذا إن صحت رؤيته كانت على التأويل المذكور، كما أننا لا نسلم فرح النبي -صلى الله عليه وسلم- وتمايله لكل ما فيها مع ما فيها مما نهانا/[١٢٢] عنه، كتنقيص الأنبياء ووصفه بصفات الإله سبحانه ومثل ذلك. ثم قال الناظم:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذ الكريم تَجلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم[2]

الثاني عشر: ما ألحق بما كتبناه على قوله: ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه، وهو قال: قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه: "فقول القائل: أن الاستغاثة به بعد موته ثابتة ثبوتها في حياته لزم من ذلك أن نطلب منه هذه الأشياء المذكورة وغيرها بعد موته، ووجب أن يفعلها بعد موته فيخرج في الغزوات، ويقيم الحدود، ويعود المريض، فاعلا ذلك ببدنه بعد مماته، كما كان يفعل ذلك في حياته، فهل يقول: هذا إنسان؟ أو يحتاج رد هذا إلى برهان؟ إلى أن قال: فليس عليه بعد موته أن يأمرنا ولا ينهانا ولا يعلمنا ولا يهدينا، وليس عليه بعد الموت فعل من الأفعال لا واجب ولا مستحب، كما ليس ذلك على غيره من الناس،

---

(١) هذا الكلام ليس بصحيح؛ لأن هذه الأمور من المغيبات، فلابد من دليل شرعي ينص عليها.
(٢) انظر: شرح البردة ص١٣٣.

بل الموت ينتهي به التكليف الثابت في الحياة بإجماع الخلق، فليس على نبي ولا غيره بعد موته أن يفعل كما كان يؤمر به في حال الحياة من واجب ومستحب وإغاثة الأمة، من جملة ما كان يفعله من الواجبات والمستحبات، فقد أدى وأبان ونصح، ولا يستطيع أحد أن ينقل عن أحد من الصحابة ولا من السلف أنهم بعد موته طلبوا منه إغاثة ولا نصرا ولا إعانة، ولا استسقوا بقبره، ولا استنصروا به كما كانوا يفعلون ذلك في حياته، ولا فعل ذلك أحد من أهل العلم والإيمان، ثم ذكر بعد هذا أن قوما جهالا قصدوا قبره عليه السلام لقضاء بعض حوائجهم، وهذا منهم غير مشروع غير أنه قضى لهم بعضها؛ لطفا من الله، ورعيا لضعف إيمانهم؛ إذ ربما وقعوا في شك فظن مثلهم أن رسول الله هو المتصرف في ذلك، إلى أن قال: فقد كان صلى الله عليه وسلم في حياته يعطي المؤلفة قلوبهم الأموال ولا يعطي خواص المهاجرين والأنصار الذين هم أحب إليه من الذين يعطي ويقول: (إني لا أعطي رجالا وأدع رجالا، والذين/[١٢٣] أدع أحب إلي من الذين أعطى، أعطى رجالا لما جعل الله في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكل رجالا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير)[١]، وقال: (إني لا أعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارا)، قالوا: يا رسول الله فلم تعطيهم؟ قال: (يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل)[٢]، ثم ذكر أن رسول الله أعطى لصناديد نجد وقريش عام حنين، إلى أن قال: فهل هذا العطاء منه لأجل هذه المصلحة مع قوله: (يتأبطها نارا)، فواجب لمدح من سأله واستحسان حاله، فإن كان هو في حال حياته يعطيهم مع أن الذي سأله مذموم على سؤاله إياه مذموم على ما أعطاه إياه معاقب على ذلك، والرسول مأجور على ذلك العطاء، امتنع أن يحتج أحد بإعطائه على جواز سؤاله هذا وهو في الحياة، فكيف بعد الموت؟ وإنما عليه ما حمل من التبليغ، وعلينا ما حملنا من طاعته، ومن طاعته أن نترغب إلى الله تعالى في جميع حوائجنا، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝ ﴾ [سورة

---

(١) رواه البخاري، باب: من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد (١٠/٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده، من حديث أبي سعيد، ٣/٤.

الشرح: الآية ٧-٨]، وقال لابن عباس: (إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)، ثم ذكر أن أكثر الصحابة وأفضلهم ما كانوا يسألونه شيئا من المال، وأنه كان ينهى عن كثرة السؤال، إلى أن قال: على أن هذا في حياتهم فكيف [بعد مماتهم][1]؟ ولم ينقل أحد من أهل العلم أن أحدا من السلف سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- شيئا بعد موته ولا عند غير قبره"[2].

وكذلك ثم ذكر ذم سؤال أهل المائدة وسؤال القائلين: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [سورة النساء:الآية١٥٣]، وسؤال ثمود صالحا -عليه السلام- الناقة[3] مع أن حجاب سؤالهم محمود، ثم ذكر ما يفيد أن الاعتداء في الدعاء منهي عنه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بسؤال المنتقلين من الدار الآخرة كرسول الله وغيره؛ إذ هذا لم يبق في أيديهم كله، ولم يبق ما كان في أيديهم في الدنيا في تلك الدار فهو اعتداء في الدعاء وتخريج لهم، ومن لنا بأنه يصل إليهم ذلك وبعد وصولهم يقبلونه، وبعد قبوله يقبل الله ذلك وينجزه في الحال أو في المستقبل، إلى غير ذلك[4]، فافهم وفقني/[١٢٤] الله وإياك للصواب.

ثم قال الباجوري: "يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم، قال: "وفي بعض النسخ: يا أكرم الرسل، ولكونه صلى الله عليه وسلم [أكرم الرسل وأكرم الخلق، اختص بالشفاعة العظمى، وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم][5] في فصل القضاء كما تقدم، وقوله:

---

(١) في المخطوط: بمماتهم، وما أثبتناه من كتاب الرد على البكري.

(٢) الرد على البكري: ١/١٩٥_٢٠٥.

(٣) ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٣﴾ [سورة الأعراف: الآية ٧٣].

(٤) ينظر: الرد على البكري ١/٢٠٥_٢٠٧.

(٥) ساقط من المخطوط، وما أثبت من حاشية الباجوري.

ما لي من ألوذ به سواك، أي: ليس لي أحد ألتجئ إليه غيرك، وقوله: عند حلول الحادث العمم، أي: عند نزول الحادث العام، أي: الشامل لجميع الخلق، والمراد بذلك الحادث هول يوم القيامة، فإن كلا من الرسل يقول حينئذ: نفسي نفسي، ويخبر بأن الله غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله، ولا يغضبه مثله بعده، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (أمتي أمتي)[1]، وقيل المراد بذلك: الحادث الموت"[2]. انتهى.

ونحن نقول عليه: أولا: قوله: وفي بعض النسخ: يا أكرم الخلق.

يقال عليه: يجري على الخلاف المتقدم وتقدم الراجح فيه.

ثانيا: قوله: وقوله: مالي من ألوذ به سواك الخ.

يقال عليه: وعليه له من يلوذ به سواه وغيره وهو الله تعالى، وقد جاءنا عن المرسلين وبالخاصة رسولنا أن لا نلوذ إلا بالله ولا نلتجئ إلا إليه، والخلق وإن التجأ بعضهم إلى بعض في بعض الأوقات وبعض الحوائج، فليس ذلك إلا لكون الله جعلهم واسطة في ذلك، ومع ذلك فقد يقضون حوائج من سألهم، وقد لا يقدرون على ذلك، وعليه فالالتجاء في الحقيقة ليس إلا لله، وقد قال عليه السلام لسيدنا العباس: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)[3]، الحديث، كما أمرنا أن نتعبد إليه في جميع صلواته بقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة:الآية٥]، إلى غير ذلك مما يدل على ما قلناه.

ثالثا: قوله: عند حلول الحادث العمم. إلى قوله: والمراد بذلك الحادث هو هول يوم القيامة.

يقال عليه: لا مفهوم لذلك الحادث، بل الالتجاء إلى الله واللياذ به مطلوب من كل أحد في الدنيا والآخرة وعند كل حادث خاص أو عام.

رابعا: ما ذكره من أن الأنبياء -عليهم السلام- يقول كل منهم: نفسي

---

(١) رواه البخاري، باب: كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (١٤٦/٩).

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٨٤.

(٣) رواه أحمد، مسند عبدالله بن العباس -رضي الله عنهما- (٤٨٧/٤)، ورواه الترمذي (٢٤٨/٤)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف الترمذي (١٦/٦).

نفسي، ورسول الله يقول: (أمتي أمتي)، كما يقول الجميع: اللهم سلم سلم، وذلك لا يدل على أن واحدا منهم فضلا عن كلهم لم يلوذوا إلا بالرسول هم وغيرهم لائذون بالله، وإنما/[١٢٥] سيسأل الخلق منهم الشفاعة لله ودعاءه؛ ليستريحوا من هول الموقف إلى ما بعده تتصل كل من ذلك، وأرسلهم إلى غيره حتى انتهى الأمر إلى من وعده الله بالشفاعة لهم فشفع.

خامسا: قوله: وقيل: المراد بذلك الحادث الموت. وهذا يقال عليه كما قيل فيما قبله: لا مفهوم له.

سادسا: تقدم أن سؤال الأموات والالتجاء إليهم كيفما كانوا غير مشروع، وقد لا يفيد إلا إضرارا لنفس السائل وتحريج المسئول.

ثم قال الباجوري على قوله: ولن يضيق رسول الله جاهك بي: "أي: بل هو رحب واسع يسعني ويسع كل عاص مثلي، فجد علي بالشفاعة؛ لتنقذني مما استحقه من العقاب"[1] انتهى.

ونحن نقول عليه أولا: قوله: فجد علي بالشفاعة.

يقال عليه: أولا: طلب الشفاعة اليوم ليس بمستقيم كما قدمنا، وإنما يطلب يوم القيامة، والطلب في الحقيقة من الله؛ إذ لا يشفع أحد إلا بإذنه.

ثانيا: من له جاه عظيم كجاه رسول الله لا يطلب منه خصوص الشفاعة من العقاب، بل يطلب منه دخول الجنة بلا حساب، فإن كان ولابد فبلا عتاب.

ثانيا: هذا ينافي ما سأله من رسول الله من غنى الدنيا والآخرة فأعطاه إياه.

ثم قال البوصيري[2] بعد كلام لا تعلق لبحثنا به في قوله:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم[3]

"هذا البيت تعليق للبيت قبله، فكأنه قال: وإنما كان جاهك يا رسول الله لا يضيق بي، بل يسعني وغيري من العصاة؛ لأن من جودك الدنيا الخ، ومن للتبعيض والمراد من الدنيا ما قابل الأخرى، ولذلك جعلها الناظم ضرتها، وفي كلامه تقدير مضاف، أي: خيري الدنيا وضرتها

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٨٤.

(٢) لعله يقصد الباجوري.

(٣) انظر: شرح البردة ص١٣٣.

التي هي الآخرة، فمن خير الدنيا هدايته صلى الله عليه وسلم للناس، ومن خير الأخرة شفاعته صلى الله عليه وسلم فيهم.

وقوله: ومن علومك علم اللوح والقلم، من جهة التعليل؛ لكون جاهه صلى الله عليه وسلم لا يضيق عنه؛ لأن لاشك أن العلم من أكبر أسباب عظم الجاه وعلوه، ويجوز أن يكون مستأنفا، ومن في قوله: ومن علومك/[١٢٦] للتبعيض أيضا، فهي للتبعيض في الموضعين، والمراد بعلومه صلى الله عليه وسلم: المعلومات التي اطلع الله عليها، فإنه تعالى اطلع على علوم الأولين والآخرين، والمراد بعلم اللوح والقلم: المعلومات التي كتبها القلم في اللوح بأمر الله تعالى فإنه ورد: (أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، من مات على غير ذلك فليس مني)[1]، أي: ليس على طريقتي، واستشكل جعل علم اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم بأن من جملة علم اللوح والقلم الأمور الخمسة المذكورة في آخرة سورة لقمان[2]، مع أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لا يعلمها؛ لأن الله قد استأثر بعلمها، فلا يتم التبعيض المذكور.

وأجيب بعدم تسليم أن هذه الأمور الخمسة مما كتب القلم في اللوح، وإلا لأطلعه عليها من شأنه أن يطلع على اللوح كبعض الملائكة المقربين على تسليم أنها مما كتب القلم في اللوح، فالمراد أن بعض علومه صلى الله عليه وسلم علم اللوح والقلم الذي يطلع عليه المخلوق، فخرجت هذه الأمور الخمسة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا إلا بعد أن أعلمه الله تعالى بهذه الأمور.

فإن قيل: إذا كان اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم فما البعض الآخر؟

---

(١) رواه أبو داود في سننه، باب: في القدر (٢٢٥/٤)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى؛ باب: ما ترد به شهادة أهل الأهواء (٣٤٤/١٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح وضعيف سنن أبو داود (٢/١).

(٢) في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [سورة لقمان: الآية ٣٤].

أجيب بأن البعض الآخر هو ما أخبره الله عنه من أحوال الآخرة؛ لأن القلم إنما كتب في اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة فقط، كما تقدم في الحديث"[١]. انتهى.

ونحن نقول عليه: أولا: قوله: وفي كلامه تقدير مضاف الخ.

(بحث) يقال عليه: أي داع إلى إخراجه كلام الناظم عن ظاهره المقتضي أن كل الدنيا والآخرة وما يضاف إليهما من جميع الكائنات من جوده عليه السلام؛ لأنها خلقت كلها من نوره ولأجله، ومن قيد خلقهما بخلق خيرهما لم يحصر ذلك الخلق فيه، إنما ذكره على سبيل المثال، وليرتب عليه ما هو مناسب له، وعليه فلا داعي إلى تقدير هذا المضاف ولا إلى تخصيصه في الدنيا بالهداية وفي الآخرة بالشفاعة، مع أن خيور الدنيا كلها منه كما علمته، وخيور الآخرة التي هي أعلى وأنعم من الشفاعة كالجنة والاستظلال بعرش الرحمن والأمن من كل هول وكل حساب.

ثانيا: ما يقال له: إذا كان من جوده الدنيا وضرتها، ومن هنا ظاهره في التبعيض، فأين بعض الجود المقابل لهما، الثابت له كغيره إلا أن/[١٢٧] يقال: هي عوالم غير الدنيا والآخرة، فيصح جوابا إن ثبت ذلك، وإلا لم يظهر للبعض إلا خروجه.

ثالثا: قوله: فإنه تعالى أطلعه على علوم الأولين والآخرين الخ.

(بحث) يقال عليه: هذا ينافي عموم علمه المدعى لهم؛ إذ العلم بعمومه يشمل علم المتعلق بالله تعالى وغير علوم الأولين والآخرين.

رابعا: قوله: والمراد بعلم اللوح والقلم المعلومات الخ.

(بحث) يقال عليه: المأخوذ من دلائل الشرع أن المكتوب للقلم في اللوح كل شيء، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [سورة يس: الآية١٢]، إلى غير ذلك مما يدل على ما قلناه، والغاية التي قيد بها في هذا الحديث وهو يوم القيامة قد لا يسلمها الخصم، بل يقول: إنها داخلة، ومن البعيد أن لا يكون مكتوبا في اللوح ما يكون يوم القيامة مع أن علم الكثير منه مبذول لعلماء الدين وأهله في الدنيا، وعليه فمن أين جاءهم وليس إلا من ذلك المصدر المكتوب الذي تفجرت منه العلوم على تفصيل في ذلك عند

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٨٥.

علماء الكلام.
خامسا: قوله: واستشكل جعل علم اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم الخ.
(بحث) يقال عليه: أجاب عن استشكاله هذا بجوابين:
الأول: يحتمل أن الخمسة المذكورة لم تكتب في اللوح، ولذلك لم تدخل في علم اللوح والقلم المعلوم لرسول الله، وعلى هذا الجواب تكون كليات العلم التي نسبوها لرسول الله غير تامة مع أنهم يقولون: لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.
الثاني: أنه لم يخرج من الدنيا حتى علمها، وهذا مخالف للكتاب والسنة والإجماع، من يعتد بإجماعه دونهم من أن آية نفي علم الخمسة للخلائق كلهم لم تنسخ لا بالكتاب ولا بالسنة ولم تزل محكمة.
سادسا: قوله: فإن قيل: إذا كان اللوح والقلم بعض علومه فما البعض الآخر الخ.
(بحث) يقال عليه: أولا: تقدم أنه قد لا يسلم أن القلم لم يكتب أحوال الآخرة، وحينئذ لا يدفع الإشكال، ولا ينفع الجواب، وإن سلمناه، فإما أن يقروا بعلوم زائدة على علوم الدنيا والآخرة، فيقال لكم: من أين يؤخذ أن رسول الله يعلمها، فإن أجبتم بجواب يسلم لكم فذلك، وإلا ناقضتم دعواكم: أن رسول الله محيط بكل علم/[١٢٨].
وهاهنا مسائل: الأولى: سؤال الناسِ الناسَ منفعة من جلب خير أو دفع مضرة؛ إن كان في حياة المسئول فتعتريه الأحكام الخمسة إن كان بيده ويقدر على إجابته به، وإن كان مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، فلا يجوز سؤاله منه ولا رضي المسئول بذلك، كما لا يجوز إن كان المسئول ميتا، سواء كان من الصالحين كالأنبياء والمرسلين، أو من الطالحين، خلافا لقوم من جهال أهل الأرض في كل ملة حتى في المنتسبين إلى الإسلام، فإنهم يجيزون ذلك وقد يوجبونه، وكثيرا ما يقدمونه على سؤال الله، وكثيرا ما يقطعون بالإجابة كما يقطعون بأن كثيرا من مسئولهم يتصرف كتصرف الله أو أشد، ولذلك يكون الأكثر منهم مشركا بهذا المعنى، وهذه المسألة قد كتب فيها علماء الإسلام ما

كتبوا وحكموا بالشرك على من اتصف بالصفة المذكورة[١].

الثانية: الاستشفاع بذات المستشفع به أو علمه أو جاهه إن كان في حياته لغيره من المخلوقين يجري على ما تقدم من سؤاله، بحيث تعتريه الأحكام الخمسة، ويكون فيها يقدر عليه المستشفع عنده، فإن كان لا يقدر عليه، بل هو من التصرفات الخاصة بالله، فلا يجوز ذلك، كما إذا كان المستشفع به حيا أو ميتا عند الله تعالى والمستشفع حيا وقد أجاز ذلك قوم أيضا مطلقا مهما كان الشافع ترجى شفاعته والمشفوع عنده كذلك، وقال بعضهم: لا يجوز الاستشفاع بجاه أحد ولا من معه إلا بجاه رسول الله، استدل القائلون بالجواز مطلقا بحكاية ذلك عن ابن عرفة[٢]، وعن العبد الذي استسقى بالبصرة الذي قال: بحبك لي إلا ما سقيتنا الساعة[٣]، ويقول معروف الكرخي[٤]: من كانت له على الله حاجة فليقسم عليه بي[٥]، وقول أبي الحسن الشاذلي لأبي العباس المرسي: إذا عرضت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي[٦]، وقس عليه.

والقسم عندهم هنا حملوه على التوسل المذكور، واستدل من لم يجز

---

(١) ومن ذلك كتاب "الاستغاثة" لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، وكتاب "كشف الشبهات" للإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب-رحمه الله-، وغيرهما من كتب أهل السنة -رحمهم الله-.

(٢) محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره.مولده سنة:٧١٦هـ، ووفاته سنة:٨٠٣هـ.
انظر: الأعلام للزركلي ٤٣/٧.

(٣) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل،الحطاب الرعيني ٢٦٥/٣.

(٤) أبو محفوظ معروف بن فيروز، وقيل الفيروزان، وقيل علي، الكرخي الصالح المشهور، وهو من موالي علي بن موسى الرضا.
انظر: وفيات الأعيان،ابن خلكان ٢٣١/٥.

(٥) لم أقف لهذه المقولة على مصدر.

(٦) طبقات الشاذلية الكبرى ٤٢/١.

التوسل بالجاه إلا بجاه رسول الله، وهو عز الدين بن عبد السلام[1][2] بحديث الأعمى الذي قال: يا نبي الله ادع الله أن يعافيني فقال: (إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك وإن شئت دعوت لك)، قال: بل ادع لي، فأمره أن يتوضأ وأن يدعو بهذا الدعاء:/[١٢٩] (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي، اللهم فشفعني فيه وشفعه في)، قال: ففعل الرجل فبرئ[3].

الحديث صحيح، وإن عبر فيه ابن عبد السلام بقوله: إن صح، وأجاب من لم يجز ذلك بأنما البرء الواقع للأعمى مداره على دعاء رسول الله له، وإن أمره أن يدعو بهذا الدعاء وهو خاص به؛ إذ لو كان عاما في حقه وحق غيره لما وجد أعمى في الصحابة، ولا في كل ما وصله الخبر وعمل به، كما أنه لو كان الاستشفاع بجاه رسول الله مشروعا ولو بعد موته، لما أهمل ذلك الصحابة وقدموا عمه العباس في

---

(١) عبد الْعَزِيز بن عبيد السَّلَام بن أبي الْقَاسِم بن الْحسن شيخ الْإِسْلَام وَبَقِيَّة الْأَعْلَام الشَّيْخ عز الدّين أَبُو مُحَمَّد السّلمِيّ الدِّمَشْقِي الشَّافِعِي ولد سنة سبع أَو ثَمَان وَسبعين وَخمْس مائَة وتوفّي سنة سِتِّينَ وست مائَة.
انظر: الوافي بالوفيات،الصفدي ٣١٨/١٨.

(٢) "هذا الكلام منقول بالمعنى من كتاب: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للشربيني". -والنقل بنصه:
سُئِلَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ هَلْ يُكْرَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ بِعَظِيمٍ مِنْ خَلْقِهِ كَالنَّبِيِّ وَالْمَلَكِ وَالْوَلِيِّ؟ فَأَجَابَ بِأَنَّهُ جَاءَ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ عَلَّمَ بَعْضَ النَّاسِ: اللَّهُمَّ إنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ إلَخْ فَإِنْ صَحَّ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَقْصُورًا عَلَيْهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِأَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا يُقْسَمُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا فِي دَرَجَتِهِ، وَيَكُونُ هَذَا مِنْ خَوَاصِّهِ. اهـ.
انظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج،الشربيني باب:شروط الصلاة وموانعها٣٩٥/١.

(٣) رواه أحمد في مسنده، حديث عثمان بن حنيف (٤٨٠/٢٨)، ورواه الترمذي (٤٦١/٥)، وقال العلامة الألباني: صحيح. انظر: مشكاة المصابيح، الفصل الثالث (٧٦٨/٢).

الاستسقاء مستشفعين بدعائه[1]، كما قدم معاوية يزيد الجرشي[2] في ذلك[3]، وإذا لم يثبت هذا أحرى في غير رسول الله كما قيل به.

الثالثة: سؤال السائل أن يدعو له غيره ممن له فضل ولو كان هو أفضل منه بجهات والمسئول حي مطلوب، وقد سأل الناس رسول الله أن يدعو لهم، كما سأل بعضهم بعضا على الصفة المتقدمة، وقد سأل الصحابة العباس -رضي الله عنه- ويزيد الجرشي كذلك أن يدعوا لهم في الاستسقاء كما يدعون معه، أما سؤال ذلك ممن انتقل إلى الآخرة

---

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ. رواه البخاري، باب:سؤال الناس الإمام الإستسقاء إذا قحطوا (٢٧/٢).

(٢) يزيد بن الأسود الجرشي يكنى أبا الأسود. سكن الشام، ذكر فِي الصحابة ولا يثبت.
انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة،ابن الأثير (٤٤٢/٥).

(٣) عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ الْخَبَائِرِيِّ أَنَّ السَّمَاءَ قَحِطَتْ مَخْرَجَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَأَهْلُ دِمَشْقَ يَسْتَسْقُونَ. فَلَمَّا قَعَدَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الأَسْوَدِ الْجُرَشِيُّ؟ قَالَ:فَنَادَاهُ النَّاسُ فَأَقْبَلَ يَتَخَطَّى فَأَمَرَهُ مُعَاوِيَةُ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَعَدَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ:اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بِخَيْرِنَا وَأَفْضَلِنَا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ بِيَزِيدَ بْنِ الأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ. يَا يَزِيدُ ارْفَعْ يَدَيْكَ إِلَى اللَّهِ. فَرَفَعَ يَزِيدُ يَدَيْهِ وَرَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ فَمَا كَانَ أَوْشَكَ أَنْ ثَارَتْ سَحَابَةٌ فِي الْمَغْرِبِ وَهَبَّتْ لَهَا رِيحٌ فَسُقِينَا حَتَّى كَادَ النَّاسُ لا يَصِلُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ.
رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى"يزيد بن الأسود الجرشي"٣٠٩/٧.
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله: "فكان توسُّلُهم بالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حياته هو توسُّلهم بدعائه وشفاعتِه، فلما ماتَ توسَّلُوا بدعاءِ عمِّه العباس وشفاعتِه، لقُربِه منه، ولم يتوسَّلُوا حينئذٍ برسولِ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولا استغاثوا به، ولا ذهبوا إلى قبرِه يدعون عنده. فإنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان قد سَدَّ الذريعة في هذا الباب، حتى قال: (لا تتخذوا قبرِي عيدًا، وصَلُّوا عليَّ حيثُما كنتم، فإن صلاتكم تَبلُغني)، وقال: (اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبَد)، وقال: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ) يُحذِّر ما فَعَلُوا".
انظر: جامع المسائل لابن تيمية،تحريم بناء المساجد على القبور١٤٦/٣.

فليس من السنة، كالسؤال بجاهه وذاته وعمله وموضعه وشرفه، وإلا ما استغنى الصحابة عن هذا في جانب رسول الله فما فعلوه من الاستشفاع بعمه العباس.

وقال قوم: يجوز سؤال الدعاء من الميت كالحي، ولا دليل لهم إلا ما ظنوه دليلا، ولكن لا ينهض لهم ذلك.

الرابعة: سؤال الإنسان وتوسله إلى الله بعمله الصالح، وهذا مشروع لا نعلم فيه خلافا.

الخامسة: القسم والأقسام: أما القسم فعلى النفس أن يفعل أو لا يفعل بمعلوم حكمه من الفقه، بحيث يبر صاحبه، ولا شيء عليه، ويحنث، فتكون عليه كفارة اليمين أن تعلق بمباح، فإن كان على حرام فالذي نعلمه في مذهب المالكية: أنه يحنث بمجرد اليمين[1]، والظاهر أن عليه كفارة، انظر هل يبر إذا ما بادر إلى فعل المخلوق عليه الحرام ولا تكون عليه كفارة وقتئذ، وإنما عليه الإثم، وهكذا يفعل في حديثه على غيره/[١٣٠]، وإقسامه على غيره، أما إقسامه على الله بالله وصفاته فإن كان على حرام بحرام ولا يبره الله، وإن وقع ما حلف عليه فقد تركه الله لهواه، فاختار ما اختار، وذلك استدراج له إلى مكر الله، وإن كان على ما ليس بمنهي عنه، فلا بأس به، وقد يبر الله صاحبه إن كان من أهل الدين والخير والتواضع لله، والخضوع إليه في أقسامه، والرجاء منه أن لا يجيبه بفضله، كما قال رسول الله في قضية أنس بن النظر حين حلف أن لا يكسر ثانية الربيع، فحنثه الله: (إن لله رجالا لو أقسموا على الله لأبره)[2]، كما قال: (رب أشعث أغبر ذي طهر لا يشوبه له لو أقسم على

---

(١) انظر: المدونة ٥٨٥/١.

(٢) قَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ؟ لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَنَسُ، كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ). فَرَضِيَ القَوْمُ فَعَفَوْا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ). رواه البخاري، باب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ ﴾ (٢٤/٦).

الله لأبره، ومنهم البراء بن مالك)[1] انتهى.

قال أهل العلم: وكان البراء بن مالك يقسم على الله ويبره، وإن كان الإقسام على الله بسبب تزكية النفس والعجب بأعمالها لم يبر الله صاحبه غالبا، وهو معنى -والله أعلم- حديث: (ومن يتألى يكذبه، وقد يبر الله من شاء من ذلك؛ لطفا به أو استدراجا لمكره)[2]، وأما الإقسام على الله وعلى غيره من خلقه ولو معظما فلا يجوز؛ للدلائل الدالة على ذلك، وما يوهم ذلك مما تقدم عند معروف الكرخي[3] والشاذلي، فإنه من باب التوسل بالجاه، علمت ما فيه؛ لأن باب الإقسام ولو سلمناه لكان منهيا عنه، وأما القسم به فالله وصفته وغيرهما لا يجوز؛ للدلائل الدالة عليه عند الجمهور، وحكي عن بعضهم الكراهة في المعظم كالنبي والكعبة، كما حكي عن بعضهم أن في مثل هذا ينعقد اليمين[4].

---

(١) رواه الترمذي، باب: مناقب البراء بن مالك رضي الله عنه (١٧٥/٦) بلفظ: (كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يُؤْبَهُ له لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك)، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٣٦٨/٦)، باب: ما جاء من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن حال البراء بن مالك الأنصاري بأنه ممن لو أقسم على الله لأبره، وتصديق الله جل ثناؤه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه رضي الله عنه، وقال العلامة الألباني: حسن. انظر: مشكاة المصابيح، الفصل الثاني (١٧٥٨/٣).
أما اللفظ الذي أورده الشيخ/النتيفي -رحمه الله- لم أقف عليه.

(٢) بهذا اللفظ الذي أورده الشيخ/النتيفي لم أقف عليه، وإنما الذي وقفت عليه ما أخرجه مسلمٌ في صحيحه باب: النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى. (٢٠٢٣/٤).
عَنْ جُنْدَبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَ (أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ)، أَوْ كَمَا قَالَ.

(٣) سبقت ترجمته ص٣٠٦.

(٤) انظر للاستزادة: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الفصل الأول: في معرفة الأيمان المباحة ١٧٠/٢.

السادسة: زيارة القبور للتذكر والترحم عليها من غير شدّ الرحال إليها مطلوبة.

وللتبرك بها والدعاء عندها بلا شدّ الرحال إليها، ولا كثرة تكرر وتلبس بفعل الحرام؛ قال قوم: لا بأس بذلك مطلقا، وقال قوم: لا يزار لذلك إلا قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو لابن العربي[١] والشمشراحي[٢].

أما مع شدّ الرحال لكل ما تقدم؛ فقال قوم: لا بأس بذلك أيضا مهما سلم من ممنوع، وقال قوم: لا تشدّ الرحال إلى قبر مطلقا ولو إلى قبر النبي -صلى الله عليه وسلم-[٣].

نعم، زيارته مطلوبة، ولكن بغير شد الرحلة أو بها إلى مسجده، ويلزم منها زيارته، وإنما الضار القصد بذلك إلى مجردها، وقال: استدل من منع شدّ الرحال إلى ذلك بقوله عليه السلام: (لا تشد الرحال إلا إلى مساجد ثلاثة)[٤] الحديث، فاستدل المجيزون بأن الحصر/[١٣١] في الحديث إضافي بالنسبة إلى المساجد، والحق عموم نهي الحديث إلا ما خصه الدليل، واستدل من جوّز زيارة القبور لكل غرض ولو لشد

---

(١) الإِمَامُ العَلاَّمَةُ الحَافِظُ القَاضِي، أَبُو بَكْرٍ، مُحَمَّدُ بنُ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ، ابْنُ العَرَبِيِّ الأَنْدَلُسِيّ الإِشْبِيْلِيّ المَالِكِيّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، سَأَله ابْن بَشْكُوَال عَنْ مَوْلِده، فَقَالَ: فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ، قَالَ أَبُو القَاسِمِ بنُ بَشْكُوَال: تُوُفِّيَ ابْنُ العَرَبِيّ بفَاس فِي شَهْرِ رَبِيْعٍ الآخِرِ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤٢/١٥.

(٢) لم أقف له على ترجمة بهذا الإسم، فلعله الشارمساحي، والله أعلم، وسيأتي في ص٣١٩.

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١٨٢/٢.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري، باب: فضل الصلاة في مكة والمدينة (٦٠/٢) ، ورواه مسلم، باب: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (١٠١٤/٢).

الرحال بأقوال تسمعها وهي ما نقله الشيخ زروق[١] عن شيخه الحضرمي قال: رأى بعض الصالحين سيدنا محمدا -صلى الله عليه وسلم- في المنام، فسأله عن أفضل الأعمال فقال عليه السلام: وقوفك بين يدي ولي من أولياء الله قدر حلب شاة أو ناقة، قال: قلت: حيا أو ميتا، قال صلى الله عليه وسلم: حيا كان أو ميتا.

وما نقلوه عن أبي نعيم في الحلية: أفضل ما تعبد به المتعبدون التحبب إلى أولياء الله بما يحبون، وإن علامة محبة الله محبة أوليائه[٢].

وعن سيدي عبد الرحمن الثعالبي بسنده إلى الإمام الطبري قال: مات غريب عندنا بمكة فأخرجنا إلى باب المعلاة وجلسنا لإصلاح دفنه فاستوى جالسا، قلنا: ألست قد مت؟ قال: بلى، ولكن رجعت لأحدثكم وأبشركم أنفع ما عندنا؛ محبة الصالحين وموالاتهم، ثم رجع ميتا[٣]. انتهى.

وذكروا عن الشيخ يوسف الفاسي[٤] في بعض أجوبته قوله صلى الله عليه وسلم للرائي حيث سأله عن أفضل الأعمال: جلوسك بين يدي ولي ولو بقدر حلب شاة الخ، قال: وإن كان في هذا بحث فهو مؤيد بالنصوص، وقد ذكره الإمام الغزالي وغيره وأثبتوه في كتبهم وصيروه دليلا. انتهى.

وقد قالوا: قال ابن عرضون[٥]: اعلم أن التوسل بأولياء الله عموما

---

(١) سبقت ترجمته ص١٤٦.

(٢) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٣٧/١).

(٣) هذه القصة لم أقف لها على مصدر.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) أحمد بن الحسن بن يوسف، أبو العباس بن عرضون: قاض، من فقهاء المالكية مغربي من أهل شفشاون. له كتب، منها (اللائق لعلم الوثائق) فقه، و (آداب الزواج وتربية الولدان) توفي سنة:٩٩٢هـ.
انظر: الأعلام للزركلي١١٢/١.

سبب في قضاء الحاجات ونيل الكرامات، وكذلك التوسل بأهل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لكرامتهم عند الله فما بالك بمن اجتمع فيه الوصفان كسيدي عبد القادر الجيلاني(١)، وكالشيخ القطب الغوث الجامع سيدي عبد السلام بن مشيش الحسني(٢) -رضي الله عنه- ونفعنا ببركاته آمين، فالتوسل به والدعاء عند قبره -رضي الله عنه- مجرب النجاح والإجابة بفضل الله، ولله در القائل:

واطلب بسر بن مشيش ما تريد تنله وإن يكن عنك بعيد(٣)

انتهى باختصار.

وقد ذكروا أن مما جربت إجابة الدعاء عند قبره أبي/[١٣٢] جيده دفين باب بني مسافر بفاس، وقد أولع الفقهاء والطلبة بزيارته يوم الخميس لذلك.

ثم ذكروا عن الشيخ زروق أن من يجوز التبرك به في حياته يجوز التبرك به بعد موته، ونقل ذلك عن الغزالي وزاد: وكذا يجوز شد الرحال لهذا الغرض، وأجاب عن حديث (لا تشد الرحال). إلى أن قال: سيما من ظهرت كرامته بعد موته مثلها في حياته كالسبتي(٤)، أو أكثر

---

(١) عبد القادر بن أبي صالح بن جنكي دوست، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، الشيخ أبو محمد الجيلي الحنبلي المشهور الزاهد،ولد بجيلان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، وتوفي سنة إحدى وستين وخمسمائة.
انظر: فوات الوفيات٢/٣٧٣.

(٢) سبقت ترجمته ص١٥٤.

(٣) طبقات الشاذلية الكبرى ١/٦٠.

(٤) أحمد بن جعفر الخزرجي أبو العباس السبتي المراكشي: متصوف ولد في سبتة، سنة:٥٢٤هـ، واختلف مؤرخوه: منهم من يراه وليا ومنهم من يبدّعه ومن يقول انه ساحر ومن يكفره، توفي سنة:٦٠١هـ.
انظر: الأعلام للزركلي ١/١٠٧.

منها في حياته كأبي يعزى[1]، أو من جرب إجابة الدعاء عند قبره، وهو غير واحد في أقطار الأرض، وقد أشار إليه الشافعي -رضي الله عنه- حيث قال: قبر موسى الكاظم[2] الترياق المجرب[3].

وقال الفقيه كنون[4]: وكان شيخنا أبو عبد الله القديري[5] -رحمه الله- يقول: إذا كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم، فما ظنك بمواطن اجتماعهم على ربهم؟ ويوم قد وصهم عليه بالخروج من هذه الدار وهو يوم وفاتهم، فزيارتهم فيه تهنئة لهم، وتعرض لما يتجدد من نفحات الرحمة عليهم، فهي إذا مستحبة إن سلمت من محرم أو مكروه بين في أصل الشرع، كاجتماع النساء وتلك الأمور التي تحدث هناك. اهـ

وذكروا عن الشيخ ابن النعمان[6] في كتابه سفينة النجاة تحقق ذوو

---

(١) يلنور بن ميمون بن عبد الله الدكالي الهزميري (من هزميرة ايرجان) وقيل: هو من بني صبيح من هشكورة، دفين قرية تاغيا من بلاد مغراوة، المعروف ب أبي يعزى: أحد الزهاد المشتهرين في المغرب.توفي سنة:٥٧٢هـ.
انظر: الأعلام للزركلي٢٠٨/٨.

(٢) أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم،ولادته يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة تسع وعشرين ومائة، وقال الخطيب: سنة ثمان وعشرين بالمدينة؛ وتوفي لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة، وقيل سنة ست وثمانين ببغداد، وقيل إنه توفي مسموماً. وقال الخطيب: توفي في الحبس.
انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان ٣٠٨/٥.

(٣) لم أقف لهذا الكلام الذي نسب إلى الإمام الشافعي على مصدر، والمقالة ظاهرة الوضع؛ لأن من المحال أن يقول الإمام الشافعي مثل هذا الكلام المشتمل على الدعوة إلى عبادة القبور من دون الله.

(٤) محمد التِّهَامي بن المدني بن علي بن عبد الله كنون، أبو عبد الله: فقيه مالكي، من الوعاظ، من أهل فاس سكن طنجة وتوفي بها سنة:١٣٣٣هـ.
انظر: الأعلام للزركلي٦٥/٦.

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) لم أقف له على ترجمة.

البصائر والاعتبار[1]: أن زيارة قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين. انتهى.

وذكروا عن ابن الحاج[2] في المدخل[3]: أن زيارتهم في الحقيقة مواصلة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فاستحضر هذا المعنى عند زيارتهم، والتوسل بهم، يكمل حالك، وتحصل آمالك. انتهى.

ثم ذكر مختصر الرهوني بعدما تقدم عن أبي المحاسن الفاسي[4] أنه قال: المعروف عند المحققين وأرباب القلوب من العلماء المهتدين -ولا مخالف في ذلك- أن زيارة الأولياء والعلماء -رضي الله عنهم- مواصلة له صلى الله عليه وسلم؛ إذ كل خير وبركة قلت أو جلت منه حصلت، وبطلعته ظهرت، وكيف لا وسائر العلماء والأولياء -رضي الله عنهم- صور تفضيله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه ومظاهر تعيناته، فما منهم إلا وهو سابح في نوره، وممتد من بحوره على حسب مقامه، فهو الجامع لما افترق، والرسول على الإطلاق، فلا زائر ولا مزور إلا له ومنه صلى الله عليه وسلم/[١٣٣]، فجميع الأولياء؛ بل وجميع الأنبياء منسوبون إليه ومستمدون منه، فلا ترى على التحقيق كرامة ولا آية ولا خرق عادة، إلا وهي له صلى الله عليه وسلم. انتهى المراد منه.

ثم ذكرنا كنونا[5] عن الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي[1] بعد تأييده

---

(١) لم أقف على هذا الكتاب.

(٢) أبو عبد الله، محمد بن محمد بن محمد العبدري المغربي الفاسي المعروف بابن الحاج، ألف كتابا سماه [المدخل] إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات.توفي رحمه الله سنة ٧٣٧هـ.
انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون، ٣٠١/٢.

(٣) ينظر: المدخل ٢٥٤/١-٢٥٥.

(٤) أحمد بن يوسف (أبي المحاسن) ابن محمد بن يوسف، أبو العباس الفهري القصري الفاسي، المولد سنة:٩٧١هـ، المتوفى سنة:١٠٢١هـ.
انظر: الأعلام للزركلي ٢٧٥/١.

(٥) سبق ترجمته ص٣١٧.

لما ذكر من الزيارة، واستجابة الدعاء عند القبور ما نصه: فإن قلت: فما تقول في قول القاضي ابن العربي: لا يزار قبر ينتفع به غير قبره صلى الله عليه وسلم، وكذا قول الشارمساحي[٢]: قصد الانتفاع بالميت بدعة.

قلت: هو خلاف مذهب الجمهور وما عليه الأمة. قال شيخ شيوخنا الإمام العارف أبو زيد عبد الرحمن[٣]: لعل ما نقل عن ابن العربي ينظر إلى سد الذرائع، وحسم مادة البدع المحدثة المتطرفة في ذلك، ومع هذا فلا معول عليه، ولا التفات إليه، وعمل الأمة على خلافه والإنكار جحد للضرورات والله أعلم.

ثم ذكر بواسطة عن الشيخ زروق ما نصه: وأما التمسك بالأموات، فهو من قلة الاعتقاد في الإحياء، وذلك من نقص الهمة، اللهم إلا أن يكون ذلك على سبل التعرض لنفحات الرحمة بالزيارة لطلب الزيادة، فمدد الميت أقوى من مدد الحي؛ لأنه في بساط الحق؛ ولأن التعلق به عري عن الأغراض والعوارض من الاستئناس ونحوه.

كما قال لنا شيخنا أبو العباس الحضرمي[٤] -رضي الله عنه-:

=

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفهري الفاسي، مؤرخ، عالم بالحساب والفرائض. مولده: ١١١٨هـ، ووفاته: ١١٧٩هـ بفاس.
انظر: الأعلام للزركلي ١٣/٦.

(٢) أَحْمد بن عبد الدايم بن يُوسُف بن قَاسم بن عبد الله بن عبد الْخَالِق ابْن ساهل أمره الْكِنَانِي الشارمساحي يكنى أَبَا يُوسُف قَالَ الشَّيْخ أثير الدّين أَبُو حَيَّان مولده بشارمساح سنة ثَلَاث وَسِتِّينَ وست مائَة.
انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي ٢٤/٧.
أثبت ناسخ المخطوط مرة [الشمشراحي] ومرة [الشارمساحي] فلعل الأصح ما أثبت هنا، لأن الأول لم أقف له على ترجمة بذاك الإسم، والله أعلم.

(٣) هو صاحب الرد، العلامة الشيخ/أبي زيد عبدالرحمن بن محمد النتيفي-رحمه الله-.

(٤) أحمد بن عقبة الحضرمي اليمني الشاذلي الوفائي، توفي سنة:٨٥٧هـ.
انظر: طبقات الشاذلية الكبرى١١٤/١.

وكرامة الله لأوليائه لا تنقطع بموتهم، بل ربما زادت كما هو معلوم في كثير منهم.

قال: ثم ذكر رضي الله عنه فصلا بعدها فيما يتعلق بالتبرك بالآثار من الآداب، قال فيه: من ذلك -أي: الأدب- أنه لا يصلى على المقابر، ولا يبنى عليها مسجد للتبرك، ثم قال: قالوا: ولا يتمسح بالقبر؛ لأنه من فعل النصارى، ولا يدهن بالماء الذي يكون عليه، ولا يرفع منه ترابا؛ لأنه حبس، وفي المصروح قصد النظر.

ثم ذكر عن المواق[1] عن المنتويري[2] -رحمه الله- كان ينشد[3]:

اسرد حديث الصالحين وسَمّهم فبذكرهم تتنـَزّل الرحَمات
واحضر مجالسهم تنل بركاتِهم وقبورهم زرها إذا ما ماتوا/ [١٣٤]

ثم ذكر عن الشيخ إبراهيم نزيل وهران[4] وقوله[5]:

زيارة أرباب التقى مرهم يبري ومفتاح أبواب الهداية والخير
وتحدث في الصدر الخلي إرادة وتشرح صدر أضاق من شدة الوزر
وتنصر مظلوما وترفع خاملا وتكسب معدوما وتجير ذا كسر

---

(١) محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق: فقيه مالكي: كان عالم غرناطة وإمامها وصالحها في وقته،توفي سنة:٨٩٧هـ.
انظر: الأعلام للزركلي ١٥٤/٧.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) الشطر الأول وقفت عليه في كتاب طبقات الشاذلية الكبرى ١١/١، أما الشطر الثاني من النظم لم أقف له على مصدر.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) لم أقف لهذا النظم على مصدر.

وتبسط مقبوضا وتضحك باكيا وترقد بالبذل الجزيل وبالأجر

إلى أن قال:

وكم من بعيد قربته بِجذبة ففاجأه الفتح المبين من البر

وكم من مريد أظفرته بمرشد خبير بصير بالبلاء وما يبر

إلى أن قال:

عليك بِها فالقوم باحوا بسرها وأوصوا بها يا صاح في السر والجهر

فزر وتأدب بعد تصحيح نية تأدب مملوك مع المالك الحر

ولا فرق في أحكامها بين ذلك مرب ومجذوب وحي وذي خبر

ثم قال: وقال ابن باديس[١] في سينيته[٢]:

ولا تسمعن من قاصر النفع فيهم على من يكن يا فذاك من الطلس

فإن شهود النفع ينفي مقاله ولاسيما والقوم نصوا على العكس

ثم قال: فلازم زيارتهم وذكرهم ومحبتهم يفتح لك الباب، ويرفع عن قلبك الحجاب، فإن من شيمتهم الفاضلة وأخلاقهم الكريمة أن يقبلوا من قصدهم، ولا يخيبوا من التجأ إليهم وأحبهم.

ويرحم الله سيدي رضوان[٣] حيث قال[٤]:

فنحن كلاب الدار طبعا ولم نزل نُحب مواليها ونَحرس بابَها

نسبنا لَهم إذ كانوا أهل عناية فإن كرام العرب تحمي كلابَها

إذا طردت يوما كلاب قبيلة فقومي كرام لا تهين كلابَها

يشير إلى أن الأولياء قوم كرام، لا ينكب من أقبل عليهم، ولا يضام من اشتد إليهم، قاله العلامة ابن زكري[٥] -رحمه الله-.

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) لم أقف على سينيته.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) لم أقف لهذا النظم على مصدر.

(٥) أحمد بن محمد بن زكري، فقيه أصولي بياني من أهل تلمسان،توفي سنة:٨٩٩هـ.

=

وفي كلاب أهل الكهف أقوى شاهد لذلك. انتهى.

نقد: ونحن نقول على دلائلهم هذه: قول الحضرمي عن رجل الذي سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- في المنام عن أفضل الأعمال يقال له: وقوفك بين يدي ولي من أولياء الله قدر حلب شاة الخ.

يقال عليه: أولا: لقد سئل رسول الله/[١٣٥] عن أفضل الأعمال من أصحابه يقظة، فأجاب بما كتب في المتون الصحيحة بالأسانيد الصحيحة وتلقته الأمة بالقبول، وكان من ذلك: (الصلاة لميقاتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله، والحج المبرور)، ولم يثبت أنه من جملة ما أجابهم به الوقوف بين يدي ولي من أولياء الله الخ.

وعليه فأيهما يقدم في الأفضلية أيما تقدم عن الأمة وحفاظ الملة أم هذه الرؤية؟

ثانيا: هل يساوي ما روي بالأسانيد الصحيحة وفي المتون الصحيحة ما هو معضل السند وعن راو مجهول؟

ثالثا: هذا المنام قد يصدق وقد لا يصدق من جهة الراوي والمروى عنه، أما الراوي فلو كان معروفا صادقا لما كان معصوما من العمد ولو حفظ منه لما كان محفوظا من الخطأ، وأما من جهة المروى عنه فلم يثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: أن أحدا من الأرواح الإنسية والشيطانية لا تكذب على النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة ولا مناما، بل أكثرهم كذبوا عليه وعنه، ولما قال في رؤيته في المنام: (إن الشيطان لا يتمثل بي)[1]، لم يقل ولا يكذب علي بأن يقول: أنا النبي.

رابعا: المنام لايساوي اليقظة إذا اختلف معها فضلا عن أن يقدم عليها.

خامسا: إذا كان هذا حقا كان رسول الله أحق بذلك؛ لأنه عنصور الولاية وقائدها إلى رضى ربها وولايته، وجدير بأن يذكر ذلك في حقه بالصراحة لا بالشمول، أو يؤتى بقرينة تدخله في العموم دخولا أحرويا.

سادسا: إذا كان ذلك أفضل الأعمال حقا، فكيف أهمله رسول الله ولم

=

انظر: الأعلام الزركلي ٢٣١/١.

(١) رواه مسلم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني (١٧٧٥/٤).

يقف قدر حلب شاة بين يدي أبي بكر وعمر وغيرهم من إحياء أولياء الله الصحابة؟، ولا قدر ذلك بين يدي أمواتهم كحمزة وعثمان بن مظعون وغيرهما ممن مات منهم قبل رسول الله بنية ذلك، ولا فعل أصحابه ذلك معي، ولا أمرهم به، بل بعكسه فقال: (لا تتخذوا قبري وثنا)[1]، (ولا تتخذوا قبري عيدا)[2].

سابعا: لم أمر رسول الله بتسوية القبور المشرفة وفيها الصالح والطالح مع فوات هذه المزية من الصالح منها؟[3].

ثامنا: ما دل عليه المنام المذكور يؤدي إلى فتح ذريعة الفساد وعبادة الخلق، وقد عبد الصالحون بذلك في زمان الأمم المتقدمة، كـ يغوث ويعوق وود وسواع[4]، وسد الذرائع المؤدية إلى الفساد/[١٣٦] واجب.

تاسعا: بسبب هذا الحديث والأخذ به وأقوال المقلدين له، عبدت الأصنام، وشاع الشرك في الإسلام كما هو معلوم في جميع أقطار الأرض، فاتخذ الناس أحبارهم ورهبانهم وقبور معتقديهم، بل وجهالهم وزنادقتهم أربابا من دون الله.

عاشرا: ما أيدت به هذه الرؤية من قبل الغزالي وغيره، فتأييد من غير مؤيد؛ إذ قول قائل ليس مرجحا لقول غيره، وإنما الترجيح بالحجة

---

(١) رواه البزار في مسنده، مسند أبي حمزة أنس بن مالك (٤٨/١٦).

(٢) رواه أحمد، في مسنده، مسند أبي هريرة-رضي الله عنه- (٤٠٣/١٤)، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، باب في صلاة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم (١٥٠/٢)، قال العلامة الألباني: وهو صحيح مما له من طرق وشواهد ؛كتاب: أحكام الجنائز "ما يحرم عند القبور" (٢١٩/١).

(٣) عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرًا مُشرفًا إلا سويّته) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: الأمر بتسوية القبر (٦٦٦/٢/٩٦٩).

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ [نوح: ٢٣ – ٢٤].

وليست هي: رجح قولي أرجح قولك.

الحادي عشر: ما نقل عن أبي نعيم من قوله: أفضل ما تعبد به المتعبدون التحبب إلى أولياء الله.

(نقد) يقال عليه: أولا: هذه المقالة لا يدري من هي له، إن كانت لرسول الله فأين السند الصحيح المرفوع إليه؟

ثانيا: لم لم ترو في الصحاح المشهورة وتركت إلى أبي نعيم الذي لا يستحيي من رواية الموضوعات، لاسيما في حليته هذه التي تقرب بها على الصالحين حقيقة أو لفظا؟.

ثالثا: أفضل ما تعبد به المتعبدون فرائض الله من الإيمان والإسلام وأركانه، ثم فرائضه، وقد قال رسول الله فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: ((ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه))[1]، والتحبب إلى الصالحين من ثمرات ذلك، لا من أهله وأفضليته، وإن كانت محبة الإيمان وأهله من شعب الإيمان، ولكن أود تلك المحبة لا يقوم إلا بفرائض الله.

رابعا: قوله: وإن علامة محبة الله محبة أوليائه.

(بحث) يقال عليه: وإن علامة محبة الله ومحبة أوليائه إتباعهم في سننهم وطريقهم:

علامة حب الله للمرء أن يرى   على سنن كانت عليها الحبائب

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران:الآية٣١]، وعليه فقد رجعت المحبة إلى ما قلناه، وليس نزاعنا في محبة أولياء الله حقا، كما أنه ليس نزاعنا في محبتهم هذه، ولكن نزاعنا في إدخال الجهالة والمشعوذين والكذابين والتاجرين بعبادتهم فيهم، وإدخال عبادتهم في هذه المحبة. وما ذكروه عن الثعالبي ثم عن الطبري الخ.

(نقد) يقال عليه: أولا: ما السند المتصل الصحيح إلى هذه الرواية.

ثانيا: سلمناه ولكن من أندر النادر، والنادر للحكم له فضلا عن أنظاره.

ثالثا: سلمناه ولكن ما هي محبة الصالحين؟ ومن هم الصالحون؟ لا شيء من ذلك إلا ما قدمناه، وما ذكروا عن الشيخ يوسف الفاسي في

---

(١) رواه البخاري، باب: التواضع (١٠٥/٨).

الحديث المنافي، وتأييد نصوص الغزالي وغيره/[١٣٧] له تقدم ما فيه.

وذكروا عن ابن عرضون أنه قال: اعلم أن التوسل إلى آخر كلامه.

وهذا يقال عليه: أولا: تقدم أن التوسل بمعنى طلب الدعاء من المتوسل به إذا كان رجلا صالحا حيا لا بأس به، وقد وقع من الصحابة كما تقدم، وأما التوسل بغير الصالح وبالأموات مطلقا بدعائهم، فليس من السنة، فأحرى سؤالهم ما يحتاج إليه السائل من جلب منفعة، أو دفع مضرة دنيوية وأخروية، فأحرى بالمنع، كما أحرى بأن لا يقضي المسئولون عن إجابتهم؛ إذ ليس في أيديهم ذلك كما تقدم، واعتقاد أن بكرامة ونيل المطلوب يقع منه بسؤال دعائهم جهل ومن أنفسهم وربما أدى إلى الكفر؛ لأن ذلك التصرف خاص بالله تعالى، إذ ذاك خلافا لمن يعتقد خلافه، وما قيل في هذا، يقال في التوسل بآل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ثانيا: قوله: فما بالك فيمن اجتمع فيه الوصفان كسيدي عبد القادر.

يقال عليه: القول واحد في الجميع اجتمع فيه الوصفان أو انفرد فيه أحدهما.

ثالثا: قوله: وكالشيخ القطب الغوث الجامع سيدي عبد السلام بن مشيش الخ.

يقال عليه: لا أدري لم وصف ابن مشيش بالأوصاف التي لم يصف بها الشيخ عبد القادر مع أنه أشهر عند الناس بتلك الأوصاف لمن وصفه بها!.

رابعا: وصفه الشيخ بالقطبانية والغوثية.

يقال عليه: إن كان بمعناهما المصطلح عليه عندهم فباطل وقد بينا ذلك في كتابنا[١] "تنبيه الرجال في نفي القطب والغوث والإبدال[٢]".

---

(١) مؤلف من مؤلفات الشيخ لايزال مخطوطا.

(٢) القطب والغوث كلاهما بمعنى واحد عند الصوفية، وهو ما نورد هنا من تعريف الجرجاني للقطب عند المتصوفة، حيث قال: "القطب: وقد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض =

خامسا: قوله: ولله در القائل:

واطلب بسرا بن مشيش ما تريد، الخ

يقال عليه: من جرب إجابة الداعي عند ذلك القول ولو طلبته لم تجده، أو يجده جاهلا لا يعرف ما يصف ولا ما ينطق به ولا ما يتخيله، بل يقول ما لا يعقل، ويتفوه بما لا يضبط، على أن هذه الدعوى أولى أن تكون عند قبور الأنبياء، وبالخاصة قبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكذا الصحابة وأهل الاجتهاد من العلم، ومع ذلك فلا قاطع بإجابة الدعاء هنالك، بل قد يقضي الله ما شاء ويرد ما يشاء في تلك الأمكنة وغيرها، ولو كان الداعي بسر ابن مشيش ينال مطلوبه منه، ولو كان بعيدا منه لناله بالأحرى القاربون منه/[١٣٨]، كأهل بلدته، وأحرى أن ينال ذلك من نفسه؛ إذ لا يفتئون يدعونه ولا يفتؤ يدعو ربه بحصول النفع ودفع الضر عنهم، ومع ذلك سلط عليه أعداءه، فأكثروا من كيده حتى قتلوه غلية، وسلط على الذين لا يفتئون يدعونه المصائب، وخصوصا الفقر حتى كانوا ربما من أفقر أهل المغرب، وعليه فأي نيل لمطلوب من سائله ولو كان عنه بعيدا؟، وانظر هذه الإجابة من هذا الشيخ وقد كان من أهل الوحدة، كما أن التتار نزلوا ببغداد وقتلوا منه نحو المليون، كما قتلوا الخليفة، وذلك بعد موت القطب الأكبر الشيخ عبد القادر بقريب، وأهل بلده لاسيما تلامذته وأقاربه لا يفتئون يستغيثون بقبره وضريحه، إلا من لم يرض بهذه الصفة ولاذ بالله لا سواه.

سادسا: ما ذكروه من تجربة إجابة الدعاء وقضاء الحوائج عند قبر الشيخ ابن جيدة[1].

=

الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل". انظر: التعريفات، للجرجاني ١/١٧٧-١٨٧.

الإبدال، قال الجرجاني:(البدلاء: هم سبعة رجال، من سافر من موضع ترك جسدًا على صورته حيًّا بحياته، ظاهرًا بأعمال أصله، بحيث لا يعرف أحدٌ أنه فقد، وذلك هو البدل لا غير).

انظر: التعريفات، الجرجاني ٤٣/١، وانظر كتاب: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي.

(١) لم أقف له على ترجمة.

يقال عليه: كل ما تقدم مما يناسب ذكره هنا، وقد رددناه مرارا، ولكن لم ندر الآن أبذلك القصد أم لا؟ كما لم نعقل تحصيل قضاء حاجة بتلك الزيارة.

سابعا: ما ذكره عن الشيخ زروق: أن من يجوز التبرك به في حياته الخ.

يقال عليه. أولا: التبرك الحقيقي هو أخذ العلم واقتباس المعرفة من الحي، وهذا مطلوب ولا يتأتى من الميت، وإن كان بمعنى سؤاله والاستشفاع بدعائه، فقد تقدم ما في الحي من الجواز في ذلك بشرط جعل الله ذلك في يده، وكون السؤال مباحا لا يتحرج به المسئول، وهذا لا يتأتى أيضا في الميت، وإن كان التبرك بمعنى حصول البركة، بمجرد الوقوف هناك مع عدم ارتكاب مكفر ولا حرام، فأمر سهل ولكن خلاف السنة، وعادة العقلاء، وقد تقدم ما في قول الرائي: إن أفضل الأعمال وقوفك بين يدي ولي الله قدر حلب شاة، وقد يؤدي ذلك إلى فتح ذريعة الفساد لاسيما من المقتدى بهم كالعلماء، وإن كان التبرك هو ما يعتقده جهلة العوام من أنهم يتصرفون في ملك الله كيف يشاءون، فتبرك المتبرك بهم بهذا المعنى كفر والعياذ بالله.

ثانيا: تجويزه ذلك ولو بشد الرحال تقدم ما فيه، فإن الراجح خلافه.

ثالثا: قوله: لاسيما من ظهرت كرامته الخ.

يقال عليه: لا دليل على إثبات هذه الكرامات وحصولها وإن كانت جائزة في نفسها بشرطها، وما ثم إلا حكايات منقطعة الأسانيد قد يكون بين حاكيها والمحكية عنه نحو خمسمائة عام، وقد تكون/[١٣٩] عن العجائز والجهلة والكاتبين كل ما سمعوا، ولو من غير مميز بين الغث والسمين.

وقد قال أبو حيان[١]: لي ثمانون سنة من العمر ما سمعت أو قال: شاهدت كرامة من أحد كما قال.

وقال كاتبه عفا الله عنه: وإن لي نحو الثمانين سنة لم أشهد كرامة لأحد مع صحبتي لأهل الكرامات، وإنما أسمع مجرد القيل والقال.

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

وقد ذكروا عن الشيخ أبي يعزى[1] بعض الكرامات في محلة السلطان عبد المؤمن[2] مع جنوده وقبائل المغرب، لو صحت لكتب في تواريخ المغرب بسواد العين لو كان يكتب به، وقد كان الشيخ أبو يعزى منقطعا أيام تعبده في خلوات الغابات التي تنقصه العلم والحكمة وكثرة الخيال بازدحامه مع الناس، وزيادة العلم والحكمة خير من زيادة التنفل لاسيما وقد قيل: إنه أمين والشاة المنفردة عن الغنم يصول عليها الذئب كما تصول الشياطين والأرواح الشريرة على المنفرد من بني الإنسان، فلا مانع أن يصان في بعض خرق عوائده إذا ثبتت من بعض هؤلاء، ولا معصوم إلا الأنبياء عليهم السلام، وقد سكنت نحو أحد عشر سنة بإزاء جبل أبرجان الذي هو مدفن أبي يعزى، وترددت إليه كثيرا وما رأينا كرامة، ولا سمعنا صادقا ضابطا يحدثنا بشيء من ذلك الإمام، كتاب المعزى لأبي يعزى[3]، وهو للشيخ أحمد بن قاسم الصومعي الملالي[4]، وفيه ما تقدم من بعد التاريخ المذكور والرواية عمن تقدم، ولما ترجم صاحب التشوق لليدي المذكور، ذكر أن أهل زمانه اختلفوا فقائل: إنه رجل صالح، وقائل: إنه رجل أحمق.

رابعا: من راقب كرامات هذين الشيخين حتى وجدهما على هذا النمط من تساوي كرامة هذا في حياته وبعد مماته، ومن كثرتها في حياة هذا وقلتها بعد موته.

ثامنا: قوله: وقد أشار إليه الشافعي الخ.

يقال عليه: الظن القوي من حرج الشافعي أن لا يقول هذه المقالة

---

(١) سبقت ترجمته ص٣١٦.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) سبقت ترجمته ص٣١٦.

(٤) أحمد بن أبي القاسم بن محمد بن سالم ابن عبد العزيز بن شعيب الزمراني، أبو العباس التادلي الصومعي: من علماء الصوفية، وهو من نواحي (تادلة) في المغرب. اشتهر بنسبته إلى (زاوية الصومعة) على مقربة من بني ملال.ولد سنة:٩٢٠هـ، توفي سنة:١٠١٣هـ.
انظر: الأعلام للزركلي ١٩٨/١.

ولو كان مثله يقولها لقالها في قبر رسول الله وقبور الأنبياء والصحابة مع أن الشافعي كان يقول في أوليائكم هؤلاء، بل فيما أظهر صلاحا منهم: من تصوف في أول النهار تحمق عند الظهر قطعا، أو كلاما ما نحوه ذكر ذلك ابن/[١٤٠] الجوزي[1].

وقوله عن شيخه القديري[2]: إذ كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم.

(بحث) يقال عليه: أولا: تحتاج هذه الدعوى إلى دليل، والدليل ثبت في قوم هذه صفتهم لا عند ذكرهم وهو ما في الصحيح (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)[3]، وقد ذكر الصحابة بعضهم بعضا، وذكرهم غيرهم لأخبار وفوائد ونسب، ولم يذكروا دليلا على أن بمجرد ذلك الذكر تتنزل الرحمات وتتوالى النفحات، فالمدار على الأعمال لا على الذكر والنسب، والصحابة أصلح خلق الله وأولاهم بالله بعد النبيين -عليهم السلام-، فهم أحرى بنزول الرحمات عند ذكرهم من هؤلاء.

وقوله: بمواطن اجتماعهم الخ.

(نقد) يقال عليه: ثانيا: هذا مسلم في كمال المؤمنين فضلا عن أبرارهم، ولكنكم تطلقون فيهم حتى ربما وهو الغالب، ولاسيما في زماننا حتى تدخلوا معهم من لا إيمان له أو لا خلاق له، وأهل الشعوذة والتاجرين بالدعوى باللقمة وأضراب هؤلاء، وما أبعدهم من نزول الرحمة عليهم، فضلا عن أن تلتمس منهم، وتكتسب لسائليها وقتئذ.

ثالثا: قوله فزيارتهم فيها تهنئة لهم الخ.

(بحث) يقال عليه: أي تهنئة لمن يغضب الله عليه، وإنما هي لبعض المتقين منهم.

رابعا: ما يقال: إذا أسلمنا ذلك كانت زيارتهم فتحا لذريعة عباداتهم،

---

(١) يُونُس بْن عَبْدِ الأعلى قَالَ سمعت الشافعي يَقُول لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق.
انظر: تلبيس إبليس،لابن الجوزي ٣٢٧/١.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) رواه مسلم، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (٢٠٧٤/٤).

لاسيما من المقتدى به كما قدمنا، وجل الزائرين جهال لا يميزون بين ما يلزمهم إذ ذاك من الآداب وما لا يلزمهم، وبين ما يجوز وما لا يجوز والعالم بذلك كله موفق لحفظه نادر، والنادر لا حكم له، ومع ندوره فلا ينبغي له ذلك للاقتداء به فيما يؤد إلى فساد، مع أن محل الزيارة والمقابر لا يخلو من حرام أو ما فوقه، فكيف يتعرض مع هذه الأوصاف للنفحات والرحمات؟.

خامسا: سلمنا ذلك، ولكن من لنا أنهم يسمحون لنا في بعض تلك الرحمات التي نالوها وليس ذلك في أيديهم؟ بل انقطعت أعمالهم من صدقة/[١٤١] وغيرها في ذلك الموطن؟

وإذا قيل: إنهم يستأذنون الله في ذلك، قيل: ومن لنا بأنه يأذن لهم؟، فإن قيل: إن الله يعطي زائرهم من فضله لا مما لهم، وقد قال بعضهم: إن الله يوكل ملكا أو ملائكة بضرائح الصالحين يقضون حاجات الزائرين، قيل: إن كان عندكم علم بهذا فأخرجوه للعيان، ولا تنفعكم الظنون المجردة عن البيان.

سادسا: كيف يعطي الله من فضله لزائر من لا تجوز زيارته لغضب الله عليه، أو لكونه يعبد من دونه، ولمن يكثر سوادهم.

سابعا: قوله: فهي إذا مستحبة إن سلمت من محرم أو مكروه الخ.

(بحث) يقال عليه: قد رجع الشيخ في المعنى عما قاله بهذا القيد؛ إذ لا تكاد تجد مقصودا بالزيارة للتبرك أو لقضاء الحوائج قبل زمانه بأزمنة، فضلا عن زمنه وما بعده سالما مما ذكره، وحينئذ لم يبق موضع لما قاله قبله، والنادر قد تقدم ما فيه.

والاستحباب إذا عارضه الحرام لا يقوم لسلطانه، بل يقع موضعه ويحل محله.

ثامنا: ما ذكروا عن ابن النعمان الخ.

(بحث) يقال عليه: إن كان ابن النعمان هذا الرافضي أو الشيعي المؤلف كتاب "مناسك الضرائح وزيارة القبور"[١]، فقد كفى في البحث

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وَقَدْ صَنَّفَ شَيْخُهُمُ ابْنُ النُّعْمَانِ، الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ بِالْمُفِيدِ -[وَهُوَ شَيْخُ الْمُوسَوِيِّ وَالطُّوسِيِّ] كِتَابًا سَمَّاهُ: "مَنَاسِكُ الْمَشَاهِدِ" جَعَلَ قُبُورَ الْمَخْلُوقِينَ تُحَجُّ كَمَا تُحَجُّ [الْكَعْبَةُ] الْبَيْتُ الْحَرَامُ
=

معه ومع علمائه؛ كونهم من المبتدعة وهم أول من شرع هذه البدعة، وإن كان غيره فمثله في الاعتراض عليه، وجعل علماء الإسلام والدين في مقابلة من ذكرهم وبيدهم السيف الصارم من الدليل.

تاسعا: قوله: عن ابن الحاج: أن زيارتهم في الحقيقة مواصلة للنبي الخ.

يقال عليه: كيف تكون زيارتهم بالمعنى المتقدم مواصلة للنبي -صلى الله عليه وسلم؟ بل هي مقاطعة له إلا في بعض أفرادها الخالي من كل الصفات المذمومة إن وجد فقد يمكن ذلك، وابن الحاج -رحمه الله- وإن قال هذا، فقد أطال في ذم البناء على القبور وعبادتها وزيارتها الغير المشروعة كما يعلم بالوقوف على مدخله[1]. وبعده:

=

الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ قِيَامًا لِلنَّاسِ، وَهُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ فَلَا يُطَافُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُصَلَّى إِلَّا إِلَيْهِ وَلَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ إِلَّا بِحَجِّهِ.

وَقَدْ عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَأْمُرْ بِمَا ذَكَرُوهُ مِنْ أَمْرِ الْمَشَاهِدِ، وَلَا شَرَعَ لِأُمَّتِهِ مَنَاسِكَ عِنْدَ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، بَلْ هَذَا مِنْ دِينِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾".

انظر: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية ١/٤٧٦.

(١) قال ابن الحاج-عفى الله عنه-: "وَقَدْ قَالَ لِي مَنْ أَثِقُ بِهِ وَأَسْكُنُ إلَى قَوْلِهِ: إنَّ الْمَلِكَ الظَّاهِرَ كَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى هَدْمِ كُلِّ مَا فِي الْقَرَافَةِ مِنْ الْبِنَاءِ كَيْفَ كَانَ فَوَافَقَهُ الْوَزِيرُ فِي ذَلِكَ وَفَنَّدَهُ وَاحْتَالَ عَلَيْهِ بِأَنْ قَالَ لَهُ: إنَّ فِيهَا مَوَاضِعَ لِلْأُمَرَاءِ وَأَخَافُ أَنْ تَقَعَ فِتْنَةٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَنْ يَعْمَلَ فَتَاوَى فِي ذَلِكَ فَيَسْتَفْتِي فِيهَا الْفُقَهَاءَ: هَلْ يَجُوزُ هَدْمُهَا أَمْ لَا؟ فَإِنْ قَالُوا بِالْجَوَازِ فَعَلَ الْمَلِكُ ذَلِكَ مُسْتَنِدًا إلَى فَتَاوِيهِمْ فَلَا يَقَعُ تَشْوِيشٌ عَلَى أَحَدٍ.

فَاسْتَحْسَنَ الْمَلِكُ ذَلِكَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَفْعَلَ مَا أَشَارَ بِهِ قَالَ: فَأَخَذَ الْفَتَاوَى وَأَعْطَاهَا إلَيَّ وَأَمَرَنِي أَنْ أَمْشِيَ بِهَا عَلَى مَنْ وُجِدَ فِي الْوَقْتِ مِنْ الْعُلَمَاءِ فَمَشَيْت بِهَا عَلَيْهِمْ مِثْلُ الظَّهِيرِ التَّزْمَنْتِيِّ وَابْنِ الْجُمَّيْزِيِّ وَنَظَائِرِهِمَا فِي الْوَقْتِ، فَالْكُلُّ كَتَبُوا خُطُوطَهُمْ وَاتَّفَقُوا عَلَى لِسَانٍ وَاحِدٍ: إنَّهُ يَجِبُ عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ أَنْ يَهْدِمَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُكَلِّفَ أَصْحَابَهَا رَمْيَ تُرَابِهَا فِي الْكِيمَانِ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ.

=

اتسع الخرق على الراقع

عاشرا: عن أبي المحاسن الفاسي المعروف عند المحققين وأرباب القلوب الخ/[١٤٢].

يقال عليه: تقدم رد هذا الذي وصف به النبي -صلى الله عليه وسلم-

---

=

قَالَ فَأَعْطَيْت الْفَتَاوَى لِلْوَزِيرِ فَمَا أَعْرِفُ مَا صَنَعَ فِيهَا وَسَكَتَ عَلَى ذَلِكَ وَسَافَرَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ إلَى الشَّامِ فِي وَقْتِهِ ذَلِكَ فَلَمْ يَرْجِعْ وَمَاتَ بِهِ، فَهَذَا إجْمَاعٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ فَكَيْفَ يَجُوزُ الْبِنَاءُ فِيهَا فَعَلَى هَذَا، فَكُلُّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدْ خَالَفَهُمْ وَمِنْ كِتَابِ ابْنِ بَشِيرٍ: وَلَيْسَتْ الْقُبُورُ مَوْضِعَ زِينَةٍ وَلَا مُبَاهَاةٍ؛ وَلِهَذَا نُهِيَ عَنْ بِنَائِهَا عَلَى وَجْهٍ يَقْتَضِي الْمُبَاهَاةَ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَحْرُمُ مَعَ هَذَا الْقَصْدِ وَوَقَعَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ فِيمَنْ أَوْصَى أَنْ يُبْنَى عَلَى قَبْرِهِ بَيْتٌ أَنَّهُ تَبْطُلُ وَصِيَّتُهُ وَقَالَ: لَا تَجُوزُ وَصِيَّتُهُ وَلَا كَرَامَةَ، وَظَاهِرُ هَذَا التَّحْرِيمِ، وَإِلَّا لَوْ كَانَ مَكْرُوهًا لَنَفَذَ وَصِيَّتَهُ، وَنَهَى عَنْهَا ابْتِدَاءً" انْتَهَى. انظر: المدخل لابن الحاج١/٢٥١-٢٥٣.

ولكن ابن الحاج في كتابه (المدخل) وإن ذكر فصولاً في ذم البناء على القبور، وذبح عندها أو نقش أسماء الموتى على رخام أو نحوه ، لكنه أتى بفصولٍ أخرى فيها جواز التوسل بالموتى من الصالحين ومن ذلك قوله في مدخله: ثُمَّ يَتَوَسَّلُ بِأَهْلِ تِلْكَ الْمَقَابِرِ أَعْنِي بِالصَّالِحِينَ مِنْهُمْ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ...، وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ النُّعْمَانِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِسَفِينَةِ النَّجَاءِ لِأَهْلِ الِالْتِجَاءِ فِي كَرَامَاتِ الشَّيْخِ أَبِي النَّجَاءِ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ عَلَى ذَلِكَ مَا هَذَا لَفْظُهُ: تَحَقَّقَ لِذَوِي الْبَصَائِرِ، وَالِاعْتِبَارِ أَنَّ زِيَارَةَ قُبُورِ الصَّالِحِينَ مَحْبُوبَةٌ لِأَجْلِ التَّبَرُّكِ مَعَ الِاعْتِبَارِ، فَإِنَّ بَرَكَةَ الصَّالِحِينَ جَارِيَةٌ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ كَمَا كَانَتْ فِي حَيَاتِهِمْ، وَالدُّعَاءُ عِنْدَ قُبُورِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّشَفُّعُ بِهِمْ مَعْمُولٌ بِهِ عِنْدَ عُلَمَائِنَا الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ انْتَهَى، وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَى مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّ مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ فَلْيَذْهَبْ إلَيْهِمْ وَلْيَتَوَسَّلْ بِهِمْ بِقَوْلِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: (لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا لِثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى). انْتَهَى. انظر: المدخل: (١/٢٥٤-٢٥٧).

فلا أدري كيف أثنى العلامة الفاضل الشيخ/عبدالرحمن بن محمد النتيفي-رحمه الله- على فصولٍ في ذم البناء على القبور، مع عدم التنبيه على بقية الفصول، أن فيها من الغلو والشرك ومجانبة التوحيد، فلعل الشيخ/النتيفي-رحمه الله- قصد أن هذه الفصول تميزت في ذم البناء على القبور، وذلك من باب ذكر أن ابن الحاج وافق أهل السنة في تحريم البناء على القبور، والله أعلم.

ونقص به الأنبياء، ولولا أنه مسبوق بهذه المقالة لقلنا: إن هذا الفتح سار له من بركة خلوة البردعة التي كان يعطيه بها أياما عديدة حيث كان عروسا شيخه المجذوب رحمه الله، انظر ممتع الأسماع[1]، وقولنا عليه في كتابنا "من حسن ما تنظر إليه الأبصار وتصغي إليه الأسماع"[2] الخ.

الحادي عشر: ما نقله عن السيد محمد بن عبد القادر الفاسي من الجواب عن قول ابن العربي: لا يزار قبر غير قبره عليه السلام، من أنه نظر إلى سد الذرائع، وكذا ما نقله عن الشرمشاحي، وأنهما خلاف قول الجمهور وما عليه الأمة، وكذا قوله عن أبي زيد الفاسي من قوله: لعل ما نقل من ابن العربي الخ.

يقال عليهما: إن كان مقصودهما بالجمهور جمهور العوام ومن عد في زمرتهم بتسليمه لهم ذلك فصحيح، ولكن هذا الجمهور لا يعتبر قوله في جانب قول فرد بيده الدليل، وإن كان المقصود جمهور العلماء فيقال له: من هم السلف الصالح لم يكن أولهم على هذا وتابعهم جمهورهم كذلك، وإن كان الخلق فمن تتبع هذا القول حتى رآه للجمهور من أهل العلم المعتبر علمهم، والعلم لا يعتبر إلا بالدليل على أن قولهم: وخلاف للأمة فيه، أنه لا إجماع للأمة في أكبر من هذا إلا في قاطع ونحوه فضلا عن هذه المسألة، كما أن قولهم: نظرا لسد لذرائع، يقال عليه: إذا لم ينظر الجمهور والأمة لسد الذرائع الفاسدة فلم ينظرون؟.

كما أن قولهم: لا معول عليه. يقال عليه: ومن جعل مذهبكم هو المعول عليه دون الذين يعملون به وينصرونه ولو خالف الدليل؟.

وما ذكره عن الشيخ زروق من التمسك بالأموات هو من قلة الاعتقاد في الإحياء الخ.

(نقد) يقال عليه: صحيحٌ مسلمٌ، نعم، يقال في استثنائه: اللهم إلا أن يكون ذلك على سبيل التعرض لنفحات الرحمة بالزيارة الخ. تقدم ما في

---

(١) رد على هذا الكتاب الشيخ/النتيفي برسالته المسماة "أحسن ما تنظر إليه الأبصار، وتصفي إليه الأسماع في نقد ما اشتمل عليه ممتع الأسماع في الجزولي وأصحابه والتباع".

(٢) مؤلف من مؤلفات الشيخ لايزال مخطوطاً.

ذلك التعرض لنفحات الرحمات من الأموات.

وقوله: إذ مدد الميت أقوى من مدد الحي.

يقال عليه: لو سلم ذلك فمن هذا الميت الذي مدده أكثر من الحي؛ إذ قد لا يكون له مدد أصلا، أو أقل من مدد الحي، ولو سلم ذلك فمن لنا بالنيل من هذا المدد؟، وقد تقدم/[١٤٣] أنه ليس في يده حتى يمنحنا منه، ولو سلم أن ذلك العطاء للزائر من الله لقيل فيه ما تقدم، بل الميت ينتفع من الحي بدعائه وصدقته وزيارته وغير ذلك مما لا ينتفع الحي به من الميت.

وقوله: لأن التعلق به عري الخ.

(بحث) يقال عليه: إذا عري عن مثل التصنع والاستيناس بالحي فلم يعر في الغالب عما هو أقبح من ذلك، كاعتقاد تصرفه فيما ليس بيده، ويحكمه على ربه واستحيائه سبحانه أن يرد المستشفع به، إلى غير ذلك من الطوام التي يقصدها جهال العوام والمغفلون من غيره.

وقوله: وكرامة الله لأوليائه لا تنقطع بموتهم الخ.

(نقد) يقال عليه: هذه مشاقة للدليل النقلي والحسي، أما النقلي فقوله عليه السلام: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله)[1]، وأما الحسي: فإن الميت إذا مات لا يرى الناس له عملا مما كان له في الحياة، نعم، لكم حجة في قول من قال: إن الأولياء يتصرفون في الحياة وفي الممات، وقد ذكر بعضهم مشاهدة ذلك كالشعراني، ومن جملة ما قال: إنه سمع بأذنه الظاهرة رجلا يستأذن الشيخ أحمد البدوي[2] في سفر وهو في قبره يقول له: سافر وتوكل على الله، إلى غير ذلك، فإنا لا يمكننا أن نخصص النقل والحس المذكورين إلا بمخصص لا يرد ولا يبحث فيه، وهذا الدليل

---

(١) سبق تخريجه في ص ١٤٨.

(٢) أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني، أبو العباس البدوي، المتصوف، صاحب الشهرة في الديار المصرية. أصله من المغرب، ولد بفاس سنة:٥٩٦ه عظم شأنه في بلاد مصر فانتسب إلى طريقته جمهور كبير، توفي سنة:٦٧٥ه ودفن في طنطا حيث تقام في كل عام سوق عظيمة يفد إليها الناس من جميع أنحاء القطر المصرى احتفاءاً بمولده. لم يذكر له مترجموه تصنيفا غير (حزب ـ خ) و (وصايا) و (صلوات ـ ط) وقد أفرد بعضهم سيرته في كتب. انظر: الأعلام للزركلي ١/١٧٥.

عندكم يحتاج إلى قاطع بأن أهل القبور وغيرهم لا تقيض لهم قرناء من الجن والإنس والشياطين والأرواح الشريرة يصدونهم في حياتهم، وينشرون دعوتهم في موتهم، ويتمثلون بهم، ويخرقون العوائد وينسبونها لهم؛ إغواء للخلق، وصدا عن سبيله، واشتغالا بعبادتهم بدل عبادة ربهم، وهذا دلت عليه الدلائل والوجود في أكثر البلاد، ولاسيما الخالية من العلم والإيمان كبلد الهنود وغيرها، وقد ألف المحققون من العلماء في ذلك، وذكروا لذلك كثيرا من القضايا والتطورات الشيطانية الخ.

وقوله عن الشيخ زروق: ومن الآداب أنه لا يصلى على المقابر ولا يبنى عليها الخ.

(بحث) يقال عليه: هذه الآداب قل أن تتوفر في شخص في زيارة متبرك به من الموتى إلا نادرا، والنادر تقدم ما فيه، وعليه ففي أي وقت يحصل الزائر على النفحات والعطايا من مدد الموتى المتبرك بهم؟ فهذا كالرجوع منه عما أسبقه في المعنى.

وقوله عن المنتويري أنه كان ينشد:

اسرد حديث الصالحين وسَمّهم فبذكرهم تتنَزّل الرحَمات [١٤٤]

تقدم ما في ذكرهم وزيارة قبورهم، وفي حضور مجالسهم يقال: إن كانت دالة على الله ومنافع الدنيا والآخرة فواجبة الحضور حتى من الطالحين إذا لم يوجد ذلك إلا منهم، واحتيج إليه فضلا عن الصالحين.

وما نقله عن الشيخ إبراهيم التازي[١] من قوله:

زيارة أرباب التقى مرهم يبري

إلى آخر الأبيات.

نقد: يقال عليه: بالنسبة إلى جمهور الصوفية المستبدلين الشريعة بشرائعهم، والعلم النافع بهذيانهم، والحقائق الثابتة بخيالاتهم وتطاولهم على الأنبياء والمرسلين، ومزاحمتهم لصفة رب العالمين، وتصديق الصم البكم لهم في ذلك، والهمود إلى ربوبيتهم وعبادتهم دون ربهم، يحسن أن يقال في تبديل بعض ألفاظ تلك القصيدة ما يناسب حالهم وزيارتهم وهو:

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

زيارة أرباب الدعاء ملحد يفري ومفتاح أبواب الغواية والشر
وتحدث في القلب الجلي غشاوة وتَملأ صدرا حارا من شدة الوزر
وتَخذل مظلوما وترفع جاها وتكسب معدوما وتكسر ذا جبر
وتقبض مبسوطا وتنصر باغيا وترفد بالجهل الكثير وبالهجر
وكم من قريب بعدته بدفعة ففاجأه الطمس المبين من الخسر
وكم من مريد أظفرته بِمطلط خبير بصير بالبلاء وما يغري
عليك بِها فالقوم فاحوا بشرها وأوصوا بها يا صاحبي في السر والجهر
فزر وتأدب بعد تصحيح نيـة تأدب صعلوك مع الغني الـغر
ولا فرق في أحكامها تبين غافل مرب ومجنون وحي وذي قبر

وقد زيد عليها:

وذي الزهد والعباد فالكل منعم عليه ولكن ليست الشمس كالبدر [(١)]

ويقول عليه بدل هذا البيت ما يلي:

وذي الرفع والعمال فالكل منقم عليه ولكن ليست الليل كالبدر

وما قاله عن ابن باديس[(٢)]: (بحث) يقال عليه: إن كان هذا فيمن ينتفع بهم من العلماء والمرشدين، فلا يشك عاقل في أن ذلك لا يؤخذ إلا من الحي، ومن ترك ذلك فقد ترك وما وجب عليه، وحل عليه الوبال من ربه، والميت لا ينفعه إلا بشيء من ذلك، وذلك في المتصوفة الغير الداعين إلى العلم، وإنما يدعون إلى ما يبنون عليه مذاهبهم المخالفة للشريعة، فالميت مضل لمن يطلبه باعتقاد، والحي أضل منه له/[١٤٥]، وعليه فقد بطل قول ابن باديس كما يبطل دليله وهو شهود النفع من الموتى على الوجهين كما يبطل نص القوم على العكس. تأمل ذلك**!**.

وما ذكره عن الشيخ رضوان[(٣)] من قوله:

---

(١) لم أقف لهذا النظم على مصدر.

(٢) سبق ص٣٢٢.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

نَحْنُ كِلابُ الدّارِ طَبعًا ولَمْ نَزَلْ نُحِبُّ مواليها ونَحْرُسُ بابَها

إلى آخر الأبيات.

إن كان أهل الدار الذي هو كلب لهم من الصالحين حقا علما وعملا وصاحبهم لذلك، لم يعجب الله ولا عباد هؤلائك الصالحين أن يتلقب بذلك اللقب، وإنما المعجب والآداب أن يقول: أنا عبد الله وصاحب عباد الله أهل الدين واليقين، وإن كان أهل الدار من جمهور ما أسلفناه ويتصرفون بصفات الربوبية، فهو كلب لهم حقا وهم كهو، فالمناسبة حاصل الكلب للكلاب والثور للبقر، وفي هذه الحالة هو مطرود وهم مطرودون ولو لم يطردوه وقدمته خائفيه ونباحه هالك.

وقوله: وفي كلب أهل الكهف شاهد بذلك.

(بحث) يقال عليه: ما معنى كونه شاهدا له مع أن كلب أهل الكهف كلب، وهذا إنسان؟ على أن كلب أهل الكهف كان مصاحبا لهم أنسا بهم، هاجروا إلى ربهم عن أوطانهم، فارين بإيمانهم إلى كهفهم، فما فر منهم ذلك الكلب ولا طردوه، بل لم تزل الرابطة بينهم موصولة، فآواه الله بإيوائهم ولم يطردوه عنهم، وفاز بصحبتهم، فقياسه عليه من حيث التسمية لا يصح؛ لاختلاف النوعية، ومن حيث الصحبة ففرق بائن بين أصحاب هذا الكلب وأصحاب ذلك الكلب، هؤلاء معتصمون بالله فارون إليه، وهؤلاء معتصمون بهواهم، فارون منه إلى غيره، وعلى كل حال من تأمل وجد القياس غير تام.

أقول: الفقيه كنون -رحمه الله- أكثر من أقوال الناس هنا على فضل زيارة القبور وأهلها، وترك ما ذكره غيرهم، حتى من محققي أهل فاس كشيخ الجماعة أبي محمد الفشتالي[1]: من أنه يحرم الانتماء إلى

---

(١) محمد بن أحمد بن عبد الملك، أبو عبد الله الفشتالي: قاضي فاس. من العلماء بفقه المالكية والأدب، وأحد الكتّاب البلغاء في عصره. وهو الّذي خاطبه لسان الدين ابن الخطيب بأبيات أولها: "من ذا يعدّ فضائل الفشتالي" ولاه سلطان المغرب قضاء فاس، سنة ٧٥٦هـ، وكان يوجهه في السفارة عنه إلى الأندلس، توفي سنة:٧٧٧هـ، له تآليف في "الوثائق" بفاس، يعرف بوثائق الفشتالي، ولأحمد ابن يحيى الونشريسي تعليق عليه سماه "غنية المعاصر والتالي". انظر: الأعلام للزركلي٣٢٨/٥.

=

التصوف والدخول في طريقتهم. إلى أن قال: إني لأرجوا أن يحشرني الله مع أبي زيد[1] وأبي محمد يَسْكُرْ[2]، لا أن يحشرني مع الغزالي إلى أن قال: لأنهم يبنون طرقهم على غير الكتاب والسنة، وكذلك ترك ما يقوله القباب[3] وغيره، كما أننا نقلنا عنه فتوى فيها يقول أهل العلم وفتاويهم نظما ونثرا في تقبيح أهل التصوف في كتابنا المسمى/[١٤٦] "إيقاظ الهمم في أن عهود المشايخ لا تلزم"[4]، ولا أدري أكلامه هذا هو المتقدم، ثم ظفر بالآخر فاستحسنه وأفتى به،أم هذا هو المتأخر وذلك قد رجع عنه؟ ولكن الظاهر الذي لا يمترى فيه أن ذلك ناسخ لهذا. انتهى البحث فيما نقله مختصر الرهوني رحمهم الله.

ونحن نقول: قد أجملنا ما تقدم في التوسل والدعاء والأقسام ونحوها، وقد فصل أهل العلم ذلك غاية التفصيل والبيان، كتقي الدين ابن تيمية وابن القيم وشارح الطحاوية وغيرهم، جازاهم الله خيرا عن الأمة وعن دين الإسلام، وألحقنا بهم في دار رضاه ورحمته ومستقر فضله، إنه أرحم الراحمين.

ثم قال الناظم:

يا نفسُ لا تقنطي من زلة عظمت ... إن الكبائر في الغفران كاللمم

=

هذا الذي وقفت عليه يكنى (بأبي عبدالله الفشتالي)وليس (بأبي محمد الفشتالي) فلعله وهم من الشيخ أو من ناسخ المخطوط، والله أعلم.

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجذامي الفاسي، أبو العباس الشهير بالقباب: فقيه مالكي، قاض. مولده سنة:٧٢٤هـ. ووفاته سنة:٧٧٨هـ.
له كتب، منها (شرح قواعد عياض) و (اختصار إحكام النظر لابن القطان) و (فتاوي) كثيرة مجموعة أثبت بعضها الونشريسي في المعيار. وهو أول من نقل عنه وابتدأ به. وله مناظرات مع سعيد العقباني جمعها العقباني وسماها (لب اللباب في مناظرات القباب) و (شرح مسائل ابن جماعة).
انظر: الأعلام للزركلي ١٩٧/١.

(٤) مؤلف من مؤلفات الشيخ لا يزال مخطوطاً.

لعل رحْمَة ربّي حين يقسمـها تأتي على حسب العصيان في القسم[1]

قال الباجوري: "لما خاف الناظم على نفسه القنوط من -رحمة الله- بسبب شدة الخوف، أقبل عليها يخاطبها بتحقيق رجائه ويؤنسها بعظم فضل ربه"[2]، إلى أن قال: "ومعلوم أنه تعالى يغفر الصغائر باجتناب الكبائر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [سورة النساء:الآية٤٨]، وفي قول الناظم: إن الكبائر في الغفران كاللمم رد على من زعم أن الكبائر ليست كالصغار كالمعتزلة، فإنهم يقولون: بأن الكبائر لا تغفر، بل مرتكبها يخلد في النار؛ لأنه ليس مؤمنا ولا كافرا، فيقولون: إنه منزلة بين المنزلتين، ويعذب بعذاب أخف من عذاب الكافر، وأتحف مذهب أهل السنة: أن الكبائر كالصغائر في الغفران، وهو الموافق للقرآن وللسنة وللدليل العقلي؛ لأنه تعالى لا يجب عليه ثواب، ولا يتحتم عليه عقاب، فالثواب من فضله، والعقاب من عدله ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٢٣]"[3].

وقال في قوله: لعل رحمة ربي حين يقسمها بعد كلمات: "أي: أرجو أن تكون رحمة ربي تأتي في القسم حين يقسمها بين العصاة على قدر عصيانهم، فمن حمل من العصيان حملا كبيرا كان ما يناله من الرحمة شيئا كبيرا، ومن حمل من العصيان حملا صغيرا كان ما يناله من الرحمة شيئا صغيرا، والمراد الرحمة التي تنال العصاة لا الرحمة العامة التي تنال المطيع أيضا، فلا يقال: إذا قسمت الرحمة بحسب العصيان لم يبق للمطيع منها حظ.

فإن قيل: كلام الناظم يقتضي أن من كانت ذنوبه أكثر كان ما يناله من الرحمة أعظم، وكيف يصح ذلك مع أن من كانت ذنوبه أقل كان أقرب / [١٤٧] للرحمة وأقرب منه من كان طائعا؟

---

(١) انظر: شرح البردة ص١٣٤.

(٢) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٨٥.

(٣) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٨٥-٨٦.

أجيب: بأن الكلام في الرحمة التي تنال العاصين وقسمها على هذا الوجه ممكن لجواز العفو عما عدا الشرك، وأورد عليه أن مقتضى كلامه عدم دخول بعض عصاة المؤمنين النار مع أن المقرر في علم الكلام أنه لابد من دخول طائفة منهم النار يخرجون بشفاعته صلى الله عليه وسلم.

وأجيب بأن الرحمة بالنسبة لهؤلاء هي الشفاعة العامة للإراحة من هول الموقف"[١] انتهى.

ونحن نقول عليه: أولا: قوله: والحق مذهب أهل السنة أن الكبائر كالصغائر الخ.

يقال عليه: أهل السنة لا يخالفون المعتزلة إلا في تخليد أهل الكبائر، وكونهم واسطة بين الإيمان والكفر، ولا يخالفونهم في أنهم يدخلون النار منهم من زحمت سيئاته حسناته[٢].

ثانيا: قوله عن أهل السنة: إن الكبائر كلها كالصغائر في الغفران، أن يقال عليه: ليست كهي في غفران ولا غيره، بل الكبائر عندهم سبب في دخول النار تجردت من الصغائر، أو كانت معها، والصغائر لو تجردت وحدها لما كانت سببا في النار مكفرة باجتناب الكبائر، كما قال الله سبحانه: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [سورة النساء: الآية ٣١]، والكبائر عندهم لا تجامع الإحسان والصغائر تجامعه، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ [سورة النجم:الآية٣١-٣٢]، والكبائر تسقط الشهادة والعدالة، والصغائر لا تسقطهما على تفصيل في محله، والكبائر تورث لعنة الله وغضبه وعذابه وعقابه دون الصغائر، إلى غير ذلك مما لا نطول بذكره.

ثالثا: استشهاده لأهل السنة بقوله تعالى: ﴿ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا

---

(١) حاشية الباجوري مع شرح الأزهري ص٨٦.

(٢) بل يخالفونهم في مسائل كثيرة في الاعتقاد، كمسائل الإيمان، وباب الأسماء والصفات، وغيرها.

دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [سورة النساء:الآية٤٨]، هذا يفيد أن أهل السنة يقولون باستواء الكبيرة والصغيرة في المشيئة حتى لا يغري مصير حب الكبيرة والصغيرة، وأنه يجوز أن يدخل النار صاحب الصغيرة ولو تجردت من الكبائر، كما يكون ذلك في الكبيرة تجردت أو لم تتجرد، كما يجوز أن يعفو عن الكل، وهذا ليس مذهب أهل السنة، وإنما مذهبهم قد قدمناه من الفرق بين الكبائر والصغائر في ذلك.

رابعا: هذا الاستدلال منه يفيد/[١٤٨] أن لا يدخل النار أحد من أهل الكبائر حقا، وهو مخالف لما جاءت به الدلائل من أن جماعات من أهل الكبائر من المسلمين يدخلون النار وإن لم يخلدوا فيها.

خامسا: قوله: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [سورة النساء:الآية٤٨].

يقال عليه: لم يحكم الله هذه الآية على جميع دلائل الكتاب والسنة، بل ذكر كما ذكر رسوله: من يشاء أن يغفر له ومن لا يشاء أن يغفر له، ودلائل ذلك فيهما معروفة مبسوطة.

سادسا: قوله: وللدليل العقلي الخ.

يقال عليه: كون الله تعالى لا يجب عليه شيء عقلا مسلم، ولكن هذا الدليل يشمل تعذيب الكافر وإثابة المؤمن، فيجوز أن يثيب الكافر المؤمن وأن لا يثيب أحدا منهما، وأن يعذب هذا ويثيب هذا، فالدليل ليس دليلا لأهل السنة فقط.

سابعا: هذا الدليل العقلي له حكم مع الدليل الشرعي المبين لما يريد الله من ذلك، وهو موجود في الشرع بكثرة.

ثامنا: قوله: والمراد بالرحمة التي تنال العصاة الخ.

يقال عليه: من أين أخذ هذا التقييد الشارح، أمن كلام الناظم فليس فيه؟ وإن كان من غيره فما يدريه أن هذا مقصود الناظم؟.

تاسعا: قوله: أجيب بأن الكلام في الرحمة التي تنال العاصين وقسمها على هذا الوجه ممكن إلخ.

يقال عليه: هذا الجواب لا يدفع الإيراد؛ لوجهين: أولا: عدم التقيد بالرحمة المذكورة.

ثانيا: جعل ذلك ممكنا لا يلزم الوقوع، والواقع بالدلائل يفيد خلاف ذلك من أن صغير المعصية أخف من كبيرها، كما أن من لا معصية له خير من الكل.

عاشرا: قوله: وأورد عليه إلى آخر جوابه.

يقال عليه: هذا الجواب لا يناسب الإيراد على البيتين؛ لأنهما يفيدان أن الكبائر كالصغائر في الغفران، وأن الرحمة بالنسبة إليها كبيرة، والرحمة الكبيرة لا يناسبها دخولها النار.

والجواب: بأن المراد بالرحمة هي الشفاعة في أهل الموقف الأعظم ويناسبها ما ذكر من غفران الكبائر كالصغائر، ومن جعل الحظ الأكبر من الرحمة في جانب الكبيرة، بل هذه الرحمة عامة كمن لا يعص الله قط، كالأنبياء والمرسلين ولمن عصاه ولمن كفر به فأين هي؟ ومقتضاها مما يقتضيه كلام الناظم وجوابكم عنه.

الحادي عشر: حملكم كلام الناظم على هذا من تحصيل الحاصل، فلا يحتاج إلى طلبه؛ إذ هو الواقع ولابد له ولغيره منه، وليس أحد من الثقلين يخرج من ذلك الحشر حتى يطلب أن يعمه حكمه من تلك/[١٤٩].

الثاني عشر: الرحمة: هذا التضرع والمؤاخذة بالكبائر ورجاء الرحمة من الله في غفران ذلك مناف لما أخبر به المصنف عن نفسه، وسلمه له شارحاه وغيرهما من أنه التمس من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غنى الدارين ففاز به منه وحصل له كما دل لذلك قوله:

ولا التمست غنى الدارين من يده إلا استلمت الندا من خير مستلم[1]

وقوله:

ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه وجدته لخلاصي خير ملتزم[2]

الأبيات.

فكان من حق المصنف أن يشكر على نعمة الله في الدنيا والآخرة الممنونة بأمان من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لا أن يبكي ويتضرع ويخاف من مؤاخذته على كبائره كانت أو لم تكن.

فإن قيل: وإن كان الأمر كذلك، فلقد بكى وتضرع واستغفر الأنبياء والمرسلون مع عصمتهم من الذنوب وما يترتب عليها، فلم لا يكون الناظم مقتديا بهم في ذلك؟

قلنا: نعم لو لم يكن الفرق واضحا أن النبيون يبكون ويخافون تارة

---

(١) انظر: شرح البردة ص١١٤.

(٢) انظر: شرح البردة ص١٣٢.

من جلال الله، وشوقا للقائه، ويستغفرون لما قد يقع منهم من الغفلات والخطايا وغين الاشتغال والشهوات كما قدمنا ذلك، لا أنهم يشكون فيما وعدهم الله من الجنات العالية ورضوانه الأكبر، ولا في انقطاع عصمتهم التي عصمهم بها، والناظم ظاهر كلامه إن لم نقل صريحه: إنه يتضرع ويخاف من المؤاخذة بذنوبه، ويسلي نفسه بكون رحمة الله قد ينالها أكبر العصاة منها أوفر حظ مما يناله أصغر العصاة. فتأمل ذلك فقد بان لك الفرق!.

الخامس عشر: ما يقال: يترد في أسماعنا وألسنتنا بيت لم نستحضر أنه من البردة أو من غيرها، وهو:

من يعتصم بك يا خير الورى شرفا   فالله حافظه من كل منتقم[1]

ونحن نقول عليه: يقال لقائله: أصحاب رسول الله والتابعون لهم بإحسان أكانوا معتصمين بما جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن ربه سبحانه أم لم يكونوا؟.

فإن قلت بالثاني كذلك إجماع الأمة على ذلك، وإن قلت بالأول فلم لم يحفظهم الله من كل منتقم؟فقد ابتلي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما هو معروف، وكذلك أصحابه، فلقد قتل عمه حمزة بين يديه، ومات رسول الله/[١٥٠] بسم اليهودية، وقتل عمر، وذبح عثمان، وقتل علي، ودخل الداخل فيهم حتى كانت بينهم الحروب والفتن التي تشب لها الولدان.

نعم، إن كان معنى البيت: أن المراد بالاعتصام برسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو اللياذ به والاستئجار به على معنى ما يعتقده الغلاة فيما سوى الله من الصالحين والطالحين، وأنهم يتصرفون في ملك الله فيما قدروا عليه أو لم يقدروا، وقد قدمنا بحثا بينا قبل هذا فليتركوا، وما هو في عهدتهم، لنختم ما كتبناه على البردة بسؤال الله المسامحة والعفو فيما أخطانا فيه والإخلاص له والشكر فيما ألهمنا فيه الصواب، ونحمده

---

(١) لم أقف على هذا البيت في شرح البردة.

سبحانه على نعمه الخاصة والعامة، والصلاة على رسوله وآله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين/[١٥١][١].

(١) بهذه الخاتمة انتهى العلامة/أبو زيد عبدالرحمن بن محمد النتيفي-رحمه الله- من كتابه [الزهرة في رد غلو البردة]، جزاه الله عن المسلمين خير ما يجزي به عباده الصالحين، وأن لا يحرم ناسخ المخطوط ومحققه الأجر والمثوبة، فما كان من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، فأسأله العفو والمغفرة والرحمة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.